

السَّامِعُ الْعَلِيمُ

الجزء الثالث

تأليف

تأليف
للكاتب الميرزا محمد حسين علاوي

152-153

الحق

تَحْقِيقُ
أَمِيرِكُمُ الصَّالِحِ

النَّبَأُ الْعَظِيمُ

عمر بن الخطاب (النبا العظيم الذي بعثه الله في هذه الأمة) يعلمون ثم كلا يعلمون

السبأ العظيم

الجزء الثالث

تأليف

للكاتب الموقر والفاضل الموقر حسين جلال

١٣٣٠ - ١٤٢٠ هـ

تحقيق

أمير كريمة الصانع

دار الإرشاد

محفوظات جميع الحقوق



الكتاب	النبا العظيم
التأليف	الأستاذ الدكتور صادق حسين علاوي رحمه الله
التحقيق	أمير كريم الصائغ
التقديم	سماحة السيد محمد السيد تقي الخلخالي
الطبعة	الأولى
تصميم الغلاف	ميثم بحر
التاريخ	١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م
الكمية	١٠٠٠ نسخة

دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع تلفون ٠٠٩٦١-٧٠١٢٤٦٩١

بيروت - لبنان - حارة حريك - نزلة الشورى - بناية الريحاني ٠٠٩٦١-١٢٧٥٦٧٨

E-mail: al-ershad@live.com

الفصل الخامس

الفتح الأكبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾^(١).

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

من أراد ان ينظر إلى المعجزة الكبرى فليعرف ما هو يوم الفتح الأكبر؛ فهو يوماً قامت كلمة لا اله إلا الله محمد رسول الله، وفيه هوت الاصنام إلى الأرض، فتلك سنة الله التي تبقى بها كلمته هي العليا، وكلمة الكافرين السفلى، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولن تجد لسنة الله تحويلاً^(٢).

فمكة تخضع بحد السيف في شهر رمضان الذي فيه نزل القرآن، وفي العام الثاني للهجرة وهو عام الحديبية صالح رسول الله ﷺ قريشاً فدخلت خزاعة في حلفه وعهده، ودخلت كنانة حلف قريش.

(١) سورة النصر ١: ١-٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾، سورة الأحزاب ٣٣: ٦٢.

وبعد سنتين طلع رجل من هذه القبيلة الأخيرة أي -كنانة- وهجا رسول الله ﷺ، فقال له رجل من خزاعة: ليس لك أن تذكر مثل هذا.

فقال له الكناني اللعين: ما أنت وذاك؟

فقال له الخزاعي: إن عدت لا كسرن فاك.

فأعادها الكناني قاتله الله؛ فضربه الخزاعي على فكه فكسرها، فاستصرخ الكناني قومه، وخزاعة كانت أطول باعاً وأقوى عتاداً ومتاعاً، فلما تقابلا تحطمت مقاومة كنانة أمام ضغط خزاعة حتى التجأ أفرادها إلى الحرم، فأمدتهم قريش بسلاحها، وأعادت اليهم اعتبارهم، فركب عمرو بن سالم^(١) إلى رسول الله ﷺ، ليخبره الخبر وهو يرتجز قائلاً:

لا هم إنني ناشد محمدا	حلف أينما وأبيه الا تلدا
لكنك والدا وكنا ولدا	ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
إن قريشاً أخلفوك الموعدا	ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالوتير ^(٢) هجدا	نتلو القرآن ركعاً وسجدا

(١) عمرو بن سالم بن حضيرة بن سالم من بني مليح بن عمرو بن ربيعة، وكان شاعراً، وحامل أحد ألوية بني كعب التي عقدها رسول الله ﷺ. أنظر الطبقات الكبرى: ٤/ ٢٩٣، تاريخ مدينة دمشق: ٤٣/ ٥٢٠، أسد الغابة: ٤/ ١٠٥، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٥٢١.

(٢) الوتير: أسم ماء بأسفل مكة لخزاعة. معجم البلدان: ٥/ ٣٦٠.

وزعموا أن لست تدعو أحدا
فانصر هداك الله نصرا أيدا^(١)
وهم أذل وأقل عددا
وادع عباد الله يأتوا مددا
في فيلق^(٢) كالبحر يجري مزبدا
فيهم رسول الله قد تجردا
حتى وصل رسول الله ﷺ، فقال: حسبك يا عمرو.

ثم قام ﷺ، وقال: اسكبوا لي الماء، فجعل يغتسل، ويقول: ((لا نصرت
إن لم أنصر بني كعب، ثم أجمع ﷺ على المسير إلى مكة، وقال: اللهم خذ
العيون عن قريش حتى نأتيها في بلادها)).

وكتب حاطب بن أبي بلتعة^(٣) مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش: إن
رسول الله خارج إليكم يوم كذا وكذا، فخرجت الائمة الماكرة وسلكت غير
الطريق المأهول فتياسرت نحو الحرة^(٤).

فنزّل جبرئيل عليه السلام، فأخبر النبي ﷺ بذلك فدعا علياً والزبير، وقال لهما:
((أدركاها، وخذا منها الكتاب))، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام والزبير برفقيه لا

(١) أيدا: أي قوياً. أنظر العين: ٨ / ٩٧ مادة أيد.

(٢) فيلق: الجيس. الصحاح: ٤ / ١٥٤٥ مادة فلق.

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعة الخالفي اللخمي، وأسم أبي بلتعة عمرو، وقيل: راشد
اللخمي، عد من مجاهيل الصحابة، شهد بدرًا والحنديق وبينهما من المشاهد، مات سنة
ثلاثين بالمدينة، وهو ابن خمس وستين سنة وصلى عليه عثمان. أنظر الطبقات الكبرى:
٣ / ١١٤، الجرح والتعديل: ٣ / ٣٠٣، الإكمال في أسماء الرجال: ٤٨، مستدركات علم
رجال الحديث: ٢ / ٢٨٨.

(٤) الحرة: منطقة تقع بين المدينة والشام. أنظر معجم البلدان: ٢ / ٢٤٥.

يلقيان أحداً إلا سألوه، وكان النبي ﷺ قد وضع حرساً على المدينة، فسألا الحرس فقالوا لهما: مامر بنا أحد.

ثم استقبلا خطاباً فسألاه، فقال لهما: رأيت امرأة سوداء انحدرت من الحرة، فتعقباها وأدركاها، وأخذ أمير المؤمنين الكتاب منها، وردها إلى رسول الله ﷺ، فدعا حاطباً فجيء به، فقال له النبي: ((ويلك ما هذا الذي صنعت؟

قال: والله إنني لمؤمن بالله ورسوله وما شككت، ولكني ليس لي بمكة عشيرة، وإنما لي بها أهل فأردت أن أتخذ عندهم يداً؛ ليحفظوني فيهم.

فقام عمر، وقال: يا رسول الله دعني أضرب عنقه، فو الله لقد نافق.

فقال ﷺ: إنه من أهل بدر، ولعل الله اطلع عليهم فغفر لهم، أخرجوه من المسجد، فجعل الناس يدفعوه في ظهره، وهو يلتفت إلى النبي ﷺ ليرق عليه، فأمر ﷺ برده، وقال: قد عفوت عنك، فلا تعد لمثل ما جنيت)).

ولما بلغ الخبر أبا سفيان، وما صنعت قريش بخزاعة، وأن رسول الله صمم على القتال، أقبل إلى المدينة مندوباً عن قريش حتى دخل على النبي ﷺ، فقال: يا محمد احقن دم قومك، وأجر بين قريش، وزدنا في المدة، فقال له النبي ﷺ: ((أغدرتم يا أبا سفيان؟

قال: لا، فنحن على ما كنا عليه)).

فخرج حتى صار يسأل كل من لقيه في الطريق من أصحاب النبي أن يخرج بين قريش، ويزيد في المدة؛ فرده الجميع، ولم يجبه أحد إلى طلبه حتى دخل

بيت أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً الزهراء عليها السلام قائلاً: تجبرني بين قریش فتكونين أكرم سيدة في الناس، قالت عليها الصلاة والسلام: ((إن جوارى من جوار رسول الله.

قال: فتأمرين ابنيك يجيرانى بين الناس؟

قالت: والله ما يدري ابناى ما يجيران من قریش.

ثم التفت إلى أمير المؤمنين، وقال له: يا أبا الحسن أنت أمان الناس بى رحماً، وقد التبت على الأمور فأجعل لى فيها وجهاً.

قال عليه الصلاة والسلام: أنت شيخ قریش، تقوم على باب المسجد فتجير، ثم تقعد على راحلتك وتلحق بقومك

قال: فهل ترى ذلك نافعى؟

قال: لا ادري)).

فقال: أيها الناس، إني قد أجرت بين قریش ثم ركب بعيره وانطلق، وقدم على قریش وقص عليهم ماجرى له، فقالوا: هل أجاز ذلك محمد؟ قال: لا.

قالوا: ويحك لعب بك الرجل.

وخرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة بعد صلاة العصر لليلتين مضتا من شهر رمضان، واستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر^(١)، ودعى رئيس كل قوم أن يأتي بقومه ويستنفرهم، وكان ﷺ صائماً والمسلمون صائمون، حتى نزل في طريقه بكراع الغميم^(٢) فنزل هناك الأمر بالأفطار بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾^(٣).

فأمر النبي الناس بالأفطار ففطر بعضهم، وأبى آخرون إلا الصوم؛ فسموا العصاة، ثم سار ﷺ من الظهران ومعه عشرة آلاف رجل، ونحو أربعمئة فارس، وقد عميت أخبارهم عن قريش غير أن قائد الشرك اللعين أبا سفيان لا يزال يوجس^(٤) من نفسه خيفة من المسلمين، فخرج يتجسس أخبارهم ليلاً، ويترصده ما يجري في ظلمات الليل، ومعه حكيم بن حزام^(٥)، وبديل بن ورقاء^(٦).

(١) هو أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري المدني، اسمه بشير بن عبد المنذر، وقيل: رفاعه بن عبد المنذر، أحد رواة رسول الله ﷺ، كان أحد النقباء شهد بدرأ والعقبة، مات في خلافة علي عليه السلام. أنظر الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٥٧، الثقات: ١/ ٢١٠، مشاهير علماء الأمصار: ٣٧، رجال الطوسي: ٢٧، خلاصة الأقوال: ٧٨، رجال ابن داود: ٥٧، تهذيب الكمال: ٣٤ / ٢٣٢، الإكمال في أسماء الرجال: ٦٤.

(٢) كراع الغميم: هو موضع بين مكة والمدينة. معجم البلدان: ٤ / ٢١٤.

(٣) سورة البقرة ١: ١٨٥.

(٤) يوجس: أي يحس بشيء في نفسه. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٦ / ٨٧ مادة وجس.

(٥) هو حكيم بن حزام، يكنى أبو خالد الأسدي، عم الزبير بن العوام، وكان من أشرف قريش ووجهها في الجاهلية والإسلام، وتأخر إسلامه إلى، حسن إسلامه بعد أن كان

أما أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب^(٢)، وعبد الله بن أبي أمية^(٣) فقد التجأ إلى العباس ليدخلهما على رسول الله ﷺ فدخلوا على العباس، وادخلهما على النبي، وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا ابن عمك قد جاء تائباً، وكذلك ابن عمتك، فقال ﷺ: ((لا حاجة لي فيهما، أما ابن عمي

من المؤلفات قلوبهم، وعد من رواة النبي ﷺ، مات بالمدينة في داره سنة: (٦٠هـ) وقيل سنة (٥٤هـ)، وكان له مائة وعشرون سنة. أنظر رجال الطوسي: ٣٨، الإكمال في أسماء الرجال: ٤٩، إكليل المنهج في تحقيق المطلب: ٥٤١، مستدركات علم رجال الحديث: ٣ / ٢٤٦.

(١) هو بديل بن ورقاء الخزاعي المكنى أبو عبد الله، أحد رواة رسول الله ﷺ، أسلم في عام الفتح وله من العمر سبعة وتسعين سنة، أما في موته فقد روي إنه قتل في عهد النبي ﷺ يوم الفتح، وقيل: قتل يوم صفين، وقيل الذي قتل يوم صفين هو ابنه عبد الله. أنظر رجال الطوسي: ٣٨، الإكمال في أسماء الرجال: ٢٩، نقد الرجال: ١ / ٢٦٣، جامع الرواة: ١ / ١١٦، مستدركات علم رجال الحديث: ٢ / ١١.

(٢) هو أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وكان أخاه من الرضاعة أَرْضَعْتُهُما حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ السَّعْدِيَّةُ، قال قوم: اسمه المغيرة، وقال آخرون: بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه، وكان من الشعراء المتبوعين، وكان سبق له هجاء في رسول الله ﷺ، وأجابه حسان بن ثابت ثم أسلم فحسن إسلامه فيقال: إنه ما وقع رأسه إلى رسول الله ﷺ حياء منه، وكان إسلامه عام الفتح. أنظر الطبقات الكبرى: ٤ / ٤٩، التاريخ الصغير: ١ / ٧٧، الإكمال في أسماء الرجال: ١٠٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٨ / ٣٧٩.

(٣) هو عبد الله بن أبي أمية أخو أم سلمة لأبيها، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، شفعت أم سلمة له عند رسول الله ﷺ ليقبل إسلامه، فلما أسلم حسن إسلامه، شهد مع رسول الله ﷺ فتح مكة وحينئذ والطائف، واستشهد يوم الطائف. أنظر العلل ومعرفة الرجال: ٣ / ٤٢٠، أسد الغابة: ٣ / ١١٨، مستدركات علم رجال الحديث: ٤ / ٤٤٦.

فقد انتهك عرضي، وابن عمتي هو الذي يقول بمكة: لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً^(١).

فقال أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب: كن لنا كما قال العبد الصالح: لا تثريب عليكم^(٢).

فدعاهما رسول الله ﷺ، وقبل توبتهما، وقال العباس: هو والله هلاك قریش إلى آخر الدهر^(٣).

إقترب رسول الله ﷺ من مكة

واقترب رسول الله ﷺ، وجيشه من مكة فرأى المشرك أبو سفيان صخر بن حرب في أحدى ليالي تجسسه، نيرانا تشتعل من وراء الهضاب، فسأل رفيقاه بديلاً وحكيماً عنها، فقالا له: هذه نار خزاعة.

قال لهما: خزاعة أقل من ذلك، فلعلها تيم أو ربيعة.

فسمع العباس صوت أبو سفيان في الظلام، وعرفه فناداه، ووجدها اللعين أبا سفيان فرصة ذهبية يخلص فيها نفسه من سيف محمد وعلي.

(١) إشارة إلى قول النبي يوسف ﷺ لأخوته الذي ذكر بقوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، سورة يوسف ١٢: ٩٢.

(٢) أنظر المغازي: ١ / ٥٧٥، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٥٨، إعلام الوری بأعلام الهدى: ١ / ١٤٨، قصص الأنبياء للراوندي: ٣٤٥، مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٧٧، الدر النظيم: ١٧٦، إمتاع الأسماع: ١ / ٢٩٩، بحار الأنوار: ٢١ / ١٢٥-٢٢، الأنوار العلوية: ١٩٩.

فلجأ هو الآخر إلى العباس قائلاً: يا أبا الفضل ما الحيلة للنجاة من

محمد؟

قال له: أركب عجز عجز هذه البغلة فأستأمن لك رسول الله^(١).

(١) أنظر دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: ٣٣/٥، إعلام الوری بأعلام الهدى: ٢٢٠ / ١، مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٧٨، تاريخ الإسلام: ٥٣٩ / ٢.

أبو سفيان يخضع حاقداً بحد السيف

بعد خضع أبو سفيان حاقداً بحد السيف، والنبى يقول: ((يا علي اتركهم فانهم الطلقاء))^(١)، نجد هذا اللعين المشرك الحاقداً ركب وراء العباس على عجز بغلته، وصار لا يجتاز ناراً حتى يمر بآخرى فإنتهيا إلى مقر حجة الله أمير المؤمنين عليه السلام؛ فلم يجدها لأنه قد سبقهما إلى رسول الله، ليقول له هذا قائد الشرك وأبو جهل الثاني فرعون هذه الأمة قد امكنك الله منه فدعني اجزر عنقه يارسول الله.

وإذا العباس يدخل، ويستجير الرسول ﷺ، ويقول له: يارسول الله، أني قد أجرت أبا سفيان.

قال: فادخله، ولما دخل هذا الشيطان، قال له رسول الله ﷺ: ((ويحك يا أبا سفيان أما آن لك ان تقول ماثقل على قلبك ولسانك، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله))، فتلجلج لسانه وأمير المؤمنين قاصده بسيفه، والنبى محقق بعلي بن أبي طالب.

فصاح به العباس قائلاً: ويلك يا أبا سفيان، فقد أخبرتك أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأن لم تقلها فهذا سيف علي بن أبي طالب، وقد عرفت وقع نضاله في أهلك وقومك وتحت حد هذا السيف البتار.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. السنن الكبرى للبيهقي: ٩ / ١١٨.

وقد رأى أبو سفيان الموت بعينه، وأمير المؤمنين عليه السلام تقدح عيناه ناراً، وهو إلى جنب رسول الله شاهراً سيفه^(١).

أذن فأنها إحدى الطائفتين أما قول زوراً وبهتاناً وكذباً عند قول الشهادتين، ثم استعداداً وتخطيطاً لهدم الرسالة وقلعها من جذورها، أو موتاً ممتداً بشؤم إلى عقبه، وليس من شك أن ترجح عنده كفة الفكرة الأولى، وكيف غيرها يتعد هؤلاء الجبناء عن الموت؟!

فقرر النطق بالشهادتين تخلصاً من سيف علي بن أبي طالب أولاً، وأستعداداً للانقضاض على كيان الرسالة المحمدية ومحوها سطور مجدها من الوجود ثانياً، فنطقها ولكنه متلجلجاً وأنتضر حتى صبحها يوم تمخضت الشورى المشؤومة عن فوز الأموي الآخر ابن عفان يتخطيط من عمر، إذ دخل عليه وهو اعمى ولم تتلاقف بجهرة الكرة عنده، بل كلهم ملعونون أمويون. فخاطبهم قائلاً: ((أفيكم غريب؟

قالوا: لا.

قال: والذي يحلف فيه ابا سفيان فلاجنة، ولا نار، ولا حساب، ولا معاد، فتلاقفوها يا بني امية تلاقف الكرة))^(٢).

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٧٨، مجمع الزوائد: ٦ / ١٦٦، عون المعبود: ٨ / ١٨٠، المعجم الكبير: ٨ / ١١، الاستيعاب: ٤ / ١٦٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٦٩ / ١٧.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. مروج الذهب: ٢ / ٣٤٣.

وأن هذه السلسلة من الأحداث صورها سيد الوصيين عليه السلام بكلامه في صفين حين رأى آيات الكافرين القاسطين، فقال: ((إن آياتهم التي يواجهونها بها اليوم هي آياتهم التي يواجهونها بها يوم بدر، واحد، والغزوات الأخرى، وانهم ليسوا أهل دين، ولا قرآن، دخلوا الإسلام مكرهين وخرجوا منه طائعين، وانهم لم يسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر ولما وجدوا اعوانا عليه أظهروه، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وأين يذهبون، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين))^(١).

إلا انهم لم يتركوا الصلاة، ولم يتركوها ليتخذونها وسيلة لاستلام سلطان محمد صلى الله عليه وآله، ثم يعمدوا إلى تغرير^(٢) الرعاع بمالهم، ونفوذهم؛ فيخططون لمحو الرسالة من أساسها ونسفها من جذورها، وهو ما حصل فعلاً من علة التدريج في بيعة ابن عفان إلى حرب الناكثين والقاسطين والمارقين، وأستشهاد حامي الإسلام علي بن أبي طالب عليه السلام، واغتصاب المشركين سلطان محمد وعلي بتنازل السبط أبي محمد الحسن عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام ومقتله بالسم، وأخيه أبي عبد الله وأهله في كربلاء عليهم أفضل صلوات الرحمن^(٣).

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. نهج البلاغة: ١٦ / ٣، بحار الأنوار: ٨٢ / ٢٦٥ ح ٩.

(٢) تغرير: أي خداع. أنظر الصحاح: ٧٦٨ / ٢ مادة غرر.

(٣) أنظر الغارات: ٢٠٦ / ١، المسترشد: ١٤٧ ح ١٤، الكامل في التاريخ: ١٩٢ / ٣، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ١٦٦، تاريخ ابن خلدون: ١٤٩ / ٢، الصراط المستقيم: ٢١ / ٢، النصائح الكافية: ٨٧.

ففتحت سيطرة الكفر والشرك والإلحاد مرة أخرى على أمور الناس، وعادت الأمور على هيئتها قبل الدعوة الإسلامية بطشاً بالأبرياء، وقتلاً لقادة المسلمين صبراً، ونهباً لأموال الناس، وأستهتاراً بالدين، وهجراً وتمزيقاً للقرآن الكريم، وإعلان الفجور والفسق بين خمور وراقصات وسفاح.

أما أمير المؤمنين وهو نفس النبي صلى الله عليهما والهما بنص آية المباهلة^(١) فيشتموه على المنابر، ويقصدون بذلك شتم رسول الله الذي يحكمون بأسمه^(٢)، ويستغلون سلطانه، ويستهترون بحقوق امته، ولكن لم تمض عليهم إلا فترة من الزمن القصير حتى أرسل لهم جل جلاله من يقوض حكمهم، وينهي امرهم، ويسومهم الخسف، ويسوقهم العنف، ويسقيهم بكأس مصبرة حتى قبورهم نبشت وذر مافيهما من فحم في الهواء، ومسح الله شأنهم مسحاً من صفحة الوجود تماماً كما تنبأ به سيد الوصيين في قوله: ((بل هي حجة من لذيذ العيش يتطعمونها برهة ثم يلفظونها جملة))^(٣).

فأن لهم في الدنيا خزي، وفي الآخرة عذاب عظيم، وما كان ليفوت على النبي الاقدس بهتان أبا سفيان حين أدى الشهادتين متلجلجاً، ولكن مع ذلك

(١) هي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٢) ورد الخبر باختلاف سير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣٠/٥.

(٣) نهج البلاغة: ١٥٥/١.

تحمل بغيه، وإفكه^(١) برحابة صدره، وكريم أخلاقه، وقال له: أين ترغب أن تكون الليلة؟

فقال: أرغب أن أكون عند أبي الفضل؛ فسلمه إليه فلما أصبح أصبح سمع بلالاً يؤذن، فبهت الذي كفر، ثم جاء إلى النبي يستأذنه بالخروج إلى مكة زاعماً إنه يريد أن يكون رسول الحق والسلام إلى أخوانه المشركين، فأذن له النبي ﷺ، وقبل أن يسير جاء العباس إلى النبي، وقال له: أن أبا سفيان رجل يحب الفخر، فلو خصصته بمعروف؟

فقال ﷺ: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ثم قال للعباس: أدركه واحبسه في مضائق الوادي حتى تمر به جنود الله، فرأى العساكر فرقاً فرقاً، وقبائل قبائل أمامهم رأياتهم، ويقودهم رؤسائهم، وكانت رأيت النبي بيد سعد بن عباد، الذي صار يرتجز قائلاً:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة

فجاء المشرك إلى العباس، وقال: له أما تسمع مايقول سعد بن عباد؟

فجاء العباس إلى النبي ﷺ يخبره بذلك، واعاد عليه رجزه.

فقال النبي: كلا انه يوم الرحمة، وأمر رسول الله أخاه علياً أن يأخذ الراية من سعد برفق حتى لايشير ذلك، فجاءه أمير المؤمنين وأخذ الراية منه بلطف.

(١) إفكه: أي كذبه. أنظر العين: ٥ / ٤١٦ مادة أفك.

فقال له سعد: والله يا علي لولاك لما أخذ مني الرؤية أحد من المسلمين^(١).

أبوسفيان محبوباً بمضاييق الوادي ينظر إلى جيوش النبي ﷺ

قال أبوسفيان: وقد حجت بصره جيوش محمد ﷺ لأبي الفضل العباس، يا أبا الفضل، أن ابن أخيك قد كنفه^(٢) ملكاً عظيماً.

فأجابه العباس قائلاً: ويحك يا ابن حرب، والله أنها الرسالة وليست الملك.

وأقبل أبوسفيان من أسفل الوادي يركض يستقبل قومه وذويه، من طغاة مكة وعبداء الأوثان، وقد التقى بطائفة منهم في الطريق، وقالوا له وماورائك يا أباسفيان، وما هذا الغبار؟

قال: محمد في خلق عظيم، فنجده لم يقل رسول الله، ثم صاح يال غالب البيوت البيوت، من دخل داري فهو آمن، ولما عرفت أكلة الاكباد زوجته هند صارت تطرد الناس من بابها، وتقول: أقتلوا هذا الشيخ الخبيث -وهي تقصد زوجها- ما اخبته من وافد قوم وطليلة قوم.

(١) أنظر المصنف: ٥ / ٣٧٦، سنن أبي داود: ٢ / ٣٨ ح ٣٠٢١، السنن الكبرى للبيهقي: ٩ / ١١٨، مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٢٧٢، مجمع الزوائد: ٦ / ١٧٥، فتح الباري: ٧ / ٧، كنز العمال: ١٠ / ٥١٣، السيرة الحلبية: ٣ / ٢٢.

(٢) كنفه: أي أحاطه. أنظر الصحاح: ٤ / ١٤٢٤ مادة كنف.

فقال لها: ويلك اسكتي، فلقد رأيت ذات القرون، ورأيت فارس أبناء الكرام، ورأيت ملوك كندة، وفتيان حمير، وما رأيت أعظم مما رأيت تحت رآية محمد، وقد عهد بأن من دخل داري فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم سوى عشرة سيضرب اعناقهم منهم:

الجويرة بن نفيل بن كعب، ومقيس بن ضبابة، وعبد الله بن حنظل، وصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وعبد الله بن أبي سرح، وسارة مولاة بني عبد المطلب، وآكلة الأكباد هند، وقرينة المغنية، وكانت هذه اللعينة هازئة برسول الله ﷺ، ولما دخل صلوات الله عليه مكة ورآيته بيد أمير المؤمنين عليه السلام، والقبائل تتلوها القبائل أمر رسول الله أمير المؤمنين أن يضرب أعناق أولئك الفجرة إلا واحداً منهم وهو اللعين عبد الله بن حنظل فقد قتله المجاهد الكبير عمار بن ياسر.

أما صفوان بن أمية فقد هرب إلى جده فاستأمنه عبد الله بن وهب، وأما عكرمة بن أبي جهل فقد هرب إلى اليمن ثم أسلم هناك كرفاقه في الشرك لساناً لا قلباً، لغرض نجاته من الموت، أما اللعين عبد الله بن أبي سرح فقد عرف أن أمير المؤمنين موجوداً في دار عثمان فمشى إليه، واستشفعه عثمان.

فقال رسول الله: عفوت ولكنه كان جزاءه القتل.

فقال سعد بن عباد: لو رمزت^(١) يارسول الله.

قال: لارمز من النبي.

(١) رمز: أي لو اعطينا إشارة بذلك. [أنظر لسان العرب: ٥ / ٣٥٦ مادة رمز]، من المؤلف

أما سارة مولاة بني عبد المطلب فقد وجدت قتيلة، وأما اللعينة هند فقد لزمت دارها^(١).

لنقف مع أبو سفيان مرة أخرى، لنقول أنه لم يجد ابن حرب وسيلة أو ثغرة ينفذ منها إلى المجتمع الإسلامي، ويظهر وجاهته خيراً من العباس الذي اتخذ منه واجهة في المواطن المحرجة ليشفع فيه، ويرفع من معنوياته بين المسلمين.

ولما استقرت الأحوال في مكة، أوكادت أن تستقر عاود أبو سفيان لأبي الفضل العباس وكلمه في بيعة النساء، وعاونته أم الفضل في ذلك اذ جاءت إلى النبي، وقرأت: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾^(٢)، فقبل بيعتهن صلوات الله عليه^(٣).

أما الذين عجزوا عن كتم أحقادهم، وأبوا إلا القتل فقد أمر النبي بحصدهم، وقد قتل أكثرهم وهرب الباقون، وقد من قتل المسلمين يوم الفتح الاكبر ثلاث نفر دخلوا مكة من اسفلها وأخطأ الطريق فقتلوا^(٤).

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ١٧٩، إعلام الوري بأعلام الهدى: ١/ ٢٢٣، الدر النظيم: ١٧٨، الأنوار العلوية: ٢٠١.

(٢) سورة الممتحنة ٦٠: ١٢.

(٣) أنظر مجمع البيان: ٩/ ٤٥٦، مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ١٧٩، الدر النظيم: ١٧٨، كنز العرفان: ١/ ٣٨٥، زبدة التفاسير: ٧/ ٣٨.

(٤) أنظر الدر النظيم: ١٧٩.

ومن قتله الشرك هو أسد بن غويلم، هذا الطاغية المعروف بيأسه وشجاعته، أبا إلا المضي في الحرب والعدوان غير متعص بما حل بالمشركون، وبقي يطلب من المسلمين البراز، والكل يحجمون^(١) عنه ويطأطئون رؤوسهم دونه، والرسول ﷺ يشحذ همم القوم، بضمان الجنة لمن يبارزه، ولكن عبثاً كانت المحاولة، إذ سادهم الوحوم^(٢) إلا بطل الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، نهض قائلاً لرسول الله: أنا له يارسول الله.

شأنه في ذلك كشأنه في المواطن كلها التي سبقتها، فقال له النبي: هو لك يا أبا الحسن.

فبرز بأبي وأمي، وهو يرتجز بقوله:

ضربته بالسيف وسط الهامة	بضربة صارمة هدامه
فبتكت من جسمه عظامه	وبينت من رأسه عظامه ^(٣)

فبقى أمير المؤمنين مصداقاً تطابق قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤)، وسبحان الذي نصر عبده وايد جنده، وخذل الأحزاب وحده، وسبحان الذي أعاد محمداً ﷺ فاتحاً مكة بعد أن كان هارباً منها

(١) يحجمون: أي يتكاسلون. أنظر الصحاح: ١٨٩٤ / ٥ مادة حجم.

(٢) الوحام: أي الاستصعاب. أنظر الصحاح: ٢٠٤٩ / ٥ مادة وحم.

(٣) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٣٣٢ / ٢.

(٤) سورة النساء: ٤: ٦٤.

فمنحه بعد الضعف قوة، وبعد الهزيمة سلطاناً وفتحاً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الملك.

مفتاح البيت

ولما دخل النبي ﷺ مكة، سئل عن مفتاح البيت، فقالوا: عند بنت شيبه فأمر أبنها بحضور المفتاح، فذهب ممثلاً إلى أمه فقالت له: قتل مقاتلينا، ويريد أن يأخذ مكرمتنا، فرجع إلى رسول الله.

فقال له النبي ﷺ: ((ويلك فلتعطنا المفتاح، وإلا أمرت بضرب عنقك))، فرجع لها وجلب المفاتيح، ووضعها بين يديه ﷺ.

فكان دخول النبي الأكرم إلى بيت الله الحرام منتصباً بأذن ربه، فوبعد أن أستلم رسول الله ﷺ المفاتيح ذهب في جحفل من المسلمين، وفتح البيت وستره، ثم دعا غلاماً فبسط رداءه ووضع المفاتيح فيه، واخذ بعضادة باب البيت، وقال: ((لا إله إلا الله، أنجز وعده ونصر عبده. وأعز جنده وغلب الأحراب وحده))^(١).

(١) أنظر المغازي: ٢ / ٨٣٣، تاريخ مدينة دمشق: ٣٨ / ٣٨٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧ / ٢٧٩.

بيان إسلامي خطير

بعد أن أخذت الأمور قرارها، أو كادت أن تأخذ استقرارها أمر رسول الله ﷺ إعلان البيان الآتي:

وذلك تطميناً لخواطر الناس، وتهذئة لهم وهو:

((ألا أن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية فإنها موضوعة تحت قدمي، إلا سدانة الكعبة^(١) وسقاية الحاج فإنهما مردودتان إلى أهليهما، ألا أن مكة محرمة بتحريم الله لم تحل لأحد كان قبلي ولم تحل لي إلا ساعة من نهار فهي محرمة إلى أن تقوم الساعة لا يختلى خلاها، ولا يقطع شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد.

ثم قال: ألا بئس جيران النبي كنتم لقد كذبتهم وطردتهم وأخرجتم وفللتهم، ثم ما رضيتهم حتى

جئتموني في بلادتي تقاتلونني فاذهبوا فأنتم الطلقاء)).

وهؤلاء الطلقاء المجرمون كانوا البارود الذي يكمن وراء أسم الدين يتربص للانفجار لينسف كيان الإسلام من أساسه^(٢).

(١) سدانة الكعبة: أي خدمة الكعبة، وتولي أمرها، وفتح بابها وإغلاقه. أنظر القاموس الفقهي: ١٦٨.

(٢) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ١٨٠، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٦٠، تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٤٥، إعلام الوري بأعلام الهدى: ١/ ٢٢٦.

بلال يؤذن في مكة

أذن بلالاً للمرة الأولى على الكعبة فكره ذلك عكرمة بن أبي جهل، وقال الحرث بن هشام: أما وجد محمداً غير هذا الغراب الأسود مؤذناً! وكان أبو سفيان معهم.

فقال: أني لا أقول شيئاً، فوالله لو نطقت لنقلت هذه الجدران كلامي إليه، وبينما هم كذلك جاءهم رسول النبي ﷺ يدعوهم إليه، فحضروا، والذل والخزي والعار يعلو وجوههم فأخبرهم رسول الله بكلماتهم، وتفاصيل ما قالوا، ووبخهم وأغلظ عليهم، ولكنه رحمهم وتاب عليهم^(١).

أصنام الكعبة

ولنسمع ما رواه لنا الصحابي الكبير جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: دخلنا الكعبة مع رسول الله ﷺ، وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله؛ فالقيت كلها لوجوهها، وكان على البيت صنم طويل، يقال له: هبل.

فنظر النبي إلى أخيه علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال له: ((يا علي، تركب علي أو أركب عليك؟

قال: بل تركبني يا رسول الله، فلما جلس على ظهره لم يستطع حمله لثقل الرساله.

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ١٨٠، الأنوار العلوية: ٢٠٣،

فقال أمير المؤمنين: بل أركب ظهرك يا رسول الله، فضحك النبي وطأطأ ظهره، ليصعد أمير المؤمنين عليهما والهما الصلاة والسلام، ولما استوى عليه، قال: يامعشر الناس، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو أردت أن أمسك السماء الآن لمسكتها.

فسحب هبل إلى الأرض وهشمه، فنزلت الآية: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) ((٢)).

تلك يا قارئ الكريم كانت بعض صفحات المجد ومآثر الفخر، من كفاح الفتى علي عليه صلوات الرحمن من مبيته على فراش النبي ﷺ حتى احتضانه اياه ساعة وفاته، عندما كانت رأسه الكريم على صدره حتى فاضت روحه الكريمة بين يديه، فأخذها وامررها على وجهه، وقام بتغسيله والملائكة المقربون اعوانه^(٣).

ملك يهبط، وملك يعرج ليصلون على النبي، وما فارق سمع أمير المؤمنين همهمتهم حتى واره في ضريحه، فقبل ترابه وبكاه طويلاً، وروى أن علي عليه السلام لما كشف الأضرار عن وجه حبيبه واخيه رسول الله، وقد أكمل غسله، وانحنى عليه وقبله مراراً، وبكى طويلاً، وقال:

(١) سورة الإسراء ١٧: ٨١.

(٢) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ٣٩٨، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١ / ٤٥٣ ح ٤٨٠، نهج الإيمان: ٦٠٨.

(٣) إشارة إلى كلامه عليه السلام الذي بين فيه ما اختصه الله دون غيره. أنظر نهج البلاغة: ١٧١/٢.

((بأبي انت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة، والأنباء، وأخبار السماء خصصت^(١)، حتى صرت مسلماً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لانفدنا عليك ماء الشؤون^(٢)، وكان الداء مامطلاً، والكمد^(٣) محالفاً وقلاً لك^(٤)، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك))^(٥).

تعليق قصير:

انني على يقين بأننا لسنا بحاجة إلى مزيد من الإيضاح، بل ولا مزيد من القول لنسلط به الضوء أكثر مما القينا في الفصول السابقة، لأن أمير المؤمنين أبي الحسين، الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام نفس رسول الله، وأخو حامل الرسالة صلوات الله عليهما، كان كالقطب من الرحى^(٦) في حياة النبي كلها، بما فيها من نجواه، وأسراره، وهجرته، وحروبه، وسلمه، أسفاره.

(١) خصصت: أي خصص أهل بيته بالعلم، والرعاية، وتعيين المنزلة التي امر الناس بلزوم رعايتها، من المؤلف.

(٢) دسعت: أي اخرجتم قيئكم. أنظر لسان العرب: ٨ / ٨٤ مادة دسع.

(٣) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٤) الداء المماطل، والكمد المحالف أي قليلان قياساً إلى فراقك، من المؤلف.

(٥) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٨.

(٦) القطب من الرحى: أي الحديدة المركبة في وسط حجر الرحى السفلي التي تدور حولها العليا. أنظر الصحاح: ١ / ٢٠٤ مادة قطب.

فهو ملاصق له من مهده، وصاحب رأيته، وموضع علمه، وحكمته، ووصيه، وفوق كل ذلك ما نزل من القرآن وجاء من الحديث في عظيم منزلته عند الله ورسوله سواء في الدنيا أو في الآخرة، فكل هذه المزايا ذهب لمح البصر ادراج الرياح من عقول وقلوب المشركين الظالمين، وكأنها ماكانت وصارت لولب الأمور.

وبل جعلوا علياً كسائر الناس بل، ومضطهداً في أمور كثيرة، ومن ثم محارباً، ومن ثم مقتولاً وشهيداً، هذا الأحداث كلها من أولها إلى آخرها يصورها لك الإمام بكلماته التي يخاطب بها النبي، وجثمانه الكريم لايزال غصناً طرياً، والقبر لايزال ندياً، فنجده يتنفس هذه الآلام وهو بعد لم يضرب قدماً واحداً في طريقه بعد افتقاد الرسول، ويقول: ((أشكو إليك كمداً^(١)، وإدباراً مخالفين وداء الفتنة، فإنها قد استعرت نارها وداؤها الداء الأعظم...))^(٢).

وأعاد شكواه على قبر الزهراء عليها السلام حين دفنها سراً، وقال يخاطب النبي: ((السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي^(٣)، إلا أن لي في التآسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز.

(١) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢/١٣.

(٣) تجلدي: أي صلابتي. أنظر الصحاح: ٢ / ٤٥٨ مادة جلد.

فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نخري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة.

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد^(١) إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكم سلام مودع لا قال ولا سئم.

فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين^(٢).

وهما كلمتين قالها هي كلمته على جثمان النبي الطاهر، وكلمته على جثمان بضعته الزهراء المطهرة تنبئك عن مدى الآلام التي ملأت صدره الكريم، وهو قوله: ((فصبرت وفي العين قذى^(٣)، وفي الخلق شجاً^(٤)، أرى تراثي نهياً^(٥))).

(١) مسهد: أي قليل النوم. أنظر الصحاح: ٤٩٢ / ٢ مادة سهد.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٢ / ٢.

(٣) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٢٠٢ / ٥ مادة قذى.

(٤) الشجاء: ما اعترض في الخلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦ / ٦.

٢٣٨٩ مادة شجاء.

(٥) نهج البلاغة: ٣٢ / ١.

في مدى الظلم الذي أصابه والاحجاف الذي لحق به بعد وفاة النبي قال صلوات الله عليه: ((فوالله ما كان يلقي في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزجج هذا الأمر من بعده ﷺ عن أهل بيته...))^(١).

وماراً قالها: ((فمن ذا احق به مني حياً وميتاً؟ فأنفذوا على بصائرکم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فوالذي لا إله الا هو إني لعلی جاءه الحق، وإنهم لعلی مزلة الباطل، وأقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم))^(٢)، ولكن القوم صالوا وجالوا، واجتمعوا وحاولوا، واختاروا خليفة، وكأن ذلك اللولب ما كان على قيد الوجود.

أما الزهراء فقد فقدت أبوة رحيمة، ونبوة كريمة، وأمست مهیضة الجناح^(٣)، كسيرة القلب، موجعة الفؤاد، وبدلاً من أن تواجه ظرفاً مخففاً، وجواً مهوناً فقد واجهت البخس والهوان، والقطيعة والحرمان، مما حملها على الانتقال إلى أطراف يثرب لتقيم هناك معتكفة لتبكي اباهما بما وسعها البكاء، وتندبه بما وسعها الندب نازحاً لبیت ستمته بیت الأحران^(٤).

أجل الأحزان التي كشفت عن أبعادها واعماقها بخطابها للذين ظلموا وتسببوا بتلك الأحزان التي عاجلتها، وحثت الخطى فيها لنقلها إلى مثوى المصطفى المختار، وجيرة الرب الغفار، ولسخطها على أبي بكر وعمر أوصت

(١) نهج البلاغة: ٣ / ١١٩.

(٢) نهج البلاغة: ٢ / ١٧٢.

(٣) مهیضة الجناح: أي مكسورة الجناح مرة بعد الأخرى. أنظر العين: ٤ / ٦٩ مادة هيض.

(٤) أنظر بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٧ ح ١٥، اللمعة البيضاء: ٨٥٨، النص والإجتهد: ٣٠١.

بعلمها الإمام عليه الصلاة والسلام أن يدفنها سراً، وتحت جناح الظلام، ويطبق لها قبوراً متعددة لتمنعهما من الصلاة عليهما^(١).

وكان رثاها في تأبين أباهما سيد المرسلين هو:

((يا أبتاه جنة الخلد مثواه، يا أبتاه عند ذي العرش مأواه، يا أبتاه كان جبريل يغشاه يا أبتاه لست بعد اليوم أراه))^(٢).

بعد الرجوع من دفن النبي ﷺ

وبعد أن رجع أمير المؤمنين عليه السلام والهاشميون حوله من دفن عميدهم، وعميد الخلائق أجمعين جاءه العباس وأبو سفيان كائداً لا صادقاً يطلبان مبايعته، فقال لهما ومن معهما:

((أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وخرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها آكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها^(٣) كالزراع بغير أرضه فإن أقل يقولوا حرص على الملك.

(١) أنظر دلائل الإمامة: ١٣٦، الهداية الكبرى: ١٧٨، الاحتجاج: ١/ ١٣٦.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣/ ١٣.

(٣) إيناعها: أي نضجها. أنظر الصحاح: ٣/ ١٣١٠ مادة نبع.

وإن أسكت يقولوا جزع من الموت، هيهات بعد اللتيا والتي والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمه، بل اندمجت علي مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشية^(١) في الطوي البعيدة^(٢).

تعليق:

ويكشف لنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا للعباس وأبي سفيان أمرين بجانب عظيم من الخطورة والأهمية، أولها: أنه صلوات الرحمن عليه يملك من العلم ما لا يملكه البشر إطلاقاً؛ لأن علمه هذا ممن أوحى إليه السماء، ونزل إليه جبرائيل عن الله سبحانه، فأعطاه علماً من علم الله جل جلاله، ولو لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو مربي علياً عليه السلام، ومؤديه، ومعلمه، ومخبره، بكل ما نزل عليه لما أستطاع أمير المؤمنين دون العالمين أن يقول مراراً، وعلى رؤوس الأشهاد: ((أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني، فلانا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض...))^(٣).

وثانيها: أنه صلوات الله عليه وعلى رسول الله يعلم علم اليقين ماستواجه الخلائق في ذلك اليوم المشهود من الأهوال التي عرفها حق معرفتها عن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، تلك الأهوال التي قال فيها حين أشار إليها: ((لو تعلمون ما أعلم مما انطوى عليكم غيبه، لخرجتم الى الصعدات^(٤) تكون على

(١) الأرشية: أي الجبل. أنظر لسان العرب: ١٤ / ٣٢٢ مادة رشا.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠/١.

(٣) نهج البلاغة: ١٣٠/٢.

(٤) الصعدات: جمع صعد أي طريق. الصحاح: ٢ / ٤٩٨ مادة صعد.

اعمالكم، وتلتدمون^(١) على انفسكم، ولتركتكم اموالكم لا حارس لها، ولا خالف عليها، ولهت كل امرئ نفسه لا يلتفت إلى غيرها.

ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، وأمتم ما حذرتكم، فتاه عنكم رأيكم، وتشتت عليكم أمركم، ولوددت أن الله فرق بيني وبينكم وألحقني بمن هو أحق بي منكم...))^(٢).

وللسبيين المذكورين علم بما سيقع في ذلك اليوم المشهود من أهوال، وما سيقع على العباد والخلائق مما لا تطيقه نفوسهم، ولا تتحملة عقولهم، فاصبحت الدنيا عنده لاتوازي ورقة في فم جرادة تقضمها^(٣).

وتبعاً لذلك فما هي قيمة الخلافة أذن عنده؟ اللهم إلا أن تكون وسيلة للفوز بالآخرة في إقامة الحق وإزهاق الباطل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما من الناحية الشخصية فالأمر عنده يتساويان راع كان أو رعية؛ لأنه في الحالتين نرى خاتم النبیین واخاه ينزله ولايته بأمر من الله إلى عباده أجمعين، بدليل رداءه البالي وقرصه اليايس، واذا بقى عنده من حطام الدنيا درهماً تصدق به أما ليلاً أو نهاراً، سرّاً أو علاناً^(٤).

(١) تلتدمون: أي ضرب الصدور من النياحة. أنظر الصحاح: ٢٠٢٩ / ٥ مادة لدم.

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٩ / ١.

(٣) إشارة إلى قوله ﷺ: ((وان دنیاکم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقظمها، ما لعلی ونعيم یفنی، ولذة لا تبقى؟ نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين)). نهج البلاغة: ٢ / ٢١٧.

(٤) إشارة إلى قوله ﷺ: ((ألا وان إمامکم قد اکتفی من دنیاہ بطمریة، ومن طعمه بقرصیه،

لذلك تجده صلوات الرحمن عليه يزهد في الدنيا وفي كل ما فيها، ويقول للعباس وأبا سفيان:

شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها^(١) كالزارع بغير أرضه...^(٢).

والهوض الذي ذكره لك إنما هو محض إقامة الحق وأزهاق الباطل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الأمر الذي فرضه الله على العالمين كما فرض عليهم تأدية أركان الإسلام الأخرى من صلاة، وزكاة، وخمس، وحج، وصيام، وإمامة.

تعليق:

ويمكنك أن تعرف مدى تألب المنافقين عليه لضطهاده، والوثوب على حقه، وسلبه سلطان أخيه النبي ﷺ من خلال الأمر الذي أمر به الله نبيه صلوات الله وسلامه عليه يوم الغدير، فإن هذا الاضطهاد الذي تجرع غصاصته من الظالمين بين مدى الاجحاف الذي أصابه منهم، ولم يكن

ألا وانكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع، واجتهاد، وعفة، وسداد، فوالله ما كنت من ديناكم تبرأ، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبلي ثوبي طمراً)). نهج البلاغة: ٧١/٣.

(١) إيناعها: أي نضجها. أنظر الصحاح: ٣/ ١٣١٠ مادة ينع.

(٢) نهج البلاغة: ٤٠/١.

اجحافاً له فقط بل هو اجحاف بمقام النبوة، واعتداء على رسالة السماء، ومقدارات الإسلام رغم أن الجميع يعلمون علم اليقين بأنه هو صاحب الأمر والولاية الكبرى، ويقع في صميمها موقع القطب من الرحى^(١)، ينحدر عنها السيل ولا يرقى إليه الطير^(٢).

أقول: ويمكنك أن تعرف مدى الظلم الذي لحقه بعد دفن النبي المكرم من كلماته، وآياته حين مد العباس وأبو سفيان يدهما إليه لمبايعته، فقال لهما ولمن جاء معهما وكان على رأيهما: ((أيها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا عن تيجان المفاخرة، أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح هذا ماء آجن، ولقمة يغص بها أكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها^(٣) كالزراع بغير أرضه...))^(٤).

وما أكثر الظروف التي تنفس فيها عما في صدره الكريم من آهات وزفرات، تارة على قبر أخيه النبي حين أنزله إلى حفرتة، تارة على قبر سيدة

(١) القطب من الرحى: أي الحديد المركبة في وسط حجر الرحى السفلي التي تدور حولها العليا. أنظر الصحاح: ٢٠٤ / ١ مادة قطب

(٢) إشارة إلى قوله ﷺ: ((أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وانه ليعلم ان محلي منها محل القطب من ارحى، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلى الطير، فسدت دونها ثوبا، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرثي بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمية، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه...)).
الاحتجاج: ٢٨٢ / ١.

(٣) إيناعها: أي نضجها. أنظر الصحاح: ١٣١٠ / ٣ مادة ينع.

(٤) نهج البلاغة: ٤٠ / ١.

النساء، وأخرى في شقشقيته، ومرات ومرات في خطبه، وأياماً شكاً من قلة الناصر، وفقدان المعين.

اللهم إلا حين زحفت اليه الأمة بعد مقتل ابن عفان، وقامت الحجة بأبي وأمي عليه بوجود الناصر، فنهض بجناح لينفذ ما عهده به إليه أخيه خاتم النبیین ﷺ من مقاتلة الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وتعرف ذلك من كلمته المدوية: ((وقد قلبت هذا الامر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد ﷺ، فكانت معالجة القتال أهون على من معالجة العقاب، وموتات الدنيا أهون على موتات الآخرة))^(١).

فنزل عند إرادة الأمة، وقام بخلافة نبههم، وزهد بولايتهم؛ ليقيم حقاً ويدفع باطلاً، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فمد يده للشعب مكرهاً، لانه يعرفهم ويعلم أنهم غير جديرون بالبيعة، وأن أكثرهم رعا عملوا العقيدة، متغيروا الأهواء، رصيدهم خالياً من طاعة الرحمن، فطم أكرهم على ولاية الشيطان.

وإذ البيعة الإجماعية ما كادت تقوم بشكل منقطع النظير حتى نكتث طائفة، ومرقت أخرى، وقصط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام الله حين قال: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/٤.

وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ^(١)، وأن الغصص التي تجرعها من هؤلاء المنافقون شهدت عليها أكثر خطبه واقواله سلام الله عليه، كرسالته لأخيه.

سلام عليك يا عقيل، فقد قال فيها: ((فدع عنك قريشا وتركاضهم^(٢)) في الضلال، وتجوالهم في الشقاق^(٣))، وجماهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي^(٤)، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أُمي^(٥))).

وهنا ابن أمه هو خاتم المرسلين؛ لان عبد الله وأبو طالب أمهما واحدة كانت تحت عبد المطلب وهي الطيبة: فاطمه بنت عمرو بن عائذ بن مخزوم فالأم واحدة^(٦)، لذلك تجده يخاطبه بها كما خاطب هارون موسى قبله بقوله تعالى: ﴿ابْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٧).

نعم، هذا هو كلامه في كل ظروف المحنة، ولكن هلم وأسمع من امره عجباً فحين تمخضت شورى ابن الخطاب كما سماها الأستاذ احمد عباس

(١) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

(٢) تركاضهم: أي مبالغتهم بالسرعة للضلال. أنظر الصحاح: ١٠٨٠ / ٣ مادة ركض.

(٣) الشقاق: العناد والخلاف والعداوة. أنظر الصحاح: ١٥٠٣ / ٤ مادة شقق.

(٤) الجوازي: جمع جائزة أي المكافأة. أنظر الصحاح: ٨٧١ / ٣ مادة جوز.

(٥) نهج البلاغة: ٦١ / ٣.

(٦) أنظر انساب الأشراف: ٨٧ / ١.

(٧) سورة الأعراف ٧: ١٥٠-١٥١.

صالح صاحب كتاب اليمين^(١) عن قيام ثالث القوم نافجا حضنيه بين ثيلة ومعتله^(٢)، قال أمير المؤمنين وهو المظلوم وأمة محمد معه هي المظلومة: ((لقد علمتم أنني أحق الناس بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة))^(٣).

وأن سعة صدره في الله هي التي أفسدت مخطط تلك الشورى الظالمة التي كانوا يرمون من ورائها أمرين:

الأول: تسليم الخلافة إلى آل أمية عن طريق ابن عوف صهر عثمان.

ثانياً: قتل أمير المؤمنين، أذ إن ابن الخطاب أوصى بقتل كل من يخالف الجبهة التي فيها ابن عوف^(٤)، وسيحكم الله وهو خير الحاكمين، ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون^(٥).

دعاء:

اللهم إنا عبادك المؤمنون، نسجد إجلالاً، وتقديساً، وشكراً لآلائك، ونعمك، يا أرحم الراحمين على بعثك مصطفىاً محمد رحمة للعالمين، وسيداً

(١) أنظر اليمين واليسار في الإسلام: ٧٦.

(٢) الثيل الروث والمعتلف موضع العلف. أنظر الصحاح: ٥ / ١٨٢٥ مادة نثل.

(٣) نهج البلاغة: ١ / ١٢٤.

(٤) أنظر تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٢٩٤.

(٥) إشارة لخطاب الزهراء عليها السلام: ((ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم))، الموجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١ / ١٣٦.

على المرسلين، ثم اختيارك علياً من بين خلائقك بجعله خاتماً للوصيين وأميراً للمؤمنين، وهادياً للعالمين.

وحين يصرفنا عجزنا عن معرفة اسرارهما، وإدراك كنههما، وخطير شأنهما، وعظيم منزلتهما لديك إلى محض تصديقها والإيمان بما صدر عنها، والولاء لها، وليس لنا إلا أن نترك تقدير ذلك كله إلى علم جلالك، وعظمتك، وقدرتك، فانت خالقهما، وخالق كل شيء، أنت أعلم بشانهما، ومقامهما لديك.

وأخيراً فقد رايتني فيما اتعاطى من وصف فضلهما كالمخبر عن ضوء النهار الباهر، والقمر الزاهر، الذي لا يخفى على الناظر؛ أيقنت إن العجز منسوب الي وقد قصرت عن الغاية، فالله عزت قدرته نسأله وهو أكرم مسؤول أن يوفقنا للإقتداء بهما، وولاءهما، والسير على هديهما وصراطهما، ويرزقنا شفاعتهما يوم لا يشفع أحد إلا باذنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جهاد علي الكهل^(١)

والمراد هو جهادة في يوم المتقلب، أو يوم الفتنة الكبرى وهو يوم السقيفة، وما أدراك ما يوم السقيفة، وأما تحديد وقت هذا الجهاد فمحصّر بين منقلب السقيفة في الإسلام حتى مصرع ابن عفان الذي أجهز عليه عماله، وكبت به بطنته^(٢).

أما محنة جهاده في هذه الفترة العصيبة كانت تكمن وراء شيء رئيسي وأحد، وهو قناعته، وقناعة كل الذين امنوا به وعرفوا مقامه، وأقروا إنه كان صاحب الحق أولاً وآخرأ، وإنه بمقام نفسه وأخيه النبي بعد إنتقاله إلى حضير القدس.

وبالنظر لما نزل في القرآن فيه من الفضائل مما لم ينزل منه كلمة واحدة بحق أحد من أصحاب محمد ﷺ بل ليس ذلك فحسب، وإنما عاتب الله هؤلاء في مواطن كثيرة منها ما حصل من فرارهم يوم معركة أحد^(٣)، ويلخص لك محتته طوال تلك السنين العجاف خطابه التاريخي العظيم المعروف بالشقشقية الذي سنذكر لك سطور، وخطابه على قبر النبي بعد أن فرغ من

(١) الكهل: أي من خطه الشيب. أنظر الصحاح: ٣ / ٣٧٨ مادة كهل.

(٢) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام: ((إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث قتله، وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته)). نهج البلاغة: ٣٥/١.

(٣) أنظر الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١ / ٨٤، مجمع البيان: ٢ / ٤٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١/١٥.

تجهيزه وتكفينه وانزاله إلى ملحودة قبره وكبار ملائكة الرحمن أعوانه^(١)، وخطابه على قبر الزهراء الذي يخاطب فيه خاتم المرسلين، ويقول له: ((فأحفها السؤال واستخبرها الحال..))^(٢).

وخطابه، بل وخطاباته بعد أن تمخضت مهزلة الشورى عن صيرورة ابن عفان خليفة على المسلمين، وخطاب الزهراء عليها أفضل السلام في مسجد أبيها وأمام أبي بكر وحشد من المهاجرين والأنصار^(٣)، وخطاب الزهراء في بيتها حين زارتها نسوة من الأنصار^(٤).

وخطب الإمام كثيرة كانت نفحات مصورة، وزفرات تتكلم عما شحن قلبه قيحاً، وصدرة غيضاً، وبعينه قذى^(٥)، وبحلقه شجا^(٦)، وبعد أن مر أكثرها في الفصول السابقة، سنذكر نبذ منها، أمثال الشقشقية التي يقول فيها عليه صلوات الرحمن:

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢/١٣.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٢/٢.

(٣) أنظر الاحتجاج: ١٣٢/١.

(٤) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣/١٦، الاحتجاج: ١/١٤٧، أمالي الطوسي: ٣٧٤ ح ٨٠٤.

(٥) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٥/ ٢٠٢ مادة قذي.

(٦) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦/ ٢٣٨٩ مادة شجا.

((أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة، وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي^(١)، ينحدر عني السيل، ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوبا^(٢)، وطويت عنها كشحاً، وطفقت^(٣) أرتأي بين أن أصول بيد جذا، أو أصبر على طخية^(٤) عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أجحى، فصبرت وفي العين قذى^(٥)، وفي الحلق شجا^(٦)، أرى تراثي نهياً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده، فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما تشطرا ضرعيها بعده، ثم تمثل بقول الأعشى:

مشتان ما يومي على كورها ويوم جيان أخي جابر

فصيرها في ناحية خشاء بجفو مسها، ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة إن أشنق لها خرم، وإن أسلس لها

(١) القطب من الرحي: أي الحديد المركبة في وسط حجر الرحي السفلي التي تدور حولها العليا. أنظر الصحاح: ٢٠٤ / ١ مادة قطب

(٢) سدت: أي أرخيت، وهذا الارخاء كناية عن إعراضه عنها. أنظر الصحاح: ٥ / ٢٠٢٨ مادة سدل.

(٣) طفقت: أي جعلت. أنظر العين: ٥ / ١٠٦ مادة طفق.

(٤) الطخية: أي السحاب ويطلق ويراد به نشيهاً إلى الهم والغم. أنظر الصحاح: ٦ / ٢٤١٢ مادة طخا.

(٥) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٥ / ٢٠٢ مادة قذى.

(٦) الشجا: ما اعترض في الحلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦ / ٢٣٨٩ مادة شجا.

تقحم، فمني الناس^(١) لعمر الله بخبط^(٢) وشماس^(٣)، وتلون واعتراض، فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله، فجعلها شور في جماعة زعم أنني أحدهم.

فيا لله وللشورى، متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر، لكنني أسففت إذ أسفوا^(٤)، وطرت إذ طاروا، فصبرت على طول المحنة، وانقضاء المدة، فمال رجل منهم لضغنه^(٥).

ويقصد في آخر كلامه سعد بن أبي وقاص وهو من بني عم عبد الرحمن، لأن كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من علي^{عليه السلام} من قبل أخواله، لأن أمه جنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان، لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختاً لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالاً لعثمان لصلات بينهما، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انخراجه عن علي^{عليه السلام} لأنه تيمى وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر.

(١) مني الناس: أي ابتلى. أنظر الصحاح: ٦ / ٢٤٩٨ مادة منا.

(٢) خبط: أي التخطب بالحركة والمسير على غير استقامة. أنظر الصحاح: ٣ / ١١٢١ مادة خبط.

(٣) شماس: أي الاضطراب وقلة الاستقرار. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٣ / ٢١٢ مادة شمس.

(٤) أسففت: أي انخفضت إلى الأرض إذا انخفضوا. أنظر العين: ٧ / ٢٠١ مادة سف.

(٥) الاحتجاج: ١ / ٢٨٤.

وبعد موت عمر بن الخطاب اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا، وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان والزبير إلى علي وسعد إلى عبد الرحمن، وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام، وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير، وقال إذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن بن عوف^(١).

وهكذا ينكشف ما قاله أحمد عباس صالح في كتابه اليمين واليسار في الإسلام ونص كلامه هو: (ولا يستبعد أن يكون تشكيل مجلس الشورى بصورته هذه تم عن قصد وتبصر من جانب عمر حتى يضمن إلا تعلق كلمة اليسار في أجهزة الحكم الرسمية)^(٢).

وقائد اليسار الأعلى وزعيمه الأوحى علي بن أبي طالب عليه السلام، وقال الأستاذ أحمد عباس أيضاً: (ثم مؤامرة تنحية علي بن أبي طالب عن الخلافة، وإسنادها لعثمان، وهي المؤامرة التي نجحت جزئياً لأنها انتهت بثورة عارمة استرد فيها اليسار السلطه)^(٣)، أنهى كلام أحمد عباس صالح في كتابه اليمين واليسار في الإسلام.

(١) أنظر تاريخ المدينة: ٣ / ٩٢٥، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٢٩٤، تجارب الأمم: ١ / ٤١٩،

الكامل في التاريخ: ٣ / ٦٧، خلاصة عبقات الأنوار: ٣ / ٣٢٩.

(٢) أنظر اليمين واليسار في الإسلام: ٧٦.

(٣) أنظر اليمين واليسار في الإسلام: ١٣٨.

ونرجع لنستمر في كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته الشقشقية: ((وصفى^(١)) الآخر لصهره، مع هن وهن إلى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه^(٢))، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث عليه فتله، وكبت به بطنته، وأجهز عليه عمله، فما راعني إلا والناس رسل إلي كعرف الضبع، يتثالون علي من كل جانب، حتى لقد وطئ الحسان، وشق عطفائي^(٣))، مجتمعين حولي كريضة الغنم.

فلما نهضت بالأمر نكتت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤)، بلى والله لقد سمعوها ووعوها، ولكن حليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها.

أما والذي فلق الحبة وبرئ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على أولياء الأمر: أن لا يقرروا على كظة ظالم، ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم عندي أهون من عفطة عنز.

(١) صغى: أي مال. الصحاح: ٦/ ٢٤٠٠ مادة صغا.

(٢) نثيله: أي موضع روته، ومعتلفه موضع الاعتلاف. أنظر الصحاح: ٥/ ١٨٢٥ مادة نثل، و٤/ ١٤٠٦ مادة علف.

(٣) عطفائي: أي شق قميصه من جنباه لشدة الازدحام. أنظر العين: ٢/ ١٧ مادة عطف.

(٤) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

قال: فقام إليه رجل من أهل السواد فناوله كتاباً فقطع كلامه، فأقبل ينظر إليه فرغ من قرائته، قال ابن عباس: قلت له: يا أمير المؤمنين لو أطردت مقالتك من حيث أفضيتها.

قال: يا بن عباس هيهات هيهات تلك شقشقة هدرت ثم قرت.

قال ابن عباس: فما أسفت على شيء ولا تفجعت كتفجعي على ما فاتني من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ((^(١)).

وخطابه صلوات الرحمن على رسول الله وعليه، بعد أن أكمل الوصي تجهيز النبي وكانت الملائكة المقربون أعوانه، كشف عليه السلام الإزار^(٢) عن وجهه حبيبه وأخيه، بل ونفسه خاتم النبيين، وانحنى عليه وقبله مراراً، وبكى طويلاً، وقال: ((بأبي انت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة، والأنباء، وأخبار السماء خصصت^(٣)، حتى صرت مسلماً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لانفدنا عليك ماء الشؤون^(٤)، ولكان الداء مماتلاً، والكمد^(٥) محالفاً

(١) الاحتجاج: ١ / ٢٨٧.

(٢) إزار: أي ما يحيطه من الكفن. أنظر لسان العرب: ٤ / ١٦ مادة أزر.

(٣) خصصت: أي خص أهل بيته بالعلم، والرعاية، وتعيين المنزلة التي امر الناس بلزوم رعايتها، من المؤلف.

(٤) دسستم: أي اخرجتم قيئكم. أنظر لسان العرب: ٨ / ٨٤ مادة دسع.

(٥) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

وقلا لك^(١)، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك^(٢).

ولله درك يا أبا الحسن مصائب تلو مصائب، وفتن تهطل كقطع الليل المظلم، وكل ذلك كان لله؛ ليردوا إلى الله مولاهم الحق، ويبطل ماكانوا ينفذون، ثم ليلوهم فيه، وليبين لهم يوم القيامة ماكانوا فيه يختلفون، فأين يذهبون وإن جهنم لمحيطة بالكافرين^(٣).

الطامة الكبرى

قال الإمام علي عليه السلام: ((لو استمكنت من أربعين رجلاً))^(٤).

الطامة الكبرى في مشروع عمر بن الخطاب الذي يهدف حرق دار النبوة بمن فيها، لذلك ننقل فيما يلي فصلاً خطيراً، وإعصاراً مدوياً، وعدواناً سافراً، على الله وعلى رسوله وآله صلى الله عليهم أجمعين، ولعن الله اعدائهم إلى يوم الدين، وذلك عن كتاب المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب للأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

مما يدفع شبهة أهل الجدل والاحتجاج هنا أن القضية برمتها ينقلها قطباً من أقطاب أهل العامة، ينقلها بكل دقة وأمانة وإنصاف، والموضوع يبدأ في

(١) الداء المماطل، والكمد المحالف أي قليلان قياساً إلى فراقك، من المؤلف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢/١٣.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، سورة

التوبة ٩: ٤٩.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٢٠/٣.

نقاش بين رأسي الفتنة الباغية يوم صفين عمرو بن العاص أو أبو النابغة إن أحب أن تسميه، ومعاوية ابن آكلة الأكباد، حول مشرعة الماء وقد داهمها أصحاب معاوية، وقرر هذا الفاسق حرمان علي عليه السلام وجيشه من الماء.

فأعترض عليه كثيرون، ومنهم ابن العاص، ويقول هنا الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود مانصه: (وحتى ابن العاص لم يرتض الغدر من وليه، ولم ير فيه وسيلة إلى انتصاره، فلما عرف منه العزم على حرمان خصمه الماء ولما تنشب حرب، راح يعظه أن يدع غروره، ويخلي بين عدوه وبين الشريعة بغير جور ولا تحيف^(١)، يردون ويصدرون ما طاب ورد وصادر.

وقال ابن العاص لصاحبه معاوية: خل بينهم وبين الماء، فأن علياً لم يكن ليظماً وأنت ريان، وفي بده أعنة الخيل، وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت.

ففنخ العاهل^(٢) وزفر:

ألا تدعني، أبا عبد الله؟

ويستمر ابن العاص في إقتراحه وكلامه ونصحه لابن هند آكلة الأكباد، ويقول له: إنك تعلم أنه الشجاع المطرق، ومعه أهل العراق وأهل الحجاز..

(١) حيف: أي الميل في الحكم. العين: ٣٠٧ / ٣ مادة حيف.

(٢) العاهر كلمة استعملها الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود يشير بها إلى اللعين معاوية، من المؤلف.

ولقد سمعته أنا وأنت، وهو يقول: ((لو استمكنت من أربعين رجلاً))^(١).

كان ذلك يوم أجهزوا على سلطان أخيه النبي، وسلبوه حقه وتراثه يوم الفتنة الكبرى يوم السقيفة، ومدلولها إن أمير المؤمنين عليه السلام لو أطاعه في ذلك اليوم المشهود أربعين رجلاً لنهض بهم على الواثبين على مقامه وهم الذين اخذوه دون حضوة، ودون مراعاة جدارته، ودون الأسباب المتعددة التي اهلهت لذلك، ودون رأي أصحابه وهم خلص أصحاب محمد، وعلى رأسهم الهاشميون وسعد بن عباد رئيس الخزرج وزعيم الانصار^(٢).

فأجابه ابن آكلة الأكباد: أجل قد قال.

معاوية يذكر، وابن العاص، وفئة أخرى ممن شهدوا ذلك اليوم. الغائب في الغابر، المائل الآن يذكره المفجعة في الحاضر، كيف كانت ثورة الغضب، ونار الحزن تلتهبان على وجه علي عليه السلام، وتأكلان منه حلمه وصبره.. حينذاك لم يكن للحلم موضع ب صدره، ولا للأناة عليه سلطان، كالليث إذ يداس عرينه^(٣)، ويمشي على ذماره المكين ثعلب، فقد غمطوه^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٢٠/٣.

(٢) أنظر إرشاد القلوب: ٣٤١/٢.

(٣) عرينه: أي مأواه. أنظر العين: ٢/ ١١٨ مادة عرن.

(٤) غمطوه: أي عد حقه سفهاً وجهلاً. أنظر الصحاح: ٣/ ١١٤٧ مادة غمط.

انكروا عليه حقه، وقدره، وصهره، تواثبوا في جموعهم، وهو معتزل يعصفون بداره ويقصفونها، ويثون حولها النار، ذلك يوم خالد في الزمان بغله وضغنه، بحيفه وجوره، بحسده وشنآنه^(١)، ترب الطلعة مغبر الجبين.

ما كان عمرو لينسأه أو معاوية، أو هذه البقية التي بقيت اليوم من قريش، ثم من بني عبد مناف، ثم من بني هاشم الذين سلبوا حقهم في تراث الرسول، وود حقد قومهم لو تخطفهم المصارع، ووطئتهم الأقدام، وهم تناثروا (اشلاء)^(٢).

تعليق:

قاتلك الله يا قريش، هل لهذا المستوى تحقدون على الله وعلى رسوله، وتحسدون آله وتستطيلون عليهم، وتسلبوهم حقهم وسلطانهم؟! خذوها الآن من إله لا إله سواه.

ونعود إلى تكملة كلام عبد الفتاح عبد المقصود، وهو: (من خلال كل هذه السنين السوالف^(٣) تشق أحداثه أطباق الزمن إلى الخواطر، كالقبس^(٤) في الظلمة، كألسنه النار التي اوشكت ان تندلع حول البيت تهم بمحصده وتدميره^(٥)، كالصرخة المدوية التي أطلقتها حينذاك فاطمة تجأر فيها بشكواها

(١) شنآنه: أي بغضه. أنظر الصحاح: ٥٧ / ١ مادة شنأ.

(٢) أنظر المجموعة الكاملة للإمام علي بن أبي طالب: ٤ / ١٦٩.

(٣) السوالف: أي ما تقدم وسبق. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٩٥ / ٣ مادة سلف.

(٤) القبس: شعلة من النار. الصحاح: ٩٦٠ / ٣ مادة قبس.

(٥) وأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

إلى رسول الله ﷺ، ولم يكن محمد، وهم يعدون هذه العدو على دار زهرائه.

قد عذب ذكره من الأذهان، قبره ندى بدمعهم، جسمه رطيب كأنما لم تفارقه كل الحياة، شبهه حاضر يملأ عليهم الفضاء كالشذى العاطر، يغيب الطيب وهو مائل لا يغيب، ومع ذلك فلم يكادوا يشيعونه إلى الحدث^(١)، حتى استرقهم مس، وملكهم هوس؛ فأنطلقوا إلى دار ابنته كمردة الشياطين! معهم الشعل في أيديهم الحطب والحراب، ظلالهم دمار ونار.

الموجدة على علي، والحسد لقدرة والخشية أن يفسد اعتزاله هذه البيعة التي ادلوا بها إلى أبي بكر بغرة من آل بيت الرسول، قد حركتهم جميعاً حرد^(٢) نهاية المطاف فيه احتلاب صفي محمد تراث ابن عمه، وإخراج الأمر من يمينه فلا تجتمع الرسالة والخلافة في هذه الدار من هاشم، التي نبت قريش كلها بشرفها وسؤدها، وجرها ابان حقبة الجاهلية وبعد مولد الإسلام كرهوا لها ان تطولهم بالأمرة بعد سموها بالنبوة، وأن يقوم منها سيد بعد موت سيد، وأن يستأثر رجالها بالحكم، ويستأسروا بأقدارهم ومزاياهم هذه الجزيرة الفسيحة التي تعج بالقبائل، كأنما عقمت عن إنجاب امثالهم سائر البطون!

تَظْهِيراً». [سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣]، من المؤلف.

(١) الحدث: أي القبر. الصحاح: ٢٧٧ / ١ مادة جدث.

(٢) الحرد: أي القصد. العين: ٣ / ١٨١ مادة حرد.

وعلى ضياء شعلة مما طوق الدار، ولون الأفق وأشاع في الجو حرة لاح
عمر، وقد تغير وجهه بحنقه^(١)، وتبلبل بعرقه، وتخلل الدخان لحيته، ولمع
حسامه في يمينه كجذوة النار^(٢).

تعليق:

ليت شعري يابن الخطاب، اين كان هذا السيف في غزوات النبي؟

أقتلت به مشركاً واحداً؟!!

واين فررت يوم احد؟!!!

وأما تكمل حديث صاحب المجموعة الكاملة هو: (إنه أحمس^(٣) شديد
في دينه، أحمس شديد في عدله، ولكنه اللحظة أحمس شديد في غنقه
واندفاعه، وهو يم الباب، إنه ليشير الجمهور ويهيج الفتنة، ويهيء الخطب
ليؤثر الحريق^(٤)).

أما أنا اود أن اقطع هذا الحديث واتداخل بسؤال استنكاري اخاطب فيه
ابن الخطاب، قائلاً: اسمعت يابن الخطاب، وأنت قرب النبي ليلاً ونهاراً لما

(١) بحنقه: أي بغيظه. أنظر الصحاح: ٤ / ١٤٦٥ مادة حنق.

(٢) أنظر المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب: ٤ / ١٧٠.

(٣) أحمس: أي شجاع. أنظر العين: ٣ / ١٥٤ مادة حمس.

(٤) المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب: ٤ / ١٧١.

قال لعلي: ((أما ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))^(١)؟!

ويصور لك إجماع هؤلاء الظالمين على حرب صاحب الحق من خلال رسالته لأخيه عقيلاً التي يقول له فيها: ((فدع عنك قريشاً وتركاضهم^(٢) في الضلال، وتجوالهم في الشقاق^(٣)، وجماحهم في التيه، فإنهم قد أجمعوا على حربني كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي، فجزت قريشاً عني الجوازي^(٤)، فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن أُمي))^(٥).

وأين كنت با عمر لما قال ﷺ: ((اني تارك فيكم إثنان ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))^(٦)؟!

وأين أنت من قول النبي ﷺ: ((علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيث دار))^(٧)؟!!

(١) أمالي الطوسي: ٧٢٥ ح ٢٨٨٧، وورد باختلاف يسير في أمالي المفيد: ٥٧ ح ٣، صحيح البخاري: ١٢٩ / ٥، صحيح مسلم: ١٢٠ / ٧.

(٢) تركاضهم: أي مبالغتهم بالسرعة للضلال. أنظر الصحاح: ١٠٨٠ / ٣ مادة ركض.

(٣) الشقاق: العناد والخلاف والعداوة. أنظر الصحاح: ١٥٠٣ / ٤ مادة شقق.

(٤) الجوازي: جمع جائزة أي المكافأة. أنظر الصحاح: ٨٧١ / ٣ مادة جوز.

(٥) نهج البلاغة: ٦١ / ٣.

(٦) ورد الحديث باختلاف يسير. الكافي: ٢٩٤ / ١ ح ٣.

(٧) ورد الحديث باختلاف يسير في أمالي الصدوق: ١٥٠ ح ١٤٦.

وأين كنت من قوله تعالى: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(١)!!!

والآن نستمر في كلام عبد الفتاح وهو: (واستأسد وتنمر، وتصايح وزأر، ثم اندفع من خلال الجموع كالشرر يدق البيت على ساكنيه، ليس هذا بعمر! ماهو بابن الخطاب! الذي جرى بقدميه إعصار الذي انفجر بصدرة بركان، الذي استولى على لبه مارد.

إنه الآن مخمور الامس، عاد سيرته الأولى كحالته من بضعى سنين حين أعماه شركه، وأضله هواه، وختله عن الهدى غروره؛ فسل حسامه وانطلق على درب مكة ينشد النبي، ولسانه إذ ذاك يجري بكفره وخمره: لأقتلن محمداً بسيفي هذا، هذ الصابئ الذي فرق أمر قريش، وعاب دينها، وسفه أحلامها، وشتت مجالسها، وضيع بهارجها.

واليوم أيضاً ختله اندفاعه، وبقية بنفسه لا تزال راسبة من حسد الجدد، وبغضاء الأجيال، هوى كهوى يمضي به، ويحيد بخطوة الثابت فيغدو ويروح على لهيب المشاعل، ويوسوس لنفسه ويهتف بالعصبة التي تؤازره على هجم الدار، ويقول: والذي نفس عمر بيده، ليخرجن أو لأحرقنها على من فيها.

قالت له طائفة: خافت الله، ورعت الرسول في عقبه، يا ابا حفص أن فيها فاطمة.

فصاح لايالي: إن

وأقرب، وقرع الباب، ثم ضربه واقتحمه.

وبدا له علي عليه السلام، ورن حينذاك صوت الزهراء عند مدخل الدار.

فإن هي إلا رنة استغاثة أطلقتها: ((يا أبت رسول الله..))، تستعدي بها الراقد بقربها في رضوان ربه على عسف صاحبه، حتى تبدل العاتي المدل غبر إهابه، فتبدد على الأثر جبروته، وذاب عنفه وعنفوانه، وود من خزي لو يخر صعباً تبتلعه مواطئ قدميه قبل ارتداد هديه إليه.

وعندما نكص^(١) الجمع، وراح يفر كنوافر الأطباء المفزوعة أمام صيحة الزهراء، كان علي يقلب عينيه من حسرة وقد غاض حلمه، وثقل همه، وتقبضت أصابع يمينه على مقبض سيفه تهم من غيظه ان تغوص فيه.

أذكاك ينتهبون حقه، وتراث هاديه، ثم يلوون على انتهاب عمره وعمر أهله البقية الباقية للرسول؟ أذكاك الهوى يضل؟ الآن ظهيره قل يستيبحون منه ما لا يباح فحرمه لهم حل، وأمنه عليه حرام^(٢)، ومد طرفه نحو قبر محمد يناجيه:

((يا ابن أم إن القوم استضعفوني، وكادوا يقتلونني))، وتقلصت شفتاه، وعضت راحته كرة أخرى على حسامه من أسى وحنق^(٣) وحسرة، ثم أغضت عينه لاحيلة.

(١) نكص: أي ارتد ورجع. أنظر الصحاح: ٣/ ١٠٦٠ مادة نكص.

(٢) أي للهاجمين على البيت، من المؤلف.

(٣) بحقه: أي بغيظه. أنظر الصحاح: ٤/ ١٤٦٥ مادة حنق.

فأنه الزمن.

بيت القوم أمرهم بليل^(١).

طيب الله فاك يا عبد الفتاح عبد المقصود، فقد والله بيتوا الأمر بليل، وكأني بهم تعاهدوها يوم الثامن عشر من ذي الحجة بغدير خم للسنه العاشرة للهجرة، وفي حجة الوداع، وحين نزل أمر الله بالولاية الكبرى لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، وبعد التبليغ نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

أجل تعاهدوها ذلك اليوم المشئوم بأن لا يجمعوا الخلافة مع النبوة في آل هاشم، وليكن دون ذلك ضرب الرقاب ونسف الإسلام.

ويستمر عبد الفتاح في كلامه: (بيت القوم أمرهم بليل، هذه الفروع والأصول في الجزيرة أزهـر اليوم تجمعها فغدت تمد الأعناق مستطيلة تحتال، أصابت ثأرها، بلغت وطرها من هاشم، فضلته بعد كل هذه الأعصر الطويلة.

(١) أنظر المجموعة الكاملة للإمام علي بن أبي طالب: ١٧١ / ٤.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٣) سورة المائدة ٥: ٣.

الآن عزت قریش، علت تیم بابن أبي قحافة، وقد انتهت إلیه الخلافة، زهت عدی بابن الخطاب إذ هو صاحب المشورة والوزارة في الدولة الجديدة^(١) طابت نفسا زهرة وأمثالها من البطون والأبیات، وقد نالت جميعها مبتغاها من هذه الدار التي سمت علیها في الغابر حتی أمس بالشرف والمجد والمكارم ذروة كانت عزيزة عن تطلع العیون، وتصور الأخيلة، وشطحة الأحلام والظنون.

كلهم عقدوا النية، وتناصرت حفاظهم القديمة على علي فنازعوه سلطان رسول الله حتی انتزعوه، وهو حينذاك في غفلة من الأمر، مشغول عنهم وعن تدبيرهم، وتآمرهم بالجثمان الطاهر المسجى یجهزه لیرحل الرحلة الأخيرة^(٢).

مضى محمد لغير أوبة^(٣)، فرغت الدنيا من نوره، غاب في قبره، وغاب معه ولاء طالما تسابقوا به یولونه آل بیته قرباناً وزلفی وفريضة، وعندما إنجاب ظلهم عن باب فاطمة، وانقشع^(٤) جمعهم العادي، وخلصت ساحة الدار من مواجدهم وحسدهم إلى حين، تلفت علي یرود ببصره المكان، ینشد العون، ویبحث عن النصیر، وكمن یعصر الماء من صخرة، ومن یطلب الجنی من سراب، ومن یحاول ملء راحتيه بالریح؛ همس في حسرة وقد ارتد بصره إلیه وهو حسیر: ((لو استمكنت من أربعین رجلاً...)).

(١) دولة محمد وعلي، من المؤلف.

(٢) لذلك منع عمر النبي الأكرم من الكتابه والإملاء. [أنظر الإرشاد في معرفة حجج الله

على العباد: ١/ ١٨٤]، من المؤلف.

(٣) أوبة: أي رجعة. أنظر العين: ٨/ ٤١٦ مادة أوب.

(٤) انقشع: أي ذهب. أنظر العين: ١/ ١٢٥ مادة قشع.

عمر و يذكر معاوية، فما كان له من سبيل إلى النسيان وأبوه قد تصدى إذ ذاك يعرض العون على آل بيت رسول الله، ويمنيهم النصر لو أطاعوه، فأثاروها فتنه على الصديق تشرد به، وتنزل العزيز من علياءه، ومع ذلك فالابن اليوم^(١) لا يجرى على سنن أبيه، أحلامه تردده وتقصيه، تحضه أن يشاق، تهم به، تراوده وتغويه، ومال بجيده عن صاحبه، وعن الذكرى وعن مياه الشريعة^(٢).

تعليق:

أرجع رحمك الله إلى الرسالتين اللتين صدرنا بها كتابنا هذا، احدهما من الشهيد محمد بن أبي بكر رحمته^(٣)، والثانية جوبه عليها من اللعين معاوية ابن آكلة الأكباد لعنه الله^(٤)، ففيها تأكيد وتوضيح كل ما قاله الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود.

وقال الأستاذ أيضاً: (وقد وقفت دونها شرازم رجاله تمنع روايا الإمام أن تبلغها أو تبيل بقطرها الأوام^(٥))، ولقد أوشك الناس أن يقتتلوا عليها، بل تسرع فوارس من فوارس علي عليه السلام صوبها إلى ناحية معسكر معاوية

(١) أي معاوية، من المؤلف.

(٢) المجموعة الكاملة للإمام علي بن أبي طالب: ١٧٢ / ٤.

(٣) أنظر وقعة صفين: ١١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٨ / ٣.

(٤) أنظر وقعة صفين: ١١٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٩ / ٣.

(٥) الأوام: أي حر العطش. أنظر الصحاح: ١٨٦٨ / ٥ مادة أوم.

فوزعهم^(١) أمير المؤمنين عن القتال حتى يأخذ عدوه مصافه، فيحاجه بالحسنى، ويعذر اليه^(٢).

لكن معاوية ابن آكلة الأكباد لم تكبجه هذه الأريحية النادرة من غريم، فمضى وما اعتزم من عدوانه، إن حوله الآن جمعاً من آله لهم تراث يحرك فيهم مكامن الضغينة، راحوا كالأبالسة ينفثون^(٣) في روعه، وينفخون في غروره، وكالسياج يضربون أكنة على فؤاده فلا يرى الرشاد^(٤).

إن جراح أسلافه نكأتها^(٥) اطماعه فسال قيعها ودمها، وغفنها تلبس الهدى بالضلاله، وانه مفتون، البأس والظفر والغلبة الآن أعلامه.

الظمأ والصدى من جنوده، بيده الآجال، وإليه المآل، وعندما أتاه حارس من رجاله يعلن قدوم وافد تلفت إختيلاً وكبراً، ثم عقص قرنه، والقى بنظره متفضلة على مدخل الخباء، وقال له صعصعة بن صوحان دون أن يستقر به المجلس: يا معاويه، أن أمير المؤمنين يقول لك، فسأله بغير اكتراث: رسول؟ نعم، إنا سرنا مسيرنا هذا، وأنا أكره قتالكم قبل الإعذار إليكم^(١).

(١) أي منعهم، من المؤلف.

(٢) هذه والله صفات الأولياء والأوصياء والأنبياء، وجلت أن تكون صفات بشر غير آل بيت النبوة، من المؤلف.

(٣) النفثة: كالنفخة، ويراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ. أنظر الصحاح: ٢٩٥ / ١ مادة نفث.

(٤) والله هم الذين عناهم جبار السموات والارض بكتابة العظيم: ﴿يَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، [سورة المطففين ٨٣: ١٤]، من المؤلف.

(٥) نكأتها: شبه القرحة في العين. أنظر العين: ٣٣٩ / ٥ مادة نكت.

فقاتلتنا قبل أن نقاتلك، ونحن من رأينا الكف حتى ندعوك ونحتج عليك، وهذه أخرى قد فعلتموها، حلتم بين الناس وبين الماء، فخل يا معاوية بينهم وبينه حتى ننظر فيما بيننا وبينكم، وفيما قدمنا له وقدمتم^(٢).

تعليق:

هذه هي الأخلاق النبوية التي ستزيد في أهوال العذاب الأليم الذي سيواجهه الفاسقون يوم القيامة، حين يسئلهم خزنة النار: ألم تأتكم رسلنا بالبينات؟ فلماذا كذبتهم واستكبرتم^(٣)؟!

فبعد كل ما مر نترك حديث الأستاذ عبد الفتاح عبد المقصود، لان موضوعنا منه قد أستوفى هو عدوان ابن الخطاب على بيت الرسالة ومهبط الوحي والتنزيل، والإعداد لحرقه وهدمه على أصحابه وهم آل محمد من أبنته فاطمة، ونفسه علي، وسبطاه الحسن والحسين عليه السلام، وسيحكم الله وهو خير الحاكمين.

أما خطابه على قبر الزهراء عليها الصلاة والسلام، يقول فيه: ((السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك،

(١) الكلام طبعا لسيد الوصيين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، من المؤلف.

(٢) المجموعة الكاملة الإمام علي بن أبي طالب: ٤ / ١٧٣.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة آل عمران ٣: ٨٦.

قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي^(١)، إلا أن لي في التأسى بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز.

فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة.

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد^(٢) إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم.

فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين^(٣).

وأنظر إلى خطاب من خطبه عليه الصلاة والسلام بعد أن تمخضت الشورى إلى صيرورة عثمان خليفة على المسلمين الذي يقول فيه: ((إن الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر^(٤) وتأكلون الجشب^(٥)، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم.

(١) تجلدي: أي صلابتي. أنظر الصحاح: ٢ / ٤٥٨ مادة جلد.

(٢) مسهد: أي قليل النوم. أنظر الصحاح: ٢ / ٤٩٢ مادة سهد.

(٣) نهج البلاغة: ١٨٢ / ٢.

(٤) الكدر: أي الماء الشائب. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٥ / ١٦٤ مادة كدر.

(٥) الجشب: أي طعام خشن لا أدم فيه. أنظر معجم مقاييس اللغة: ١ / ٤٥٩ مادة جشب.

الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة؛ فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى^(١)، وشربت على الشجى^(٢)، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم^(٣).

ومن خطاباً له ﷺ يشكوا كمداً^(٤) من ظلم قريش له، يقول فيه: ((اللهم إني أستعديك على قريش فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريقى على الشجى، وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار^(٥)))^(٦).

ومنها: يشير إلى الناكثين الذين خرجوا لتضليل الناس، ومحاربتة صلوات الرحمن عليه، فيقول: ((فقدموا على عمالي وخزان بيت مال المسلمين الذي في يدي، وعلى أهل مصر كلهم في طاعتي وعلى بيعتي، فشتوا كلمتهم،

(١) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٥ / ٢٠٢ مادة قذى.

(٢) الشجى: ما اعترض في الحلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦ / ٢٣٨٩ مادة شجا.

(٣) نهج البلاغة: ٦٦ / ١.

(٤) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٥) حز الشفار: أي حد السيف ونحوه. أنظر الصحاح: ٢ / ٧٠١ مادة شفر.

(٦) نهج البلاغة: ٢ / ٢٠٢.

وأفسدوا علي جماعتهم، ووثبوا على شيعتي فقتلوا طائفة منهم غدراً، وطائفة عضوا على أسيافهم؛ فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين))^(١).

مع ذلك فلنسمع ما يحويه صدره الرحيم من العاطفة لقريش، وعلى اسفه أن يكونوا قتلوا فعالهم وسوء اعمالهم، وذلك بعد إنتهاء وقعة الجمل، يقول: ((لقد أصبح أبو محمد بهذا المكان غريباً، أما والله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلوا تحت بطون الكواكب، أدركت وتري من بني عبد مناف وأفلتتني أعيان بني جمح، لقد أتلعوا أعناقهم^(٢) إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا دونه))^(٣).

ويعصور لك محتته وجهاده في هذه الفترة المظلمة خطاب الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام، وقد جاء فيه: ((بعد اللتيا والتي وبعد أن منى بهم الرجال، وذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب و﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾^(٤)، أو نجم قرن الشيطان، أو فغرت فاغرة قذف أخاه في لهواتها، ولا ينكفي حتى يبطأ صماخها بأخمصه^(٥)، ويطفئ عادية لهبها بسيفه.

أو قالت: يخمد لهبها بجده مكدوداً في ذات الله، وأنتم في رفاهية فكهون آمنون وادعون حتى إذا أختار الله لنييه دار أنبيائه ظهرت حسيكة النفاق^(٦)،

(١) نهج البلاغة: ٢٠٣/٢.

(٢) أتلعوا أعناقهم: أي امدوا أعناقهم. أنظر الصحاح: ٣/ ١١٩١ مادة تلع.

(٣) نهج البلاغة: ٢٠٣/٢.

(٤) سورة المائدة: ٥: ٦٤.

(٥) أخمص: أي باطن القدم. العين: ٤/ ١٩١ مادة خمص.

(٦) حسيكة النفاق: أي ما نبت بالصدر من النفاق. الصحاح: ٤/ ١٥٧٩١٥٧٩ مادة حسك.

وشمل جلاباب الدين ونطق كاظم الغاوين، ونبيغ حامل الآفكين، وهدر فنيق^(١) المبطلين فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه صارخاً بكم فدعاكم فألفاكم لدعوته مستجيين، ولقربه متلاطين.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً، وأحمشكم^(٢) فألفاكم غضابا فوسمتم غير إبلکم ووردم غير شربكم هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل إنما زعمتم ذلك خوف الفتنة ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾^(٣) ((٤)).

وقالت عليها السلام: ((أيها المسلمون أغلب على إرثي، يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله ترث أباك، ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئا فريا!))

أفعلى عمد تركتم كتاب الله، ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾^(٥)، وقال فيما اقتضى من خبر يحيى بن زكريا، إذ قال: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٦)، وقال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾^(٧)، وقال: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأُولَادَيْنِ

(١) فنيق: ورد هنا تشبيهاً بالأبل التي لا تؤذى ولا تتركب. أنظر العين: ١٧٧ / ٥ مادة فنيق.

(٢) وأحمشكم: أي أغضبكم. أنظر العين: ١٠٠ / ٣ مادة حمش.

(٣) سورة التوبة ٩: ٤٩.

(٤) السقيفة وفدك: ١٤٣، شرح الأخبار: ٣ / ٣٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٠ / ١٦، جواهر المطالب: ١٥٩.

(٥) سورة النمل ٢٧: ١٦.

(٦) سورة مريم ١٩: ٥-٦.

(٧) سورة النساء ٤: ١١.

وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ^(١)، وزعمتم ان لا حظوة لي ولا إرث من أبي؟ ولا رحم بيننا أفخصكم الله بآية أخرج أبي منها؟! ام هل تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان؟! أو لست أنا وأبي من أهل ملة واحدة؟ أم أنتم اعلم بخصوص القرآن من أبي وابن عمي؟!!!

فدونكها مخطومة^(٢) مرحولة تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله والزعيم محمد، والموعود القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل بنا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار، وقالت:

يا معشر النقية واعضاد الملة، وحضنة الإسلام، ما هذه الغمزة في حقي، والسنة في ظلامتي؟ اما كان رسول الله ﷺ أبي يقول: ((المرء يحفظ في ولده)).

سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة، ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما اطلب وازاول^(٣).

وإنه لخطاب فاصل، وحجة بالغة قاطعة اعلنتها على رؤوس الاشهاد أظهرت فيه مكنون أمرهم، ومدى التعسف الذي الحقوه بهم، والسطو على

(١) سورة البقرة ٢: ١٨٠.

(٢) مخطومة: أي مقيودة كما تقاد الأبل من مقدم انفها. أنظر العين: ٤ / ٢٢٦ مادة خطم.

(٣) الاحتجاج: ١ / ١٣٨.

حقوقهم وتراثهم الذي يتجلى أول ما يتجلى بزحزة الخلافة عن قواعدها ورواسيها، وإخراجها من بيت صاحبها وموجدها محمد بن عبد الله ﷺ.

وخطابها الآخر حين زارتها نسوة الأنصار في مرضها، قالت فيه: ((ويحهم أنى زعزعوها عن رواسي الرسالة، وقواعد النبوة والدلالة، ومهبط الروح الأمين، والطيبين^(١) بأمور الدنيا والدين: ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢)).

وما الذي تقوموا من أبي حسن عليه السلام؟ تقوموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال وقعته، وتنمره^(٣) في ذات الله، وتالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها، ولسار بهم سيراً سجحاً^(٤)، لا يكلم^(٥) حشاشه، ولا يكل سائره، ولا يمل راكمه، ولأودهم منهلاً غميراً، صافياً، رويأ، تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه، ولأصدرهم بطاناً^(٦)، ونصح لهم سرأ وعلائية، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل^(٧)، ولا يحظى منها بنائل، غير ري الناهل^(٨)، وشبعة الكافل،

(١) الطيبين: أي الفطن والحاذق بالأمور. أنظر الصحاح: ٢١٥٧/٦ مادة طبن.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ١٥.

(٣) تنمره: أي الغضب. أنظر العين: ٨ / ٢٧٠ مادة نمر.

(٤) سجحاً: أي ليناً وسهلاً. أنظر الصحاح: ٣٧٢/١ مادة سجح.

(٥) يكلم: أي يجرح. أنظر معجم مقاييس اللغة: ١٣١/٥ مادة كلم.

(٦) ولأصدرهم بطاناً: أي عظمت بطونهم من الشراب. أنظر الصحاح: ٢٠٧٩/٥ مادة بطن.

(٧) أي لم يستفيد منها بكثير أو قليل، من المؤلف.

(٨) الناهل: أي العطشان. أنظر الصحاح: ١٨٣٧/٥ مادة نهل.

ولبان لهم: الزاهد من الراغب، والصادق من الكاذب: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^(٢).

ألا هلم فاستمع، وما عشت اراك الدهر عجبا! وإن تعجب فعجب قولهم!! ليت شعري الى أي اسناد استندوا، وعلى أي عماد اعتمدوا، وبأية عروة تمسكوا، وعلى أية ذرية أقدموا واحتنكوا^(٣)؟! ﴿لِبئسَ المولى ولِبئسَ العشِيرُ﴾^(٤)، و﴿بئسَ للظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾^(٥).

استبدلوا والله الذنابي بالقوادم^(٦)، والعجز بالكاهل^(٧)، فرغماً لمعاطس قوم: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٨)، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

(١) سورة الأعراف: ٧: ٩٦.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٥١.

(٣) احتنكوا: أي استولى عليه. أنظر الصحاح: ١٥٨١/٤ مادة حنك.

(٤) سورة الحج ٢٢: ١٣.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٥٠.

(٦) الذنابي: ذنب الطائر، والقوادم: أي الريشات العشر من مقدم الجناح. أنظر الصحاح: ١٢٨/١ مادة ذنب.

(٧) الكاهل: أي ما بين الكتفين. أنظر العين: ٣/ ٣٧٨ مادة كهل.

(٨) سورة الكهف ١٨: ١٠٤.

الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ^(١)، ويهدي إلي الحق أحق أن يتبع أم من لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون^(٢))).^(٣)

تعليق:

بعد هذه الآيات القاطعات، والحجج الواضحات من بنت سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ لم يبق متسع لقول قائل، ولا مجال لدعوى مدعي بأن الصراط المستقيم، وحبل الله الذي اراد جل شأنه الاعتصام به هو على وجه القطع والجزم محمداً وآل محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين ولعن أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

فطوبى لمن والآهم، وأمن بحقهم، وعرف مقامهم، والويل لمن أنكر حقهم، ووثب على سلطانهم الذي رسمه الله تعالى لهم دون غيرهم، وسيحكم الله وهو خير الحاكمين، ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون^(٤).

وخطب أمير المؤمنين الزهراء عليهما أفضل الصلاة والسلام تصور لك المحن التي واجهها آل بيت محمد، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام بعد إفتقار النبي ﷺ، ونختمها بحديث الحقائق السبع الذي قال فيه أكرم المرسلين: ((ضغائن في صدور قوم لا ييدونها لك حتى يفقدوني).

(١) سورة البقرة ٢: ١٢.

(٢) سورة يونس ١٠: ٣٥.

(٣) الاحتجاج: ١ / ١٤٧.

(٤) إشارة لخطاب الزهراء عليه السلام: ((ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم))، الموجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١ / ١٣٦.

فقال: يا رسول أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟

قال: بل تصبر.

قال: فان صبرت!

قال ﷺ: تلاقى جهداً.

قال ﷺ: أفي سلامة من ديني؟

قال: نعم.

قال: فإذا لا أبالي^(١).

وهذه المحن نفسها هي التي أشار إليها أكرم المرسلين ﷺ حين زار أهل البقيع، وقال يخاطبهم: ((السلام عليكم يا أهل البقيع! ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، لو تعلمون ما أنجاهم الله منه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم))^(٢)، وأن المحن والخطوب والأهوال التي وأجهها أمير المؤمنين عليه صلوات الرحمن أمتدت -كما قلنا- من مهده إلى لحدّه، وفي ليلة إمتداد يد الشرك إليه، وهو في محرابه ملكت عينه النوم فسنح له^(٣) رسول الله ﷺ، وشكى ظلم هذه الأمة له قائلاً: ((يا رسول الله! ماذا لقيت من أمتك من

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٨ / ٤.

(٢) كنز العمال: ١٢ / ٢٦٢ ح ٣٤٩٦١.

(٣) سنح له: أي ظهر له. أنظر معجم مقاييس اللغة: ١٠٤ / ٣ مادة سنح.

الأود^(١) واللد^(٢).

فقال ﷺ: ادع عليهم.

قال ﷺ: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم منى^(٣).

وقد أستجاب العلي الأعلى لدعاءه، وأستشهد فجر تلك الليلة على يد الشرك والاثم والبغي والعدوان، وعلى ما يشته صاحب كتاب اليمين واليسار في الإسلام إن مقتل الإمام سيد الوصيين كان نتيجة مؤامرة دبرها ابن آكلة الأكباد العاهرة هند، كما دبر قتل أبنه السبط الإمام أبي محمد الحسن بالسهم على يد زوجته جعدة بنت الاشعث بن قيس لأغرائها بمائة ألف وزواجها من يزيد اللعين، فأوفى بالأولى ولم يوفى بالثانية^(٤).

فانتقل الإمام صلوات الله عليه من باطل هذه الدنيا وزخرفها الزائف إلى حق الآخرة ونعيمها الدائم، في مأوى أنبياءه ومثوى أوصيائه وأوليائه، وفي عرض المحنة أو المحن التي وأجهها أمير المؤمنين ﷺ في هذه الفترة من جهاده إنطلقت المحن التي وأجهها أبنه السبط الإمام أبي محمد الحسن ﷺ بعد تنازله للكافر الفاسق الطليق وابن الطلقاء ابن هند، ووقوف هذا الاثيم على المنبر يعلن على رؤوس الأشهاد أن الميثاق الذي وقعه، والعهد الذي تعاهد عليه مع

(١) الأود: أي العوج. العين: ٨ / ٩٦ مادة أود.

(٢) اللد: أي شدة الخصومة. أنظر الصحاح: ٢ / ٥٣٥ مادة لد.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٢/٦.

(٤) أنظر اليمين واليسار في الإسلام: ١٣٨، شرح الأخبار: ٣ / ١٢٤.

ابن رسول الله إنما هو قصاصة من ورق تلوى لتوضع تحت قدمية^(١).

والله جل شأنه يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(٢)، ولست أدري أيهما أكثر ألماً صبر هل الحسن على الضيم والظلم وكظم الغيظ، أم جهاد أخيه أبي الشهداء وسيدهم الإمام الحسين عليهما أفضل الصلاة والسلام.

موقف من الفتن والمحن

وحين نتطرق إلى الفتن والمحن والعواصف التي واجهها أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بعد انتقال أخيه إلى الفردوس الأعلى ﷺ، وإنصاب ألوان الاضطهاد والجور والحرمان إليه، وإلى آله رغم أنهم أحد الثقلين اللذين قال فيهما النبي ﷺ: ((لن يفترقا حتى يردا علي الحوض...))^(٣)، وهم الوسيلة إلى الله، وحبلة الذين أمر بالإعتصام به، والصراط المستقيم الذي يجب إتباعه والسير على هداه، وهم أهل الصدق الذين تجب محبتهم ويشترط ولائهم.

أقول: رغم ذلك كله فقد صبت عليهم ألوان المحن والجور، وحين نتطرق إلى هذه المحنة التي خاضتها أمة محمد، نرى من المفيد أن نتطرق إلى مكتبته المرحوم عباس محمود العقاد في كتابه المعروف بعنوان: عبقرية الامام، حيث يقول: (أحاديث النبي عليه وعلى اله الصلاة والسلام في فضل علي ومحبه، متواتره في كتب الحديث المشهورة.

(١) أنظر الإرشاد: ١٤ / ٢، مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ١٨٠.

(٢) سورة النحل ٩١: ١٦.

(٣) الكافي: ٢ / ٤١٥ ح ١.

منها ما انفرد به، وهو حديث الخيمة الذي رواه الصديق أبا بكر حيث قال: رأيت رسول الله ﷺ خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: معشر المسلمين، أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، وحرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يغيظهم إلا شقي الجد رديء الولادة^(١).

ومن الغريب أن نسمع من العقاد وهو واحد من المؤلفين الذين يتبعون السير والتاريخ، أن هذا الحديث الذي هو أشهر من قفا نيك^(٢)، انفرد به أبا بكر بينما تناقله أصحاب محمد ﷺ خلف عن سلف، وورد ذكره في معظم المصادر واجلها^(٣).

واذا نظرت إلى الحديث الشريف ومغزاه تجده صدى للآية الكريمة: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

(١) عبقرية الإمام علي: ١٧٥.

(٢) إشارة إلى معلقة امرئ القيس المشهورة التي قالها عند وقوفه مطالاً على دياره مشتاقاً إلى الأحبة، قال في مطلعها:

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

ديوان امرئ القيس: ٢١.

(٣) أنظر شرح الأخبار: ٣/ ٥١٥ ح ٩٢٨، المناقب للخوارزمي: ٢٩٧ ح ٢٩١، ح ٢٩١، الرياض النضرة: ٣/ ١٥٤، جواهر المطالب: ١٧٤.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٦١.

وهل كان الحضور في هذه المباهلة الفاصلة غير رسول الله، والذين دعاهم معه، وهم: أبناء الحسن والحسين، ونساء فاطمة الزهراء، ونفسه علي بن أبي طالب على جميعهم صلوات الرحمن وملائكته ورسله والمتقين من عباده؟^(١).

ثم يستمر العقد، ويقول: (ومنها ما اشترك فيه وغيره، وهو الذي روته عائشة حيث سألت: أي الناس أحب إلى رسول الله ﷺ؟

قالت: من النساء فاطمة.

ف قيل لها: ومن الرجال؟

قالت: زوجها علي بن أبي طالب، الذي ما علمت مثله صوماً قواماً.

ويستمر العقد، ويقول: وهذان نموذجان من الأحاديث النبوية في فضل علي ومحبه، ومنزلته عند الله ونبيه، ومثلها عشرات بل ومئات.

وأصحاب المذاهب يختلفون في تأويل هذه الأحاديث، وفي أسانيدھا، ويوجهونها حيث اتجهوا من التشيع للإمام، أو التشيع عليه، وهو شرح طويل لايهمنا منه هنا أن ننصر فيه فريقاً على فريق، أو نرجح مذهباً على مذهب، اذ ليس فهم الإمام موقوفاً على تغليب أي الفريقين، وتعزيز أي المذهبين.

(١) أنظر تفسير القرآن العظيم للرازي: ٢/٦٦٧ ح ٣٦١٨، التبيان في تفسير القرآن: ٢/٤٨٤، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/٢١٤، مجمع البيان: ٢/٣٠٩، تفسير الرازي: ٨/٨٥، الجلالين: ٧٥، انوار التنزيل واسرار التأويل: ٢/٤٧، الدر المشور: ٢/٣٩، روح المعاني: ٣/٢٤٧.

وفهم الإمام على حقيقته النفسية والتاريخية هو كل مانعنيه، فمهما يختلف الرواة في تأويل الأحاديث فالذي يسعك أن تجزم به من وراء اختلافهم؛ أن علياً كان من أحب الناس إلى النبي أن لم يكن أحبهم على الإطلاق^(١).

وقبل أن أستمر في كلام العقاد أجد نفسي مضطراً للوقوف هنا لحظة واحدة لأعلق كلمتين على ما قاله العقاد في السطور المتقدمة، وهو قوله: (وأصحاب المذاهب يختلفون في تأويل هذه الأحاديث، وفي أسانيدها، ويوجهونها حيث اتجهوا من التشيع للإمام، أو التشيع عليه، وهو شرح طويل لايهمنا منه هنا أن ننصرف فيه فريقاً على فريق، أو نرجح مذهباً على مذهب، إذ ليس فهم الإمام موقوفاً على تغليب أي الفريقين، وتعزيز أي المذهبين.

وفهم الإمام على حقيقته النفسية والتاريخية).

وأنا أقول له ما قاله تعالى: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

فما قيمة أهواء هؤلاء الحاقدون المحرضون المفرضون الذين ابتاعتهم خزائن أمة الكفر، وأشرت منهم ظمائرهم، وأشرت منهم آخرتهم بديانهم، وحولوا الأحاديث التي تنطق بمنزلة آل بيت محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين بدراهم معدودات، ثم ارتهنتهم قبورهم وضمتهم لحودهم، ووقفوا أمام حسابهم وسؤالهم عن ولاية علي؟!

(١) أنظر عبقرية الإمام علي: ١٧٥.

(٢) سورة يس ٣٦: ١٠.

أقول: ماقيمة أهواء هؤلاء، وما قيمة أحقادهم اذا رجعوا إلى صراحة القرآن الكريم التي أوضحت منزلة علي، ومنزلة بنيه، وهم أحد الثقلين اللذين لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الحوض^(١)، تلك الصراحة التي نادت بأعلى صوتها: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، وقد اعلنها النبي يوم الغدير في ذي الحليفة^(٤) في الثامن عشر من ذي الحجة والزم ولايته على الخلائق اجمعين^(٥)، وقال قوله تعالى: ﴿قُلْ لَنَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٦).

(١) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم الثقلين، ألا إن أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، أمالي الطوسي: ٢٥٥ ح ٤٦٠.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٣) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٤) ذا الحليفة: قرية صغيرة بينها وبين المدينة ستة اميال، ومنها ميقات اهل المدينة. أنظر

معجم البلدان: ٢ / ٢٩٥.

(٥) أنظر البداية والنهاية: ٥ / ٢٢٧.

(٦) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنْ حَزَبَ اللَّهُ هُمْ الْغَالِبُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْوُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣)، وغيرها ثلاثمائة آية نزلت فيهم^(٤)، وقيل سبعون آية^(٥)، ومنهم من قال ثمانون آية^(٦)، وقيل أكثر من ربع القرآن^(٧)، وهناك من قال نزل فيهم ثلث القرآن^(٨).

أقول: ساحك الله يا شيخ عباس محمود العقاد، افحسب الإلتزام بهذه الآيات، وتنفيذ نصوصها، إنتصاراً لفريق على فريق؟ أو تعزيز مذهب على مذهب؟ أم أنها قواعد أنزلها رب العالمين سبحانه على خلائقه وعباده،

(١) سورة المائدة ٥: ٥٥-٥٦.

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) سورة النحل ١٦: ٩٢.

(٤) أنظر تاريخ بغداد: ٦/ ٢١٩، تاريخ مدينة دمشق: ٤٢/ ٣٦٤، خصائص الوحي المبين:

٣٢، الصواعق المحرقة: ١٢٧، السقيفة: ٦٦، الغدير: ١٠/ ١٥.

(٥) أنظر الخصال: ٥٨١ ح ٢، شرح الأخبار: ٢/ ٣٤٤ ح ٦٨٩.

(٦) أنظر الخصال: ٥٩٢ ح ١.

(٧) أنظر شرح الأخبار: ٢/ ٣٥٣ ح ٧١٢، مناقب علي بن ابي طالب عليه السلام لابن المغازلي:

٢٥٨ ح ٣٢٦.

(٨) أنظر الكافي: ٢/ ٦٢٧ ح ٢، شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١/ ٥٨ ح ٥٩.

والزمهم تنفيذها، وهو جل شأنه سائلهم عنها يوم حشره وحسابه، ولا حاكم يومها سواه، وأن جهنم لمحيطه بالكافرين^(١).

المسألة يا عباس ليست مسألة إنتصار لحزب دون حزب، أو تأييد لعقيدة دون عقيدة، وإنما إلزام عام لقواعد عامة أنزلها رب العالمين جل جلاله على نبيه محمد ﷺ، ومطلوب من كل مسلم تنفيذها والإلتزام بها، ورعايتها حق رعايتها، وإن كل منهم مسؤول عنها حين ينزله إلى ملحودة قبره.

ثم يستمر العقاد في كلامه، ويقول: (لقد كان النبي ﷺ يغمر بالحب كل من أحاط به من الغرباء والأقربين، فأى عجب أن يخص بالحب من بينهم إنساناً، كان ابن عمه الذي كفله وحماه، وكان ربيته الذي أوشك أن يتباه، وكان زوج ابنته العزيزة عنده، وكان بديله في الفراش ليلة الهجرة التي هم المشركون فيها بقتل من يبيت في فراشه، وكان نصيره الذي أبلى أحسن البلاء في جميع غزواته، وتلميذه الذي علم منه فقه الدين ما لم يعلمه ناشئ في سنه.

حب النبي لهذا الإنسان حقيقة لا حاجة بها إلى تأويل الرواة، ولا إلى تفسير الفصوص؛ لأنها حقيقة طبيعية، أو حقيقة بديهية قائمة من وراء كل خلاف ومما لاخلاف فيه، كذلك إنه ﷺ كان لا يكتفي بحبه إياه بل يسره ويرضيه أن يحبه إلى الناس، وكان يسوؤه ويغضبه أن يسمع من يكرهه ويجفوه.

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، سورة التوبة ٩: ٤٩.

بعث رسول الله ﷺ علياً في سرية ليقبض الخمس، فاصطفى من سبية وأتفق أربعة من شهود السرية أن يبلغوا ذلك إلى رسول الله، وكان المسلمون اذا قدموا من سفر بدءوا بالرسول، فسلموا عليه وأبلغوه ما عندهم، ثم انصرفوا إلى رحالهم.

فقام أحد الاربعة وحدث الرسول بما رأى فأعرض عنه، وظن الصحابة أنه لم يسمعه، فتناوبوا الحديث واحداً بعد واحد في معنى كلامه، فلما فرغ الرابع من حديثه أقبل عليه رسول الله وقد تغير وجهه، فقال: ماتريدون من علي؟ ماتريدون من علي؟ ما تريدون من علي.

علي مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي.

وقال لاحدهم: أتبغض علياً؟

قال: نعم.

قال: لا تبغضه، فإن له في الخمس أكثر من ذلك، أي أكثر من السبية التي اصطفاه، وأن كنت تحبه فازدد له حباً.

وبعث رسول الله ﷺ إلى اليمن، فسأله جماعة من أتباعه أن يركبهم إبل الصدقة ليريحوا إبلهم، فأبى؛ فشكوه إلى رسول الله ﷺ بعد رجعتهم وتولى شكايته سعد بن مالك بن الشهيد.

فقال: يا رسول الله لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبه والتضييق، ومضى يعدد ملقيه، حتى اذا كان في وسط كلامه ضرب رسول الله على

فخذه، وهتف يا سعد بن مالك بن الشهيد بعض قولك لأخيك علي فوالله
لقد علمت إنه جيش في سبيل الله.

وشكا بعض الناس مثل هذه الشكوى، فقام رسول الله ﷺ فيهم خطيباً،
يقول لهم: أيها الناس، لا تشكوا علياً، إنه لجيش في ذات الله.

ويلوح لنا أن النبي ﷺ كان يحبه علياً ويحببه إلى الناس ليمهد له سبيل
الخلافة في وقت من الأوقات، ولكن على أن يختاره الناس طواعية وحباً لا أن
يكون إختياره من حقوق العصبية الهاشمية، فإنه ﷺ قد اتقى هذه العصبية
جهد اتقاءه، ولم يحذر خطراً على الدين أشد من حذر أن يحسبها الناس
سبيلاً إلى الملك والدولة في بني هاشم، وقد حرم نفسه الشريفة حظوظ الدنيا
وأقصى معظم بني هاشم عن الولاية والعمالة، لينفي هذه الظنة، ويدع الحكم
للناس يختارون من يرضون له بالرأي والمشئنة.

فالتزم في التمهيد لعلي وسائل ملمحوحة لا تتعدى التدريب والكفالة إلى
التقديم والوكالة، أرسله في سرية إلى فذك لغزو قبيلة بني سعد اليهودية،
وأرسله إلى اليمن للدعوة إلى الإسلام، وأرسله إلى منى ليقراً على الناس
سورة براءة^(١)، وبين لهم حكم الدين في حج المشركين وزيارة بيت الله،
وأقامة على المدينة حين خرج المسلمون إلى غزوة تبوك.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا
فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ...﴾،
سورة التوبة ٩: ١-٢.

ولم يفته مع هذا كله أن يلمح الجفوة بينه وبين الناس، وأن يكله إلى السن تعمل عملها مع الأيام، ويكلهم في شأنه إلى ما ارتضوه، عسى أن تسنح الفرصة لمزيد من الألفة بينهم وبينه..^(١).

تعليق:

ولا يسع المنصف العارف حقائق الأمور، الفاهم ما نزل من حكمة الله في إختيار الإمام بعد النبي، أن يوافق على الإطلاق بما ذهب إليه العقاد من تحليل، لأن الولاية لم تكن يوماً من الأيام حقاً من حقوق العباد، كما ان النبوة لم تكن يوماً من الأيام حقاً من حقوقهم فالله المهيمن تعالت قدرته يعلم حين يضع رسالته، ويعلم أين يضع ولايته ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾^(٢).

فالموضوع أذن من أساسه مرفوض، وتحليل العقاد بكامله غير مقبول؛ لأن إمامة علي وولايته على الناس إنما أمر بها رب العالمين سبحانه، بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، وبعد إكمال التبليغ نزل رضى المهيمن الأعلى جل جلاله عن الإسلام ديناً مشروطاً بهذه الولاية الكبرى التي أكملت الدين، وامتت النعمة بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَتُوبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا

(١) عبقرية الإمام علي: ١٧٦.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٦٨.

(٣) سورة المائدة ٥: ٦٧.

تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١).

فالخلافة أو الولاية أو الإمامة سمها ما شئت إنما هي حكم من أحكام الله تعالى، لا يشاركه فيها أحد كسائر الأحكام الأخرى التي انزلها تعالت قدرته على عبده ورسوله ليلبغها الناس لتنفيذها وتأديتها على وجهها الصحيح، فان عدم الالتزام بها، أو إنكارها، أو جحودها حق باطل لكل ليس لأحد حق فيه فالمصير أما إلى جنة أو إلى نار، ومن هنا يتضح قول الإمام الصادق صلوات الله وسلامه عليه: ((ما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقر الله به عينه وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه وأهوى بيده إلى حلقه))^(٢).

وما تقدم يتضح أن التحليل الذي اتعب العقاد نفسه في زخرفته لا أساس له من الوجود، ومحمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ لم يكن مختاراً في الولاية ولا مائلاً لابن عمه بل نفسه وصهره علي بن أبي طالب عليه السلام حتى يعمل جاهداً لتقريبه من نفوس الناس، وتحبيبه وأعلاء مقامه اليهم؛ ليؤمله للخلافة من بعده.

إنما هو منذر ومبلغ عن ربه عز وجل، وما عليه هداهم فان شاءوا امتثلوا وعملوا بأوامر الله جل جلاله، وأن شاءوا انكروا وجحدوا كما هو بقلوه تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ

(١) سورة المائدة ٥: ٣.

(٢) الكافي: ٨ / ٨١ ح ٣٨.

بِالْمُهْتَدِينَ^(١)، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢)، قال تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٣).

وحين اطال نجوى علياً، قالوا: اطال نجوى ابن عمه، فقال لهم: ((لست انا الذي اطلت نجواه، إنما الله جل جلاله أمرني بذلك))^(٤)، وأمر بسد أبواب الصحابة من المسجد إلا باب علي، فقالوا ما قالوا فقام خطيباً فيهم ﷺ، وقال: ((ما بال أقوام قالوا في سد الأبواب؟ فوالله ما أنا الذي سددت، وما أنا الذي فتحت، ولكنه أمر تلقيته من الله عز وجل))^(٥).

وفيه قال رسول الله ﷺ: ((عليّ مني وأنا من علي، لا يؤدي عني إلاّ علي))^(٦).

فرسول الله ﷺ ما كان مختاراً ولا محامياً في كل تلك الأعمال، وإنما كانت أوامر السماء وما عليه إلاّ تبليغها للناس لينذرهم بها فمن شاء فليؤمن

(١) سورة القصص ٢٨: ٥٦.

(٢) سورة فصلت ٤١: ٤٦.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٣/٩.

(٥) ورد الحديث باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٧٣/٩، مسند

أحمد: ٣٦٩ / ٤، فضائل الصحابة: ٥٨١ / ٢ ح ٩٨٥.

(٦) سنن ابن ماجه: ١ / ٤٤٤ ح ١١٩، وورد الخبر باختلاف يسير في سنن الترمذي: ٣٠٠ / ٥

ح ٣٨٠٣، السنن الكبرى للنسائي: ٥ / ٤٥ ح ٨١٤٧.

ومن شاء فليكفر، فاكل ميتون والكل يحشرون والى ربهم راجعون، وهنالك يسألون ولا ينفعهم اذ يندمون، وأن جهنم لمحيطة بالكافرين.

وتذكرني قصة ولآية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه صلوات الرحمن على الناس مع كونها مسلم بها بالضرورة بحكم القرآن وأحاديث الرسول بقصة إسلامه، وسبحان الله فما عشت أراك الدهر عجباً، وأن تعجب فتعجب فقد اختلف الناس في القصتين، وكلاهما يعرفان معرفة الليل والنهار، والشمس والقمر، والموت والحياة.

فما معنى الاختلاف في كونه أول الناس إسلاماً، وما معنى ذكر فلان وفلان، وما معنى ذكر الإمام علي مقروناً باسم أبيه أبي طالب، ففي المهد نشأ في حجر النبي ﷺ يرضع اللقمة ويطعمه أيها، ويسقيه اللبن، ويهز مهده الذي أمر ان يوضع بجواره ليتولى رعايته بنفسه^(١).

فوالله لست ادري ماذا يقصدون من اسبقية إنسان أسلم وهو في المهد، ولم يسجد لصنم، وتربى ونشأ في حجر الرسول الأكرم، وولد في الكعبة على غير نظير في العالمين، فعلي بن أبي طالب عليه صلوات الرحمن مثله مثل النبي ﷺ ولدا مسلمين ونشأ موحدتين، وما سجدا لصنم على الاطلاق.

فأي رقم بعد هذا يذكرون، وأي سابقة للإسلام يقصدون، نعم خديجة عليها السلام كانت أول من اسلم من النساء هذا صحيح، لأنها أسلمت وقد

(١) أنظر دلائل الإمامة: ٢٠، روضة الواعظين: ٨٦، عمدة عيون صحاح الاخبار: ٩ ح ٢، كشف اليقين: ٢٠.

تجاوزت سن الأربعين بزواجها من النبي ﷺ، وحين نزلت من رحم أمها ما كانت في حجر يقابل ويوازي حجر رسول الله ﷺ.

ثم اني مسائل الذين قالوا: أن علياً أول من أسلم من الصبيان وأبا بكر من الشيوخ، ماذا كانت تعني صلاة علي بن أبي طالب صلوات الرحمن عليه مع النبي وهو طفل في غار حراء، وقبل العالمين بست أو سبع سنين، فهذا الإنسان كانت نشأته منذ الرضاعة في حجر رسول الله لا يدخل إسلامه في الارقام، ولا يحسب في حساب الأيام.

إنما ينبغي الرجوع إليه وإلى كلامه ﷺ حين قال: ((فأين المعدل والمنتزع عن ذرية الرسول، الذين شيد الله بنيانهم فوق بنيانهم، وأعلى رؤوسهم فوق رؤوسهم، واختارهم عليهم إلا إن الذرية أفنان^(١) أنا شجرتها، ودوحة أنا ساقها، وإني من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا ظلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة التي كان منها البشر أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية، ان أمرنا صعب مستصعب، لا يعرف كنهه إلا ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد امتحن الله قلبه للإيمان، فإذا انكشف لكم سر أو وضع لكم أمر فاقبلوه، والا فاسكتوا تسلموا، وردوا علمنا إلى الله فإنكم في أوسع ما بين السماء والأرض))^(٢).

(١) أفنان: جمع فتن أي الغصن. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٤/٤٣٥ مادة فن.

(٢) من كلام له ﷺ في الإيمان. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/١٠٦.

هذا هو إسلام محمد، وهذا هو إسلام علي عليهما أفضل الصلاة والسلام، ورحم الله العقاد اذ دفعته بصيرته المفتحة، وذهنيته المتفجرة إلى معرفة الحقيقة حيث تكون، وحيث خلقها رب السموات والأرضين.

نعم، مرة أخرى رحم الله العقاد، ومن يولد مسلماً لا ينبغي لمؤرخ أن يضعه في قائمة تسلسل الذين دخلوا الإسلام صبياناً أو كهولاً نساءً أو رجالاً.

ويستمر العقاد في كتابه عبقرية الإمام علي، ويقول: (ولد علي في داخل الكعبة، وكرم الله وجهه عن السجود لأصنامها فكأنما كان ميلاده ثمة ايذاناً بعهدٍ جديد للكعبة والعبادة فيها، وكاد علي أن يولد مسلماً.

بل لقد ولد مسلماً على التحقيق إذاً نحن نظرنّا إلى ميلاد العقيدة والروح، لأنه فتح عينيه على الإسلام ولم يعرف قط عبادة الأصنام..^(١).

هذه بعض خصائص علي بن أبي طالب أمير المؤمنين وأخا رسول الله، بل ونفس الرسول صلى الله تعالى عليهما، فكيف ينجو ويسلم من حقد أناس جبلوا على الحقد والكيد والنفاق، هذا الحقد وهذا الكيد وهذا النفاق، وكما رأيت بدأت ظواهرها على عهد النبي الأكرم وطفّت إلى السطح فور إنتقاله إلى حضيرة القدس ﷺ مما حمله سلام الله عليه إلى قوله الذي مر بك حين

(١) عبقرية الإمام علي: ٤٣.

أنزل النبي إلى ملحودة قبره الذي قال فيه: ((أشكو إليك كمداً^(١)، وإدباراً مخالفين وداء الفتنة، فإنها قد استعرت نارها وداؤها الداء الأعظم...))^(٢).

وحين تمعن النظر في شكواه هذه على مثوى أكرم الخلائق أجمعين تجدها صدى لما قاله النبي ﷺ حين زار أهل البقيع، ودعا لهم ثم خاطبهم قائلاً: ((السلام عليكم يا أهل البقيع! ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، لو تعلمون ما أنجاكم الله منه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم))^(٣).

فسواء عليك أرجعت إلى القرآن أو إلى أحاديث النبي ﷺ، أو إلى كلام أمير المؤمنين نفسه، أو إلى ما قاله الميامين الطاهرين من أبناء وأحفاد المعصومين، فلا بد وإنك ستنتهي إلى نتيجة واحدة هي مواجهة المتربصين به واله من أهل الثار والحقد والإنقام.

وما أصعبها من محنة، وما أعظمه من جهاد في سبيل الله، فأن الذين تربصوا به وبآله وأولاده من بعده فأنما هم الذين ابطنوا الكفر، واسروا الشرك، ولكن إستيلائهم على سلطان محمد ﷺ وهم ألد أعداءه وأشرس خصومه أمثال الطلقاء أجبرهم الإحتفاظ بذلك السلطان المغتصب من أهله، الإستمرار بالأذان والصلاة؛ ليتجنبوا ثورة الأمة بهم وإنقضاضها عليهم.

ولو أنها كانت صلاة السكارى وعبادة أهل الكفر والفسق والجواري والخمر، تماماً كما قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: ((أن رأياتهم التي

(١) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢/١٣.

(٣) كنز العمال: ١٢ / ٢٦٢ ح ٣٤٩٦١.

يواجهونا بها اليوم هي آياتهم التي واجهونا بها يوم بدر، واحد، والغزوات الأخرى، وانهم ليسوا اهل دين، ولا قرآن، دخلوا الإسلام مكرهين وخرجوا منه طائعين، وانهم لم يسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر ولما وجدوا اعوانا عليه أظهروه، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وأين يذهبون، وإن جهنم لمحيطه بالكافرين))^(١).

تلك يا قارئ كانت بعض وجوه الفتن والمحن التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام، ثم واجهها أولاده وأحفاده من بعده، وأي ضجة ستنهض يوم القيامة، وأي قارعة ستبعثر الخلائق يوم العرض والحساب حين تعرض مأساة الحسين وآله بكر بلاء، وأي عذاب غليظ سينال الذين اذوه وحاربوه وقتلوه وأهله وأطفاله وحرقوا خيامه وسبوا حرمه، ثم يتنقلون بروؤس أكرم الخلائق على الله وسادة أولاد آدم وحواء من بلد إلى بلد في وحشية وضراوة وعدوان لم يسبقهم بها أحد من العالمين^(٢).

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. نهج البلاغة: ١٦ / ٣، بحار الأنوار: ٨٢ / ٢٦٥ ح ٩.

(٢) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ٢٦٦، مدينة المعاجز: ٤ / ١٢٢.

الموقف الغريب الرهيب

مات رسول الله ﷺ، والهاشميون ما أفدح خسارتهم، وأشد لوعتهم وألم قلوبهم، ولسان عميدهم الجديد أمير المؤمنين يقول مخاطباً جثمان أخيه وهو يقبله ويكيه: ((بأبي انت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة، والأنباء، وأخبار السماء خصصت^(١)، حتى صرت مسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لانفدنا عليك ماء الشؤون^(٢)، ولكان الداء ماطلاً، والكمد^(٣) محالفاً وقلاً لك^(٤)، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من باللك^(٥))).

والكل يجھش بالبكاء والعيول، ومن ثانياً ذلك الوجود تسمع صوت يلعن ذلك المجتمع الحزين، وإذا هو صوت عمر بن الخطاب، يقول: (ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت حتى يظهر دينه على الدين كله، وليرجعن فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم ممن أرجف بموته، لا أسمع رجلاً يقول: مات رسول الله إلا ضربته بسيفي)^(٦).

(١) خصصت: أي خص أهل بيته بالعلم، والرعاية، وتعيين المنزلة التي امر الناس بلزوم رعايتها، من المؤلف.

(٢) دسعت: أي اخرجتم قيئكم. أنظر لسان العرب: ٨ / ٨٤ مادة دسع.

(٣) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٤) الداء الماطل، والكمد المحالف أي قليلان قياساً إلى فراقك، من المؤلف.

(٥) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٨.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٠ / ٢.

نداء ما كان أغربه في ذلك الظرف العصيب، والموقف الرهيب، والقرآن قبل سنين قال لهم أجمعين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، وفي مقام آخر: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(٢).

فموت محمد ﷺ متوقع في أية لحظة كأبي أحد من البشر، وصراحة كتاب الله تعلن للناس هذه الحقيقة، لكن عمر الغريب الاطوار ولاسباب دينية في نفسه صار يزيد^(٣) ويرعد، ويقول: (ما مات رسول الله ﷺ، ولا يموت..)^(٤).

وأني اقطع القول بأن عمر الذي نعرفه ما كان بالشخص الذي يغيب عليه موت النبي ﷺ وهو مسجى لا حراك فيه واهله حوله، ثم أي جرم يترتب على الإنسان حين يعلن موت إنسان آخر أخبر القرآن بموته أو قتله قبل سنين عديدة يستوجب قطع الرأس بالسيف؟!

وما عرفنا لذلك أساساً في القرآن أو السنة أو الحديث، وحتى الأعراف الجاهلية التي نشأ عليها عمر ما كانت لتسمع بمثل ذلك، ولكن طبيعة الظرف تلقى الأضواء الكاملة على مقالة عمر الذي كان ينتظر وصول أبا بكر الذي

(١) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ٣٠.

(٣) يزيد: أي أصدر لعاب أبيض من فمه من الغضب، كالذي يكون على مشفر الجمل.

أنظر العين: ٣٥٧ / ٧ مادة زيد.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٠/٢.

يقيم في السنج بأطراف المدينة^(١)، وكان قد أشخص إليه من يبلغه خبر وفاة النبي ليحضر، وليكن هو الشخص الذي يعلن على المجتمع وفاة النبي ﷺ.

وفعلاً هذا هو الذي حدث، وهذا هو الذي وقع، فما أسرع ما كان من أبي بكر أن يحضر ويعلن للناس خبر وفاة الرسول ﷺ، أذ قال: ((أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد رب محمد، فإنه حي لم يميت))^(٢).

ونداء أبي بكر هذا أغرب من نداء عمر، أذ لم أسمع في حديث أو خبر على الإطلاق أن رجلاً من أمة محمد عبده وأله من دون الله، وأن دعوته ﷺ كانت لا غبار عليها، وهي القول بالشهادتين أي أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله، ويكشف لك عن الأسرار التي إنطوت وراء الندائين الصادران من رجلين هما من أكابر أصحاب رسول الله ﷺ إسرعهما هم خلسة ودون أذن من آل النبي ﷺ إلى السقيفة، والنبي مسجى على فراش الموت يتولاه أخوه سيد الوصيين، ويتولا غسله وتجهيزه وتكفينه ودفنه هو وكبار ملائكة الرحمن أعوانه^(٣)، كما مر عليك بحديث مشهور: ((ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد ﷺ إنني لم ارد على الله، ولا على رسوله ساعة قط، ولقد

(١) أنظر معجم البلدان: ٥ / ٢٦٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٧٩، وورد الخبر باختلاف يسير في صحيح البخاري: ٤ / ١٩٤، سنن ابن ماجه: ١ / ٥٢٠ ح ١٦٢٧، المستدرک: ٢ / ٢٩٥، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ١٤٢، مجمع الزوائد: ٩ / ٣٢.

(٣) أنظر تاريخ يعقوبي: ٢ / ١٢٣، كشف المحجة لثمرة المهجة: ٤٧، فتح الباري: ١٣ / ١٧٩، بحار الأنوار: ٢٨ / ٣٢٤ ح ٥٤.

واسيته بنفسه))، إلى آخر خطابه^(١).

أقول: على هذا النحو تمت البيعة الأولى لأبي بكر تلك البيعة التي قال هو نفسه فيها: (ان بيعتي كانت فلتة وان الله وقى شرها)^(٢)، وفي هذا المقام قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((اذا كانوا قد فلقوا الأنصار بحجة قريتهم من رسول الله ففنحن أولى بذلك، وإلا فالأنصار على دعواهم، اما والله لقد احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة))^(٣).

وما جرى في السقيفة معروف، وقد تناولت تفاصيله أقلام السير والكتب جميعاً، اذ قدم أبا بكر للناس للمبايعة رجلان هما: أبو عبيدة وعمر وأبياً هذان إلا أن يبايعا أبا بكر، وهو ما قال فيه عبد الفتاح في كلامه: (بيت القوم أمرهم بليل..)^(٤).

وقد اشتد الخصام والجدال بين المهاجرين والأنصار، ثم بين الأنصار أنفسهم فبايعت طائفة وتحلف آخرون وعلى رأسهم الزعيم سعد بن عباد زعيم الخزرج وأتباعه، ثم خرج من خرج يحملون عصيهم، يحملون بها من يجدونه في الطريق على البيعة^(٥).

(١) نهج البلاغة: ١٧١/٢.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير. مسند أحمد: ١/ ٥٥.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. نهج البلاغة: ١٥١/١.

(٤) المجموعة الكاملة للإمام علي بن أبي طالب: ١٧٢ / ٤.

(٥) أنظر كشف المحجة لثمرة المهجة: ٧٧، السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ١٤٣، تاريخ مدينة دمشق: ٣٠ / ٢٧٧، تاريخ الإسلام: ٣ / ١٠، البداية والنهاية: ٥ / ٢٦٩، تاريخ الخلفاء:

أما صاحب الجهاد، وصاحب بدر وأحد وحنين وخير^(١)، وصاحب سورة براءة^(٢)، وصاحب حديث المنزلة يوم تبوك، وصاحب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾^(٤).

وقوله تعالى: وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْوُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٦)، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٧).

٧٦، الصواعق المحرقة: ١١، كنز العمال: ٦١٣/٥ ح ١٤٠٧٩، السيرة الحلبية: ٤٨١/٣.

(١) أنظر المغازي: ١/ ٦٩، غزوات الرسول وسراياه: ١٧٧، مسند أحمد: ١/ ١٨٥، دلائل النبوة: ٣/ ١٠٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٣/ ١٨٦، كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١/ ٢٢١، نظم درر السمطين: ٩٩، السيرة الحلبية: ٢/ ٤٠١، مدينة المعاجز: ١/ ١٧٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ...﴾، سورة التوبة: ٩: ١-٢.

(٣) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٤) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣).

فهو الذي يتمتع بكل هذه المزايا وهذه الخصائص ولكن قد عملوا لمحي ذكره من صفحة الوجود، بل وحتى استشارته واستشارة عشيرته وأنصاره من كبار أصحاب محمد لم تذكر في الحساب.

وهنا اعررض كلمتين هما: أن حديث السقيفة أو الفتنة الكبرى في الإسلام طويل، ولسنا مستهدفه في هذا المقام فقد اوسع فيه الباحثون والدارسون والمؤرخون بحثاً، وتفصيلاً، وتدقيقاً، وبإمكان القارئ الرجوع إلى موسوعاتهم ومؤلفاتهم وكتبهم.

ورحم الله الشيخ محمد رضا المظفر الذي اغنى الباحثين بكتابه المعروف بعنوان: السقيفة، أذ كشف فيه كيف أجمعت قريش على حرب أمير المؤمنين، والوثوب على حقه وسلبه سلطانه، أجماعها على حرب النبي ﷺ قبله، وكيف دبوا المخططات لإبعاده عن خلافة النبي، تارة مدفوعين بالحسد، وتارة بالثارات، وتارة بالضغائن الدفينة قبل الإسلام وبعده^(٤).

(١) سورة النحل ١٦: ٩٢.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٣) سورة المائدة ٥: ٥٥-٥٦.

(٤) أنظر السقيفة: ٩٦.

البلاغ المبين من رب العالمين سبحانه

ولكي أرسم فصلاً من فصول المحن التي واجهها أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفترة، وحلقة من حلقات الأهوال التي عصفت بمركزه ومقامه المخصصان له، والذي إجتمع عليه أعلام المذاهب والفرق، ونقلتها المؤلفات على اختلافها.

ولكن بأيجاز أن ابرزها ما جاب به الحجة الأميني عليه السلام، فانه لم يترك لمؤرخ أو منقب أو كاتب مجالاً لذكر أمراً جديداً، ولم يغادره تعليقاً دون أن يتطرق له في موسوعة الغدير التي جاءت بعدد من الأجزاء الضخمة التي اختلف عدد مجلداتها باختلاف الطبعات، ومن خلال إستقرائي لهذا الكتاب ما عرفت في تاريخ البشر على الإطلاق اختلافاً وقع في أمر من أمور الناس، أو قضية من قضايا المجتمعات الأمنية أو الدولية مثلما حصل من الاختلافات في حق الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام ومقامه بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والغريب أن يحدث كل ذلك رغم ما نزل من قرآن، وما جاء من أحاديث نبوية شريفة تشيد بذلك الأمر الذي اختلفوا فيه، وبمنتهى الصراحة، ومنتهى الوضوح إن لسبب كثرتها وقد مر أكثرها عليك في الفصول السابقة أو قد يأتي فيما بعد من الفصول اللاحقة؛ سنكتفي في هذا المقام بالتطرق إلى موضوع الغدير، والآيات المحكمات التي نزلت فيه.

وهذا الاختلاف أو هذه الخصومة التي نببحثها في مقامنا هذا قد أشار إليها القرآن الكريم أيضاً بالآية الكريمة: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(١).

وقبل التطرق إلى هذا الأمر أرى من المفيد أن أمهد له بكلمات قصار لا أظن يوجد أحداً يستطيع معارضتها أو إنكارها، وهي: أن أي بشر على وجه الأرض، أو كائناً من الكائنات مهما كان مقامه في المجتمع إذا حضره الموت لا بد أن يفضي لمن حوله من الأقرباء بما عنده من الأمور التي لها مساس بتركه أو إصلاح شؤون أهله، أو ما يتعلق برفع مستوى عشيرته، أو ما يتعلق بشؤون شعبه وأمنهم وخاصة أن كانت له تلك الشخصية التي لها إتصال مباشر بذلك المجتمع، أو تلك الأمة أو الدولة.

وأن هذه القاعدة رغم كونها عامة في البشر لكن الإسلام الذي جاء به خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ شدد على ضرورتها، وعلى مراعاتها وتنفيذها نصاً وروحاً، وقد تكرر أمر الإلتزام بها في كل من القرآن الكريم^(٢)، وأحاديث النبي وأولاده وأحفاده من آل بيت العصمة عليهم أفضل الصلاة والسلام، أذ يقول النبي: ((ما ينبغي لامرئ مسلم أن يبيت ليلة إلا ووصيته تحت رأسه))^(٣).

(١) سورة الحج ٢٢: ١٩.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذُوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ...﴾، سورة المائدة ٥: ١٠٦.

(٣) غنية النزوع: ٣٠٥، السرائر: ١٨٢/٣.

وقال الإمام الصادق عليه السلام بالوصية أيضاً: ((هي حق على كل مسلم))^(١).

وهنا نتفأمأم أمرين خطرين هما:

الأمر الأول: إستناداً لما تقدم من طبيعة أمور البشر ككل فالمفروض في محمد ﷺ كرئيس أسرة، ورئيس دولة، أن يوصي ويعهد بما يصلح شؤون هذه الأطراف جميعاً، خاصة وأنه أوجد للناس ديناً جديداً، ولا يزالوا حديثوا العهد به.

الأمر الثاني: إنه شخصياً أمر بلزوم الوصية، وضرورة تنفيذها، والالتزام بها، ومراعاتها، وسواء كان ذلك في القرآن الكريم الذي نزل عليه وبلغه إلى الناس كافة أو في أحاديثه المتواترة تنبأ عليه.

فأبعد ما يكون أن يترك رسول الله أمته وعشيرته وأهله، وهو زعيم قبيلة كما قلنا ورئيس دولة، ونبي ومبعوث من رب العالمين سبحانه إلى الناس كافة دون وصية، وهو الأمر بها والموصي بتنفيذها والمحاسب على تركها وإهمالها؛ لذلك تراه ﷺ في مرضه الأخير الذي توفاه الله فيه واختاره لجواره، ألح على القوم أن ينفذوا أمره بأحضار القرطاس والدواة^(٢) ليكتب لهم عهداً لن يضلوا معه أبداً^(٣).

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤ / ١٨١ ح ٥٤١١.

(٢) الدواة: أي المحبرة التي يوضع فيها الحبر للكتابة. أنظر الصحاح: ٦ / ٢٣٤٣ مادة دوى.

(٣) أنظر الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١ / ١٨٤.

ولكنهم مع بالغ الحزن والأسى والأسف، تنازعوا فيما بينهم عنده، فمنهم من كان راغب في تنفيذ أمر رسول الله، ومنهم من عارضه وعلى رأسهم عمر بن الخطاب الذي قال: (حسبنا الله، وإن النبي لهجر أو عليه الوجع)^(١)، وحين واجه الرسول ﷺ نزاعهم، ولغظهم^(٢)، ونقاشهم، وإرتفاع أصواتهم، صرفهم عنه وأقالهم من عنده فضاعت الوصية وضاع العهد، وظل عبد الله بن عباس يكي يوم الخميس، ويقول: (الخميس وما أدراك ما الخميس، وهو اليوم الذي توفي فيه رسول الله ﷺ دون أن يفسحوا المجال له ليوصي، ويعهد لأتمته عهداً لن تضل بعده)^(٣).

كما إنهم خالفوه في أمر خطر آخر قبل وفاته ﷺ وهو تأخيرهم ببعث أسامة بن زيد الذي وجهه رسول الله قائداً عاماً على أكابر الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان جنوداً تحت إمرته، أجل أنهم أخروا مسير هذا الجيش رغم الحاح النبي بضرورة التعجيل فيه قبل وفاته^(٤).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ١/ ١٨٤، صحيح البخاري: ١/ ٣٧.

(٢) لغظهم: أي أي إصدار أصوات مبهمة لا تفهم. أنظر العين: ٤/ ٣٨٧ مادة لفظ.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. الإيضاح: ٣٥٩، مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ٢٠٢، مسند أحمد: ١/ ٢٢٢، صحيح البخاري: ٤/ ٣١، صحيح مسلم: ٥/ ٧٥، عمدة القاري: ١٤/ ٢٩٨.

(٤) أنظر المغازي: ٢/ ١١١٧، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ١٥٩، عمدة القاري: ١٨/ ٧٦.

أي إنهم بدل أن يعجلوا في سيره عطلوه، ولا بد إنهم ارادوا البت بأمر الخلافة قبل مسير الجيش، وإذا امعنا النظر بتجرد عن العواطف والميول والنزعات، في هذين الأمرين المشار إليهما بعدم فسح المجال للنبي بالكتابة والتوصية، وتعطيلهم مسير الجيش الذي عينهم النبي فيه جنوداً ينكشف لنا المخطط الذي رسموه لتنفيذه يوم السقيفة لوحدهم، ودون مشاركة آل النبي وأنصارهم من أكابر الصحابة الذين معهم وعلى رأسهم سيف الإسلام الضارب لحمايته علي بن أبي طالب عليه السلام الذي تواترت النصوص كما ذكرنا في مقامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وحين اردن بعض النسوة إحضار الدواة والقرطاس فاصدراً القول متعجبات: ألا تسمعون ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟! فجاء الرد: إنكن صواحبات يوسف، إذا مرض رسول الله عصرتن أعينكن، وإذا صح ركبتن رقبته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((دعوهن فإنهن خير منكم))^(١).

أقول إلى اعداء الله: أن بعد هذا القول الذي صدر عنكم فما اسهل ما تطعنون فيما اكتب وأعهد بحجة أن النبي حين عهد كان يهجر، أو غلبه الوجع صلى الله عليه وآله وسلم وهو يلاقي ربه الذي إصطفاه وابتعثه الى الخلق كافة وهو: ﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

وأن الذي حصل عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك المقام كان خلافاً لمنطوق الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ

(١) مجمع الزوائد: ٣٤/٩، كنز العمال: ٦٤٤/٥ ح ١٤١٣٣.

(٢) سورة النجم ٥٣: ٤-٣.

فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا^(١).

فما كان أغرب رأي عمر بن الخطاب مع من اتبعه وهو يقول في هذه
الحالة: (حسبنا كتاب الله)^(٢)، وكم هي القواعد الدينية الأساسية التي لم
يتطرق إلى تفاصيلها القرآن الكريم كتفاصيل الحج، وتفاصيل الصلاة،
وتفاصيل الصيام، وتفاصيل النوافل، وغيرها مما أجمل ذكره في القرآن
الكريم؛ فكلها أسس يقوم عليها الدين الإسلامي، وتقوم عليها رسالة
التوحيد، وانني لعلني يقين أن النبي ﷺ حينما أراد أن يكتب إنما كان مراده
أن يوصي لعلني بالولاية على الناس وأن كان القرآن الكريم قد أشار إليها في
مواطن كثيرة، والأحاديث النبوية كشفت عنها في ألف موطن وموطن
ولكنه ﷺ أراد أن يكشفها ويثبتها بصراحة لا تحتمل الجدل والتفسير والتأويل،
ولكن الخميس وما أدراك ما الخميس هو اليوم الذي ظل ابن عباس يكيه
كمدأ والمأ طيلة حياته^(٣).

والدليل على ما أقول هو قوله ﷺ: ((يا معشر المسلمين ألا وإنني تارك
فيكم اثنان ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن

(١) سورة النساء ٤: ٥٩.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٢٠٢ / ١، وورد الخبر باختلاف يسير في أمالي المفيد: ٣٧ / ٣،

مسند أحمد: ١ / ٣٢٥، صحيح البخاري: ٩ / ٧، صحيح مسلم: ٥ / ٧٦

(٣) أنظر الإيضاح: ٣٥٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢٠٢ / ١، مسند أحمد: ١ / ٢٢٢، صحيح

البخاري: ٤ / ٣١، صحيح مسلم: ٥ / ٧٥، عمدة القاري: ١٤ / ٢٩٨.

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))^(١)، فهذا الكلام عينه قاله في مواطن عديدة بشأن الثقلين بأنه قد خلف في أمته الثقلين كتاب الله وعترته أهل بيته وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض^(٢).

فكتاب الله قائم بين أظهرهم ليس له حاجة إلى وصية إنما الوصية يقتضيها الثقل الثاني، وهو الذي يحتاجها لدفع كيد الكائدين عنه، وعاديات العادين عليه، وتخطيط المتأمرين به، ومن هو جاهزاً لمقام الخلافة والرأسة العامة من بعده غير أخيه ونفسه وصهره، وباب مدينة علمه، وأبو ولده علي بن أبي طالب عليه السلام؟!

ونسفاً لهذا التدبير النبوي الكريم أعلن ابن الخطاب مقالته: (أن النبي ليهجر، حسبنا كتاب الله)^(٣)، ليمهد الطريق لما بيت ورفاقه بليل، وهو تنحية الإمام علي عن الخلافة، وأسنادها إلى أحدهم وهو الذي انعقدت عليه نيتهم يومذاك أي أبا بكر.

وأن الذين رووا حديث عمر من الصحابة كثيرون منهم سعيد بن جبير، وسليمان بن أبي مسلم، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عباس، وعمر بن الخطاب نفسه^(٤)، وإن عدم تنفيذ أمر النبي ﷺ في أخطر موقف،

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. الكافي: ١/ ٢٩٤ ح ٣.

(٢) أنظر مسند أحمد: ٣/ ٢٦، صحيح مسلم: ٧/ ١٢٢، المستدرک: ٣/ ١٠٩، الكشف والبيان: ٣/ ١٦٣، أمالي الطوسي: ٢٥٥ ح ٤٦٠، الجمع بين الصحيحين: ٢/ ٣١٧ ح ٣٦٠.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير في مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ٢٠٢، أمالي المفيد: ٣٧ ح ٣،

مسند أحمد: ١/ ٣٢٥، صحيح البخاري: ٧/ ٩، صحيح مسلم: ٥/ ٧٦

(٤) أنظر الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٤٢.

وأخرج ساعة يتقرر فيها مصير أمة بأجمعها إلى أبد الابدین يعتبر قطعاً أخطر وأروع حديث في تاريخ الإسلام والمسلمين، وإنه كان السبب في كل ما حدث من فتن، وفوضى، ودماء، ثم تحويل خلافة النبي إلى ملك يقوم على الإلحاد، والكفر، والعدوان، منذ أن سيطرة يد أمية الكفر، الذين فتح لهم الطريق، وعبد لهم السبيل، ومهد لهم الأمر عثمان بن عفان في تسليم مقاليد أمور المسلمين وبيوت أموالهم إلى الأمويين الذين عاثوا في الارض فساداً.

وكل منصف بعيد عن النزعات متفتح القلب والذهن ليأسف شديد الأسف على هذا الضياع المؤلم الذي خسرت فيه أمة محمد، ولكان حق الله يغنيها ويجنبها كل تلك الفتن وكل تلك المحن التي طحنتها ومزقتها وفرت شملها.

نعم، تلك الفتن والمحن التي ما أراها منتهية حتى قيام الساعة، وهو الاختلاف والبلوى الذان ذكرى بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيِّنَنَّ لَكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(١)، ففي الإمام علي نزلت هذه الآية الكريمة^(٢)؛ لأنه هو المتأمر عليه، وهو المغصوب حقه رغم إنه في صميم هذه الأمة، ومحله محل قطب من الرحي فيها^(٣).

(١) سورة النحل ١٦: ٩٢.

(٢) أنظر مجمع البيان: ٦ / ١٩٥.

(٣) القطب من الرحي: أي الحديدية المركبة في وسط حجر الرحي السفلي التي تدور حولها العليا. أنظر الصحاح: ١ / ٢٠٤ مادة قطب

حجة الوداع

أن حجة الوداع هي إعلان البلاغ المبين، والنبأ العظيم من رب العالمين سبحانه في ولاية صاحب الولاية الكبرى أمير المؤمنين عليه السلام.

وبشكل لم يسبق له مثيل مهد رسول الله ﷺ في حجته الأخيرة التي كان يؤدي الفرض فيها أكبر عدد من الناس ومن مختلف الأمصار والأقطار، حتى لقد تجاوز عدد الذين تشرفوا ووقفوا لصحبة الرسول الأكرم في هذه الحجة قرابة مائة ألف أو يزيدون، ولما أتموا حجهم وقفوا راجعين، وقبل الوصول إلى نقطة تفرقهم وهي الجحفة^(١) نزل الأمين جبرئيل على خاتم المرسلين ﷺ يبلغه أمر ربه العظيم بتنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام علماً في المسلمين، وإماماً للمتقين، وهادياً للعالمين وأميراً للمؤمنين، وقائداً للغر المحجلين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

فاستبطأ النبي بالتبليغ ملتصقاً بجبرئيل أن يسترحم الليل في تعطيل تبليغ الأمر خشية رده من قبل المنافقين، والناس لا يزالون حديثوا عهد بالإسلام مع كثرة الذين بتروا سيف علي عليه السلام؛ فنزل الإنذار المرعب من لدن المهيمن الأعلى تبارك وتعالى عزت قدرته: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)، فأنتهى الأمر،

(١) الجحفة: قرية كبيرة على طريق المدينة. أنظر معجم البلدان: ١ / ١١١.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٣) سورة المائدة ٥: ٦٧.

ولم يبق لدى النبي المكرم وقد عصمه العلي الأعلى إلا التبليغ، فأمر بالصلاة الجامعة، وفي ضحى النهار من الثامن عشر من ذي الحجة وبذي الحليفة، والأرض تلهب تحت أقدام الناس في ساعة قىظ^(١) يشوي الوجوه.

وأمر ﷺ بإرجاع من تقدم من الناس، وأعجال من تأخر منهم لأعلان نبأ عظيم، وأمر خطير من لدن رب العالمين سبحانه، وعند إجتماع الناس أمر بالحدائج^(٢) فقممت، وأخذ بيد علي عليه وعلى رسول الله صلوات الرحمن، ورفعها حتى بان بياض إبطه^(٣)، وقام خطيباً في الناس قائلاً لهم:

((أيها الناس، ألم أكن أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فهذا علي أولى بكم من أنفسكم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه، فأقامه علماً وإماماً للمسلمين، وأميراً للمؤمنين وهادياً للعالمين فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٤))).^(٥)

ونقل العلامة الأميني عن زيد بن أرقم خطاباً لرسول الله ﷺ: ((إن الله تعالى أنزل إلي: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٦)، وقد أمرني جبرئيل عن

(١) قىظ: أي صميم الصيف. العين: ٢٠٠ / ٥ مادة قىظ.

(٢) الحدائج: أي شد الأحمال. الصحاح: ١ / ٣٠٥ مادة حدج.

(٣) أنظر مسند أحمد: ١ / ٨٤، التاريخ الكبير: ١ / ٣٧٥ ح ١١٩١، مسند أبي يعلى: ١ / ٤٢٩ ح ٥٦٧، صحيح ابن حبان: ١٥ / ٢٧٦، السنن الكبرى للبيهقي: ٥ / ٤٥ ح ٨١٤٥.

(٤) سورة الرعد ١٣: ٧.

(٥) ورد الخبر باختلاف يسير. الإيضاح: ٩٩.

(٦) سورة المائدة ٥: ٦٧.

ربي أن أقوم في هذا المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود: إن علي بن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي والإمام بعدي، فسألت جبرئيل أن يستعفي لي ربي لعلمي بقلّة المتقين وكثرة المؤذنين لي واللائمين، لكثرة ملازمي لعلي وشدة إقباله عليه حتى سموني أذنًا، فقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أذُنٌ قُلْ أذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١).

ولو شئت أن أسميهم وأدل عليهم لفعلت، ولكني بسترهم قد تكرمت، فلم يرض الله إلا بتبليغي فيه فاعلموا معاشر الناس ذلك: فإن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً، وفرض طاعته على كل أحد، ماض حكمه، جائز قوله، ملعون من خالفه، مرحوم من صدقه، اسمعوا وأطيعوا، فإن الله مولاكم، وعلي إمامكم، ثم الإمامة في ولدي من صلبه إلى القيامة.

لا حلال إلا ما أحله الله ورسوله، ولا حرام إلا ما حرم الله ورسوله وهم، فما من علم إلا وقد أحصاه الله في ونقلته إليه فلا تضلوا عنه ولا تستكفوا منه، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، لن يتوب الله على أحد أنكره ولن يغفر له، حتماً على الله أن يفعل ذلك أن يعذبه عذاباً نكراً أبداً الأبد، فهو أفضل الناس بعدي ما نزل الرزق وبقي الخلق.

ملعون من خالفه، قولي عن جبرئيل، عن الله، فلتنظر نفس ما قدمت لغد، إفهموا محكم القرآن ولا تتبعوا متشابهه، ولن يفسر ذلك لكم إلا من أنا

(١) سورة التوبة ٩: ٦١.

أخذ بيده وشائل بعضده ومعلمكم: إن من كنت مولاه فهذا فعلي مولاه، ومولاته من الله عز وجل أنزلها علي.

ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره، ثم رفعه إلى السماء حتى صارت رجله مع ركبة النبي ﷺ، وقال: معاشر الناس، هذا أخي ووصيي وواعي علمي وخليفتي، على من آمن بي، وعلى تفسير كتاب ربي.

اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره، وأغضب على من جحد حقه.

اللهم إنك أنزلت عند تبين ذلك في علي اليوم أكملت لكم دينكم بإمامته فمن لم يأت به وبمن كان من ولدي من صلبه إلى القيامة فأولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون^(١).

إن إبليس أخرج آدم ﷺ من الجنة مع كونه صفوة الله بالحسد، فلا تحسدوا فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم.

في علي نزلت سورة: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾^(٢).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، سورة المائدة ٥: ٣.

(٢) سورة العصر ١٠٣: ٢-١.

معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارهم أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت^(١)، النور من الله في ثم في علي ثم في النسل منه إلى القائم المهدي.

معاشر الناس، سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون، وإن الله وأنا بريثان منهم إنهم وأنصارهم، وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، وسيجعلونها ملكا اغتصابا فعندها يفرغ لكم.

أيها الثقلان، ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾^(٢)، انتهى خطاب خاتم النبيين وسيد المرسلين ﷺ^(٣).

هذا هو القول الفصل وما هو بالهزل، وإنه لقول رسولا كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وما صاحبكم بمجنون.

تعليق:

هذا ولي الله، هذا الإمام الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، هذا هو خليفة رسول الله، هذا هو والنَّبأُ الْعَظِيمُ الذي هم فيه يختلفون وعنه وعن ولايته يوم البعث يسألون^(٤)، وعليه يعرضون وهم رجال على الأعراف

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فَرَدِّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾، سورة النساء ٤: ٤٧.

(٢) سورة الرحمن ٥٥: ٣٥.

(٣) الغدير: ١/ ٢١٤، وورد الخبر باختلاف يسير في الصراط المستقيم: ١/ ٣٠٣.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كُلًّا

يعرفون كل بسيماهم^(١)، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر، فالكل ميتون وإلى ربهم راجعون، ويوم القيامة يحشرون، وطوبى لنفس آمنت فرجعت إلى بارئها راضية مرضية.

وثائق ومساند

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢).

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

أخرج الحافظ عبد الرحمن ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره، وكذلك السيوطي في الدر المنثور عن أبي سعيد الخدري رحمه الله، أن الآية نزلت على رسول الله يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب^(٣).

وهو ما ذهب إليه العيني عندما قال: نزلت هذه الآية يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب^(٤).

سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ، سورة النبأ ٧٨: ١-٥.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾، سورة الأعراف ٤٦: ٧.

(٢) سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٣) أنظر تفسير القرآن العظيم للرازي: ٤/١١٧٢ ح ٦٦٠٩، الدر المنثور: ٢/ ٢٩٨.

(٤) أنظر عمدة القاري: ٢٠٦/١٨.

ونقل الثعلبي: أن هذه الآية نزلت في علي، فأمر النبي أن يبلغ فيه فأخذ عليه السلام بيد علي، وقال: ((من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه))^(١).

وإضافة لذلك نجد الشيخ الأميني رحمته الله ينقل نزول هذه الآية بعلي بن أبي طالب عليه السلام، عن الحافظ أبو بكر الفارسي الشيرازي، والحافظ أبو عبد الله المحاملي، والحافظ ابن مردويه، والحافظ أبو نعيم الأصبهاني، وغيرهم كثير وباسانيد مختلفة^(٢).

رواة حديث الغدير

نقل العلامة الأميني في كتاب الغدير أسماء كثير من الصحابة الأجلاء الذين نقلوا حديث يوم الغدير بحق أمير المؤمنين عليه السلام، بعدد تجاوزن المائة وخمسة وثلاثين، ونذكر منهم حسب الحروف الهجائية:

١. أبو هريرة الدوسي.
٢. أبو فضالة الأنصاري.
٣. أبو زينب بن عوف الأنصاري.
٤. أبو ليلى الأنصاري.
٥. أبو قدامة الأنصاري.

(١) الكشف والبيان: ٩٢ / ٤.

(٢) أنظر الغدير: ٢١٦ / ١.

٦. أبو عمرة بن عمرو بن محسن الأنصاري.
٧. أبو الهيثم بن التيهان.
٨. أبو رافع القبطي.
٩. أبو ذؤيب خويلد بن خالد.
١٠. أبو بكر بن أبي قحافة التميمي.
١١. أسامة بن زيد بن حارث الكلبي.
١٢. أسعد بن زرارة الأنصاري.
١٣. أبي بن كعب الأنصاري.
١٤. أسماء بنت عميس الخثعمية.
١٥. أم سلمة زوجة النبي.
١٦. أم هاني بنت أبي طالب.
١٧. أبو حمزة أنس بن مالك الأنصاري.
١٨. براء بن عازب الأنصاري.
١٩. بريدة بن الحصيب.
٢٠. أبو سعيد ثابت بن وداعة الأنصاري.
٢١. جابر بن سمرة بن جنادة.

٢٢. جابر بن عبد الله الأنصاري.
٢٣. جبلة بن عمرو الأنصاري.
٢٤. جبير بن مطعم بن عدي القرشي.
٢٥. جرير بن عبد الله البجلي.
٢٦. صادق اللهجة أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ: ((ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(١).
٢٧. أبو جنيده جندع بن عمرو الأنصاري.
٢٨. حبة بن جوين العرني.
٢٩. حبشي بن جنادة السلولي.
٣٠. حبيب بن بديل الخزاعي.
٣١. حذيفة بن أسيد.
٣٢. حذيفة بن اليمان.
٣٣. حسان بن ثابت.
٣٤. الإمام السبط الحسين بن علي الشهيد عليه السلام.

(١) أمالي الطوسي: ٥٣ ح ٧٠.

٣٥. أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري
٣٦. خالد بن الوليد.
٣٧. خزيمة بن ثابت الأنصاري.
٣٨. خويلد بن عمرو الخزاعي.
٣٩. رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري.
٤٠. زبير بن العوام القرشي.
٤١. زيد بن أرقم الأنصاري.
٤٢. زيد بن ثابت.
٤٣. زيد بن شرحبيل الأنصاري.
٤٤. زيد بن عبد الله الأنصاري.
٤٥. سعد بن أبي وقاص.
٤٦. سعد بن جنادة العوفي.
٤٧. سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي.
٤٨. أبو سعيد سعد بن مالك أنصاري الخدري.
٤٩. سعيد بن يزيد القرشي العدوي.
٥٠. سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري.

٥١. أبو عبد الله سلمان الفارسي.
٥٢. سلمة بن عمرو الأسلمي.
٥٣. سمرة بن جندب الفزاري.
٥٤. سهل بن حنيف الأنصاري.
٥٥. سهل بن سعد الأنصاري.
٥٦. أبو إمامة الصدي ابن عجلان الباهلي.
٥٧. ضميرة الأسدي.
٥٨. طلحة بن عبيد الله التميمي.
٥٩. عامر بن عمير النميري.
٦٠. عامر بن ليلى بن ضمرة.
٦١. عامر بن ليلى الغفاري.
٦٢. عامر بن وائلة الليثي.
٦٣. عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة.
٦٤. عباس بن عبد المطلب.
٦٥. عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري.
٦٦. عبد الرحمن بن عوف القرشي.

٦٧. عبد الرحمن بن يعمر الديلمي.
٦٨. عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي.
٦٩. عبد الله بن بديل بن ورقاء.
٧٠. عبد الله بن بشير المازني.
٧١. عبد الله بن ثابت الأنصاري.
٧٢. عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.
٧٣. عبد الله بن خنطب القرشي المخزومي.
٧٤. عبد الله بن ربيعة.
٧٥. عبد الله بن عباس.
٧٦. عبد الله بن أبي أوفى.
٧٧. عبد الله بن عمر بن الخطاب.
٧٨. عبد الله بن مسعود الهذلي.
٧٩. عبد الله بن ياميل.
٨٠. عثمان بن عفان.
٨١. عبيد بن عازب الأنصاري.
٨٢. أبو طريف عدي بن حاتم.

٨٣. عطية بن يسر المازني.
٨٤. عقبة بن عامر الجهني.
٨٥. علي بن أبي طالب عليه السلام.
٨٦. عمار بن ياسر.
٨٧. عمارة الخزرجي الأنصاري.
٨٨. عمر بن أبي سلمة.
٨٩. عمر بن الخطاب.
٩٠. عمران بن حصين الخزاعي.
٩١. عمرو بن الحمق الخزاعي.
٩٢. عمرو بن شراحيل.
٩٣. عمرو بن مرة الجهني.
٩٤. الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.
٩٥. فاطمة بنت حمزة سيد الشهداء ابن عبد المطلب.
٩٦. قيس بن ثابت بن شماس الأنصاري.
٩٧. قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي.
٩٨. كعب بن عجرة الأنصاري المدني.

٩٩. مالك بن الحويرث الليثي.
١٠٠. المقداد بن عمرو الكندي.
١٠١. ناجية بن عمرو الخزاعي.
١٠٢. أبو برزة فضلة بن عتبة.
١٠٣. نعمان بن عجلان الأنصاري.
١٠٤. هاشم المرقال بن عتبة بن أبي وقاص الزهري.
١٠٥. وحشي بن حرب الحبشي.
١٠٦. وهب بن حمزة.
١٠٧. وهب بن عبد الله السوائي.
١٠٨. يعلى بن مرة بن وهب الثقفي.
- وغيرها من الشخصيات التي ذكرها الأُميني مما يفي بغية الطالب ويزيد^(١).

(١) أنظر الغدير: ١ / ١٤.

الغدير بين محب ومبغض

استأذن حسان بن ثابت النبي، بأن يقول شعراً بهذه المناسبة التاريخية العظمى، والحادثة الكبرى، والولاية العظمى؛ فأذن له فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم وأكرم بالنبي مناديا
يقول فمن مولاكم ووليكم	فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا	ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإنني	رضيتك من بعدي إماما وهاديا ^(١)

فانظر أي صبراً هذا الذي تجرعه وتغصص به أمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه، وهذه أوامر السماء صريحة معلنة على رؤوس الأشهاد، وبأدق الظروف، وفي ساعة ملتبهة من قيظ^(٢) يشوي الوجوه، ويكاد المرء فيه يضع رداءه تحت قدميه إتقاء حرارة الرمل.

ومع هذا صرف مبعد عن مقامه، مغتصب حقه، لا ناصر لديه إلا أهله الذين ظن بهم عن الموت^(٣)، وذلك الصبر تكشفه لك خطبته المدوية التي

(١) أمالي الصدوق: ٦٧٠ ح ٨٩٨، وودت الأبيات باختلاف يسير في روضة الواعظين: ١٠٣.

(٢) قيظ: أي صميم الصيف. العين: ٥ / ٢٠٠ مادة قيظ.

(٣) إشارة إلى قوله عليه السلام: ((فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضنت بهم عن الموت...)). نهج البلاغة: ٦٧/١.

سميت بالشقشقية التي مرت عليك^(١)، وخطبتي الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها وفي بيتها وقد مر بك ذكرها^(٢).

أضافة لكثير من خطبه عليها السلام، منها: على قبر النبي^(٣)، وقبر ابنته وبضعته الزهراء عليها السلام^(٤)، ولا بأس أن اعطيك وأحدة من خطبه التي تشير إلى هذا الحادث وما رافقه من اجحاف، وهو خطابه عليها السلام الذي يصف فيه علاقته بالنبي قبل وبعد موته، وإنه أحق الناس بمقامه من بعده.

فيقول سلام الله عليه: ((ولقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إنني لم ارد على الله، ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيته بنفسي في المواطن التي تنكص^(٥) فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام بمجدة أكرمني الله بها.

ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وان رأسه لعلى صدري، ولقد سألت نفسه في كفي فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله، والملائكة أعواني،

(١) أنظر الاحتجاج: ١ / ٢٨٤.

(٢) أنظر الاحتجاج: ١ / ١٣٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣ / ١٦، أمالي

الطوسي: ٣٧٤ ح ٨٠٤.

(٣) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢ / ١٣.

(٤) نهج البلاغة: ١٨٢ / ٢.

(٥) تنكص: أي رجع. الصحاح: ٣ / ١٠٦٠ مادة نكص.

فضجت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هينة منهم^(١).

يصلون عليه حتى واريناه ضريحه، فمن ذا احق به مني حياً وميتاً؟ فأنفذوا على بصائرهم، ولتصدق نياتكم في جهاد عدوكم، فوالذي لا إله إلا هو إني لعلی جاء الحق، وإنهم لعلی مزلة الباطل، وأقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم^(٢).

وعن سيدة نساء العالمين عليها السلام، إنها قالت: ((جائني أبي ﷺ يوماً ووجد ابن عمه نائماً، فقممت لأوقضه، فقال لي: دعيه؛ فرب سهر طويل له بعدي^(٣)).

وهذا خبر من صاحب الوحي والتنزيل الذي لا ينطق عن الهوى ما هو إلا وحي يوحى^(٤)، فهو يخبر عن الأحوال والمحن والخطوب التي سيواجهها أمير المؤمنين عليه السلام في مسيرة جهاده، ولكن المصير وحسن العاقبة تتجلى بما نقل الرواة ومنهم الرازي والطبراني والمتقي الهندي والهيتمي، عن النبي الأكرم ﷺ، إذ قال: ((ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة، كلهم في النار إلا فرقة واحدة).

(١) هينة: أي الصوت الخفي. العين: ٦٠/٤ مادة هم.

(٢) نهج البلاغة: ١٧١/٢.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٧/٤.

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، سورة النجم ٥٣:

قيل: ومن هم يا رسول الله؟

قال: ما أنا عليه وأصحابي^(١).

خطاب يكشف محنه

وهو خطاب لأمر المؤمنين ينسجم مع ما نبث فيه من محنة ﷺ، وهو ليس خطاباً وأحداً بل بألاف المواطن والمناسبات أوضح سيد الوصيين ماسيواجهه من الجور، والطغيان، والحن، وقد مر بعضها عليك، وهذا خطاب آخر يصور لك بعض جوانب تلك المحن التي واجهها صلوات الله عليه في سيرة جهاده المضنية، فيقول:

((إن الله بعث محمداً ﷺ نذيراً للعالمين، وأمينا على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين وفي شر دار، متنخون بين حجارة خشن وحيات صم، تشربون الكدر^(٢) وتأكلون الجشب^(٣)، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم.

(١) تفسير الرازي: ١/ ٢١٠، وورد الخبر باختلاف يسير في المعجم الأوسط: ٥/ ١٣٧، كنز

العمال: ١/ ٢١٠ ح ١٠٥٧، مجمع الزوائد: ١/ ١٨٩.

(٢) الكدر: أي الماء الشائب. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٥/ ١٦٤ مادة كدر.

(٣) الجشب: أي طعام خشن لا آدم فيه. أنظر معجم مقاييس اللغة: ١/ ٤٥٩ مادة جشب.

الأصنام فيكم منصوبة والآثام بكم معصوبة؛ فنظرت فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى^(١)، وشربت على الشجى^(٢)، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم.

ولم يبايع حتى شرط أن يؤتيه على البيعة ثمنا، فلا ظفرت يد البائع وخزيت أمانة المبتاع، فخذوا للحرب أهبتها، وأعدوا لها عدتها، فقد شب لظاها وعلا سناها، واستشعروا الصبر فإنه أدعى إلى النصر^(٣).

ولابد وإنك لاحظت في خطاب الزهراء عليها السلام الذي مر بك نصه كاملاً، حين التفتت إلى الأنصار تخاطبهم قائلة: أيها بني قيلة^(٤)، أأهظم تراث أبي؟ وانتم بمرثى، ومسمع، ومنتدى، ومجمع، تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وانتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنه، توافيكم الدعوة فلا تجيئون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وانتم موصوفون ﴿بالكفاح﴾، معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب، وناطحتم الأمم، وكافحتم البهيم لا تبرح أو تبرحون، نأمركم فتأمرون، حتى إذا دارت بنا رحى

(١) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٢٠٢/٥ مادة قذي.

(٢) الشجى: ما اعترض في الحلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦/٢٣٨٩ مادة شجا.

(٣) نهج البلاغة: ٦٦/١.

(٤) تخاطب عليها السلام بني الأخوان الأوس، والخزرج، باسم أهمها قيلة بنت الأرقم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزقياء. أنظر جمهرة أنساب العرب: ٣٣٢.

الإسلام، ودر حلب الأيام، وخضعت ثغرة الشرك، وسكنت فورة الإفك^(١)، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنى حزتم بعد البيان؟، واسررتكم بعد الإعلان؟ ونكصتم بعد الأقدام، وأشركتم بعد الإيمان.

بئساً لقوم نكثوا إيمانهم من بعد عهدهم، وهموا بأخراج الرسول، وهم بدؤوكم أول مرة، أتخشوهم؟ فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين، ألا وقد أرى أن قد اخلدتم الى الخفض، وأبعدتم من هو أحق بالسط والقبض^(٢)، وخلوتم بالدعة، ونجوتم بالضيق من السعة، فعججتم ما دعيتكم، ودسعتكم^(٣) الذي تسوغتم، فأن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً، فأن الله لغني حميد، ألا وقد قلق ما قلق هذا على معرفة مني بالجدلة التي خامرتكم، والغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، ونفثه الغيظ، وخور القناة، وبثة الصدر، وتقدمة الحجة، فدونكموها فأحتقبوها دبرة الظهر نقية الخلف باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة بنار الله المؤقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٤)، وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا انا منتظرون^(٥)﴾^(١).

(١) الإفك: أي الكذب. أنظر العين: ٤١٦ / ٥ مادة أفك.

(٢) أي ابعدتم صاحبها علي ﷺ، وانصبتكم من هو دونه دون نص عليه، من المؤلف.

(٣) دسعتكم: أي اخرجتم قيتكم. أنظر لسان العرب: ٨ / ٨٤ مادة دسع.

(٤) سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٥) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا

إستنتاج مكشوف

نستنتج مما تقدم أن أبنة أكرم المرسلين، وخاتم النبيين قد أعلنتها بصراحة مدوية إلى الأنصار تأمرهم بحمل السلاح لأسقاط الحكم الذي تولاه أبا بكر وجماعته، وارجاعه إلى رواسيه وقواعده التي أمر بها الله سبحانه، وتحملهم المسؤولية العظمى، وهم أصحاب العدة والعدد، إذ هم تباطؤوا وجنبوا عن نصرتها فيما تطلب، وتحيل أمر كفرهم هذا إلى عار الدنيا، وخزي الآخرة، وتوكيل أمرها إلى محكمة المعاد التي لا حاكم فيها غير الله سبحانه.

فكان خطاب الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها وفي بيتها^(٢)، محاكمة مدعمة بكل اسباب الثوابت القرآنية الكريمة في أقرار حقها، ولكنها واليأس قد أخذ بمجامع قلبها من إنقلاب الناس على الأعقاب، وتباطؤهم في نصره أبنه الرسول، فاحالت قضيتها إلى الله والمشتكي خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله، والشهود بل والمتهمون فيها أيضا كل أولئك الذين استصرختهم لنجدها ولم يلبوا طلبها.

إنا منتظرون»، سورة هود ١١: ١٢١-١٢٢.

(١) الاحتجاج: ١/ ١٣٢.

(٢) أنظر الاحتجاج: ١/ ١٣٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٦/ ٢٣٣، أمالي

الطوسي: ٣٧٤ ح ٨٠٤.

حديث عن أم سلمة

نقل صاحب المراجعات أن أم سلمة قالت: (والذي أحلف به إن كان علي لأقرب الناس عهداً برسول الله ﷺ، عدناه غداة وهو يقول: ((جاء علي، جاء علي، مراراً.

فقلت فاطمة: كأنك بعثته في حاجة؟

قالت: فجاء بعد، فظننت أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا عند الباب)).

قالت أم سلمة: وكنت من أدناهم إلى الباب، فأكب عليه رسول الله ﷺ، وجعل يساره ويناجيه، ثم قبض ﷺ من يومه ذلك، فكان علي أقرب^(١).

وروى عن عبد الله بن عمر أنه قال: إن رسول الله ﷺ قال في مرضه: ((ادعوا لي أخي فدعوا له أبا بكر فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي فدعوا له عمر فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي فدعوا له عثمان فأعرض عنه، ثم قال: ادعوا لي أخي فدعي له علي بن أبي طالب فستره بثوب وأكب عليه.

فلما خرج من عنده قيل له: ما قال؟

قال: علمني ألف باب يفتح كل باب إلى ألف باب))^(٢).

(١) المراجعات: ٣٣٠.

(٢) الكامل: ٤٥٠ / ٢، البداية والنهاية: ٣٩٦ / ٧.

أن خصومة الزهراء عليها السلام لأبي بكر وعمر منذ قيام حكمهما يوم السقيفة وإلى أن إنتقلت بأبي وأمي إلى حضرة القدس بجوار أبيها خاتم المرسلين وأفضل الخلائق أجمعين، فما كانت لتقبل الركون على الإطلاق، فهي في اعنف خصومة عرفت في تاريخ الإسلام، فمع سعة صدر أهل البيت عليهم السلام، وقوة صبرهم واحتمالهم للمكاره، وحلمهم على خصومهم،

وقد نقل العقان حال الزهراء عليها السلام عند دخول الرجلين عليها بأذن علي وسلم فأنها من شدة نقمتهما عليهما، وتأثرها منهما لن ترد السلام عليهما.

وبعد أن القت الحجة عليهما، وجعلتهم يؤيدان حديث النبي بان رضاها من رضاه بقولها: ((أرأيتكما إن حدثتكما حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتعملان به))؟ قالوا: (نعم)، فقالت: ((نشدتكما الله الم تسمعا رسول الله يقول: رضا فاطمة من رضائي، وسخطها من سخطي))؟ قالوا: (نعم سمعناه من رسول الله)، قالت: ((فإني أشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه))^(١).

وبقيت مقاطعة لهما حتى إنتقلت إلى جوار ربها في جنات مليك مقتدر، وأوصت بعدها أمير المؤمنين أن لا يخبر أحد منهما بموتها ويدفنها سراً، وكذلك فعل سلام الله عليه أذ حفر لها عدة قبور، وعما على قبرها حتى لا

(١) فاطمة الزهراء والفاطميون: ٤٦.

يعرفه أحد، إلا هو وأبناءه الحسنان وخلص أصحابه كأبي ذر، والمقداد، وسلمان، وعمار بن ياسر، وبعض الهاشميين^(١).

أخيراً نقول:

ولعلك تكتفي بالآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾^(٢)، ومع هذا نجد من ينتهي بهذه الخصومة إلى أبسطها محاولاً غض طرفه عما إنتهت إليه أخطر خصومة عرفت في دنيا الإسلام، بل العالم بأسره أذ كان الطرف الأول فيها أبنت خاتم النبيين الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً للعالمين، وزوجة سيد الوصيين، وأم سيد شباب أهل الجنة.

والطرف الثاني هو الشخص الجالس على منبر أبيها ووزيره، والخصومة هذه إنتقلت مع وفاتها من محكمة الدنيا إلى محكمة المعاد التي لا حاكم فيها غير رب العالمين سبحانه، والخصم فيها خاتم النبيين، وهنالك يخسر المبتلون ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، وأن جهنم لمحيطَةٌ بالكافرين^(٣).

(١) انظر دلائل الإمامة: ١٣٦، الهداية الكبرى: ١٧٨.

(٢) سورة النساء: ٥٨.

(٣) إشارة لخطاب الزهراء عليها السلام: ((ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم))، الموجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١/ ١٣٦.

وصية الزهراء عليها السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام

نقل صاحب كتاب كشف الغمة وصيتها عن أبا جعفر عليه السلام، وإنه قد أخرج سफطاً^(١) فاخرج منه كتاباً فقرأه، وفيه وصية فاطمة عليها السلام: ((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هذا ما أوصت به فاطمة بنت محمد عليه السلام أوصت بحوائطها السبعة إلى علي بن أبي طالب، فإن مضى فإلى الحسن، فإن مضى فإلى الحسين، فإن مضى فإلى الأكابر من ولدي)). وكتب أمير المؤمنين هذه الوصية وأشهد عليها المقداد بن الأسود، والزبير بن العوام.

كما أوصت عليها الصلاة والسلام: ((أن لا يغسلها بعد موتها غير علي وأسماء بنت عميس))^(٢)، كما أوصت مذكرة. ان لا يشيعها القوم الذين غصبوها حقها بعد موت أبيها وقالت لأمر المؤمنين قبل موتها: ((أمنفذ أنت وصيتي وعهدي، أو والله لأعهدن إلى غيرك؟

فقال أمير المؤمنين: بل انفذها.

قالت عليها صلوات الرحمن: إذا أنا مت فادفني ليلاً، ولا تؤذنن بي أبا بكر وعمر))^(٣).

(١) السَفْطُ: هو الذي يُعْبَى فيه الطَّيْبُ وما أشبهه من أدوات النساء. لسان العرب: ٧ / ٣١٥ مادة سَفَط.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير في كشف الغمة في معرفة الائمة: ١٢٢/٢.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير في كشف الغمة في معرفة الائمة: ١١٦/٢.

وذكر صاحب ذخائر العقبى: إنها أوصته بولديها الحسن والحسين خيراً، ثم التفتت إلى أسماء بنت عميس، وقالت: ((إني قد استقبحت ما يصنع بالنساء إنه يطرح على المرأة الثوب فيصفها لمن يراها))^(١).

آخر يوم من أيامها

وفي آخر يوم من أيامها، وقد بدا يضرع بعض التحسن على صحتها فطمئن أمير المؤمنين عليه السلام، فغادر الإمام البيت إلى المسجد ليؤدي مهمته في حفظ الرسالة وما يترتب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأبقى الزهراء عليها السلام وتتوضى للصلاة، وتطلب من أسماء بنت عميس أن تأتيها بشيء من طيبها الذي تطيب به، وملابسها التي تصلي فيها، وقد وضعت عليها السلام رأسها على وسادتها وهي تقول لأسماء: ((اجلسي عند راسي فإذا جاء وقت الصلاة فأقيميني فإن قمت، وإلا فارسلني إلي علي)).

ويحل وقت الصلاة، وتخطب أسماء الصديقة الكبرى، بقولها: الصلاة يا بنت رسول الله، فوجد قد خيم الفزع على أسماء؛ لأن الزهراء لم تجبها بشيء، ولم تبادر إليها، ولم تكشف عن وجهها، وأسماء تصيح: يا بنت المصطفى، يا بنت أكرم من حملته النساء، يا بنت خير من وطأ الحصى.

فتراها وقد فارقت الحياة، ويدخل الحسان في هذه اللحظات الحاسمة من حياة بنت الرسالة وبقية النبوة ويسئلان عن أمهما، فتفاجئهما أسماء بأنها قد

(١) ورد الحديث باختلاف يسير في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٥٣.

فارت الحياة، فساعدكما الله يا سيدا شباب أهل الجنة، وها هي بقية محمد بن عبد الله ترحل عنكما؛ لتنتظركما معه في دار أبيها الذي فيها يقيم ومثواه عند الذي اصطفاه رب الجنان والنعيم.

فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وعظم الله أجوركما وأبوكما بمصابتكما بسيدة نساء العالمين، وعظم الله أجورنا ونحن خدمهم نقف على بابهم، قائلين: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ويقع السبط الإمام الحسن عليه السلام على أمه ليقبلها القبله الأخيرة، وهو يقول: ((يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني))، ويقع الحسين عليه السلام عليها، وهو يقبل رجليها، ويقول: ((يا أماه أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدع قلبي)).

وأسماء بنت عميس تحاول إبقاء شيء من الجلد فيهما، وتطلب إليهما إخبار أبوهما بما حدث لأمههما، ويخرجان يتعثران طريقهما واللوعة تصدع قلوبهما، يقصدان مسجد أبيهما وجدهما محمد صلى الله عليه وآله لينقلا إليه الخبر المفجع، ولم تمض إلا أسابيع على فاجعة عميدهم الرسول المكرم.

وحين وصلا باب المسجد أجهشا بالبكاء، وبكى الناس معهما، وظنوا إنهما تذكرتا جدهما ولكنهما أعلننا خبر الكارثة ب وفاة سيدة نساء العالمين، وبقيت خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، وحين بلغ الخبر أمير المؤمنين أहत نفسة، وعلا عليه حزنه واساه، فقال يخاطبهما: ((بمن العزاء يا بنت أكرم المرسلين، كنت بك اتعزى، فقيم العزاء من بعدك)).

وأمر المؤمنين اذ يعلن هذه الكلمات على الناس إنما يرسم لهم مستوى ما بلغت به المראה التي حلت في بيت آل الرسول، وهو بيت العصمة والوحي والتنزيل، ونهض أمير المؤمنين والناس من حوله والحسنان أمامه إلى بيت النبوة، وهو مهبط الجناح^(١)، متفطر القلب، وحين وصلها إمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وقف عليها وقال:

لكل اجتماع من خليلين فرقة وكل الذي دون الفراق قليل
وان افتقادي فاطما بعد أحمد دليل على أن لا يدوم خليل^(٢)

التجهيز

ومن يجهز فاطمة غير الذي جهز أباهما، فوقف أبي الحسنين على رأسها ليقوم بغسلها، تساعده أسماء بنت عميس من الأرض، والملائكة المقربون من السماء، واللوعة تأخذ لمجامع قلوبهم جميعاً، والحسنان يريقان الماء على جثمانها الطاهر، وعندما ادرجها أمير المؤمنين بكفنها وقبل أن يعقد الرداء عليها، نادى: حسناً وحسيناً وزينب وفضة وأم كلثوم.

ليلقوا النظرة الأخيرة على أمهم الحنون التي قضت مثقلة بالأحزان والهموم، فضجوا بالبكاء عليها، واللوعة تهدم كيانهم لفراقها، والحسنان يناديان: ((واحسرتا لا تنطفئ أبداً من فقد جدنا محمد المصطفى وأمنا فاطمة

(١) مهبط الجناح: أي مكسور الجناح مرة بعد الأخرى. أنظر العين: ٦٩ / ٤ مادة هيض.

(٢) أنظر أمالي الصدوق: ٥٨٠، روضة الواعظين: ١٥٣، مناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ١٣٩،

كشف الغمة في معرفة الأئمة: ١٢٢ / ٢، جواهر المطالب: ١٣٤، بحار الأنوار: ٤٣ /

١٨٦ ح ١٨، اللعة البيضاء: ٨٦٤.

الزهراء))، وبعد لحظات من التوداع المرير عقد أمير المؤمنين عليه السلام رداء كفنها، وقد هاجت احزانه، وهو يقول:

فراقك أعظم الأشياء عندي	وفقدك فاطم أدهى الشكول
سأبكي حسرة وأنوح شجوا	على خل مضى أسنى سبيل
ألا يا عين جودي واسعديني	فحزني دائم أبكي خليلي ^(١)

ويمضي من الليل شطره ويأمر أمير المؤمنين بحملها إلى مثواها الأخير.

(١) أنظر بحار الأنوار: ٤٣ / ١٧٩ ح ١٥، اللمعة البيضاء: ٨٦٠.

حملة النعش الطاهر العظيم

حمل النعش الطاهر سيد الخلق بعد محمد علي بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام، والحسن والحسين عليهما السلام، وعقيل، وعمار، والزبير، وأبي ذر، وسلمان، والمقداد، وبريدة، وجماعة من بني هاشم وحفروا لها قبراً في بيتها، وبعد الإنتهاء من الدفن أسترسل أبو الائمة باكياً، ثم قال: ((السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك والسريعة للحاق بك، قل يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورق عنها تجلدي^(١)، إلا أن لي في التأسى بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز.

فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نخري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة.

أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد^(٢) إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكم سلام مودع لا قال ولا سئم.

فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين^(٣).

(١) تجلدي: أي صلابتي. أنظر الصحاح: ٢ / ٤٥٨ مادة جلد.

(٢) مسهد: أي قليل النوم. أنظر الصحاح: ٢ / ٤٩٢ مادة سهد.

(٣) نهج البلاغة: ٢ / ١٨٢.

هذا هو الصبر الذي بدأ يتحمل مرارته، ويتجرع غصصه، منذ اللحظة التي فارق فيها أخيه النبي دار الدنيا إلى حضيرة القدس ﷺ.

وان كلمته الحزينة على قبر الزهراء تذكرني بكلمته المماثلة على قبر النبي ﷺ التي قال فيها: ((بأبي انت وأمي لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة، والأنباء، وأخبار السماء خصصت^(١)، حتى صرت مسلياً عمن سواك، وعممت حتى صار الناس فيك سواء، ولولا أنك أمرت بالصبر، ونهيت عن الجزع، لانفدنا عليك ماء الشؤون^(٢)، ولكان الداء ممطلاً، والكمد^(٣) محالفاً وقلاً لك^(٤)، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطيع دفعه، بأبي أنت وأمي اذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك^(٥))).

(١) خصصت: أي خصص أهل بيته بالعلم، والرعاية، وتعيين المنزلة التي امر الناس بلزوم رعايتها، من المؤلف.

(٢) دسستم: أي اخرجتم قيئكم. أنظر لسان العرب: ٨ / ٨٤ مادة دسع.

(٣) الكمد: أي الهم والحزن. أنظر العين: ٥ / ٣٣٤ مادة كمد.

(٤) الداء المماطل، والكمد المحالف أي قليلان قياساً إلى فراقك، من المؤلف.

(٥) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٨.

قصيدة الزهراء عليها السلام

وهي قصيدتها التي ارتجلتها في خطابها لأباها سيد المرسلين ﷺ:

قد كان بعدك أنباء وهنبثة ^(١)	لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها	واختل قومك فاشهدهم فقد شغبوا
إننا فقدناك فقد الأرض وابلها	وغاب مذ غبت عنا الوحي والكتب
ابدى رجال لنا نجوى صدورهم	لما مضيت وحالت دونك الترب
تجهمتنا رجال واستخف بنا	إذ غبت عنا فكل الخلق قد غضبوا
وكنتم بدرا ونورا يستضاء به	عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا	فقد فقدت وكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت حل بنا	قوم تمنوا فعموا بالذي طلبوا
إننا رزئنا بما لم يرز ذو شجن	من البرية لا عجم ولا عرب ^(٢)

كلمة:

تعال معي نسأل أبنة صاحب الأسرار، لماذا وسدت في الخفاء؟
والجواب: إن كنت حجة ناصعة بيضاء، فإليك كتابي وفيه الدلاء.

(١) هنبثة: أي أخراج الشر. أنظر لسان العرب: ٢ / ١٩٣ مادة نبث.

(٢) شرح الأخبار: ٣ / ٣٩.

قصة المؤاخاة

عن البلاذري عن حبر الأمة عبد الله بن عباس، وغيره أن النبي ﷺ حينما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(١)، ابتداءً يؤاخي بين الناس تبعاً لما يتحسسه من تشابه أمزجتهم، وهواهم، وطباعهم، فأخى فيما بين الذين أخى بينهم أبي بكر وعمر، وبين عثمان وصهره عبد الرحمن بن عوف، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة بن الجراح وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري.

وبين أبي ذر وعبد الله بن مسعود، وبين سلمان وحذيفة بن اليمان، وبين حمزة وزيد بن حارثة وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ابن أبي طالب ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى إنتهى إلى آخرهم ولم يبق من الناس إلا نفس محمد بآية المباهلة^(٢).

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

(٢) هي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، سورة آل عمران ٣: ٦١.

وأخوه يوم دعا عشيرته الأقربون، وقال: ((من يضمن عني ديني، ومواعيدي، ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة، فقام عليّ وقال: أنا يا رسول الله، فقال ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى))^(١).

أقول: وقد أخى النبي ﷺ بين الناس ولم يبق أحد غير نفسه وصهره وابن عمه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذته الهواجس، وتقدم إلى النبي ﷺ والدمعة في عينه وقال للنبي: ((يا رسول الله لقد اخيت بين الناس ولم تؤاخي بيني وبين أحد؟

فقال له النبي: يا علي إنما أخرجتك لنفسك، فأنت أخي ووارثي وخليفتي، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي، وستدعى يوم القيامة معي، وتدخل الجنة معي.

فبكى أمير المؤمنين، وأنشد يقول:

أفديك بنفسك أيها المصطفى الذي	هدانا به الرحمن من عمه الجهل
وأفديك حوبائي وما قدر مهجتي	لمن أنتمي منه إلى الفرع والأصل
ومن ضممني منذ كنت طفلاً ويافعا	وأنعشني بالبر والعل والنهل
ومن جده جدي ومن عمه عمي	ومن أهله أمني ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضرا	دعاني وآخاني وبين من فضلي

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. مسند أحمد: ١/ ١١١، الكشف والبيان: ٧/ ١٨٢، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٦٣، كنز العمال: ١٣/ ١٢٩ ح ٣٦٤٠٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

لك الفضل ان ما حييت لشاكر لاتمام ما أوليت يا خاتم الرسل

ثم قال:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي
جدي وجد رسول الله منفرد
والحمد لله شكرا لا شريك له
معه ربيت وسبطاه هما ولدي
وفاطم زوجتي لا قول ذي فند
البر بالعبد والباقي بلا أمد^(١)

وحدد النبي في أكثر من موطن منزلة الإمام علي عليه السلام، ومنها قوله ﷺ:
(يا علي أنت حجة الله، وأنت باب الله، وأنت الطريق إلى الله، وانت النبأ
العظيم، وأنت الصراط المستقيم، وأنت المثل الأعلى، يا علي أنت إمام
المسلمين، وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وسيد الصديقين، يا علي أنت
الفاروق الأعظم، وأنت الصديق الأكبر، يا علي أنت خليفتي على امتي،
وأنت قاضي ديني، وأنت منزج عداتي، يا علي أنت المظلوم بعدي، يا علي
أنت المفارق بعدي، يا علي أنت المهجور بعدي، أشهد الله تعالى ومن حضر
من أمتي إن حزبك حزبي، وحزبي حزب الله، وإن حزب أعدائك حزب
الشیطان))^(٢).

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٣٢ / ٢، نهج الإيمان: ٤٣٢، بحار الأنوار: ٣٨ / ٣٣٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٣ / ٢ ح ١٣.

تعليق:

أن الطريقة التي أخی فيها رسول الله ﷺ بين الناس تكشف عن أسرار عميقة، وأمر كثيرة فأنت ترى في مواخات أبا بكر وعمر من الأسرار العميقة ما كشفته لك الأيام، وتحديدأ يوم السقيفة والنبی لما يقبر بعد، وكذلك في مواخات عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وقصة الشوری، وفي مواخات طلحة والزبير ويوم الجمل وما ادراك ما يوم الجمل، وهكذا ما يدلك الحال على عمق فهم واستيعاب الرسالة وحاملها، وسلام وألف سلام على خاتم النبیین ﷺ.

جهاد علي الشيخ عليه السلام

يمكن معرفة جهاد علي الشيخ، ومحنته في شيخوخته الكريمة بقلمه ولسانه الكريمين، أذ قال النبي ﷺ يوماً لأبنته وعلي نائماً: ((دعیه فرب سهر له بعدي طويل، ورب جفوة لأهل بيتي من أجله شديدة))^(١).

ويمكن تحديد فترة جهاده صلوات الله عليه في شيخوخته الكريمة منذ مصرع ابن عفان، وإجتماع الأمة عليه لمبايعته حتى مصرعه في محرابه وهو يؤدي فرضه في مسجد الكوفة، وحرمان الدنيا من نوره مثلما حرمت من نور أخيه ﷺ، وها هو بأبي وأمي يصور لنا الأعصار الرهيب الذي وأجهه في هذه الفترة الظلماء، فيقول بعد أن حمد الله واثنى عليه: ((فإنه لما قبض الله

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٧/٤.

نبيه ﷺ، قلنا: نحن أهله، وورثته، وعترته، وأولياءه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع.

إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان بيننا، فصارت الأمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل؛ فبكيت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه.

فولي الأمر ولادة لم يألوها الناس خيراً، ثم استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين مني لأمركم، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع^(١).

تعلمون ذلك، وقد نكثا، وغدرا، ونهضا إلى البصرة بعائشة؛ ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا أخذة رابية^(٢)، ولا تنعش لهما صرعة، ولا تقل لها عثرة، ولا تمهلها فواقا^(٣).

فأنهما يطلبان حقاً تركاه، ودمماً سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك، فإنك قلت وقولك الحق: ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْنَهُ اللَّهُ﴾^(١)، اللهم فأنجز لي موعدك، ولا تكلني إلى نفسي، إنك على كل شيء قدير^(٢).

(١) ويقصد صلوات الرحمن عليه طلحة والزبير، من المؤلف.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاْخَذَهُمْ اْخَذَةً رَابِيَةً﴾، سورة الحاقة ٦٩: ١٠.

(٣) فواقا: أي الوقت بين الحلب ورضاعة الفصيل. [أنظر الصحاح: ٤ / ١٥٤٦ مادة فوق]، من المؤلف.

إستنتاج

نستنتج من هذا الخطاب الخطير أموراً كثيرة، وأسراراً خطيرة، يعلن عن محتواها وابعادها واعماقها على رؤوس الأشهاد أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، لكي لا يجحدها جاحد، ولا ينكرها منكر، ولا يلتوي بها مغرض حاقد، والله تعالى من ورائهم جميعاً لمحيط، وهو عليم وسميع وبصير، ولكل نبأ مستقر وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويوم القيامة لا ينصرون^(٣).

والأمور التي نستنتجها عديدة وهي:

أولاً: نرى إصرار أمير المؤمنين عليه السلام وهو المطهر من الرجس تطهيراً^(٤)، وجعله الله تعالى نفس نبيه بكتابه العزيز على ضرورة إنتقال سلطان محمد عليه السلام إليه، ومن بعده لعترته المطهرين وهم الائمة الأثنى عشر على جميعهم أفضل الصلاة والسلام.

وحين نقول: إصرار أمير المؤمنين على هذه النقطة وهو نفس النبي صلى الله عليه وآله، أي يجب أن يكون نداء مفهوماً وواضحاً بأن ماينادي به ويعلنه على رؤوس

(١) سورة الحج ٢٢: ٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٧ / ١.

(٣) إشارة لخطاب الزهراء عليها السلام: ((ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه،

ويحل عليه عذاب مقيم))، الموجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١ / ١٣٦.

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

تَطْهِيراً﴾. سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

الأشهاد وأمام الله، إنه هو الحق الذي لا ريب فيه ولا غبار عليه؛ لأنه رجلاً يملك مقاماً عند الله تعالى، ونفساً هي نفس رسوله ﷺ، ولا يمكنه على الإطلاق أن ينادي بما ليس لها بحق، ولأن ذلك يتنافى مع التطهير من الرجس الذي فرضه الله تعالى لهم في كتابه العزيز.

وبذلك تجده عليه الصلاة والسلام يعلن إحتجاجه، واسفه، وشجونه، على وثوب الناس على حقهم الذي افترض الله جل شأنه إنتقاله من رسوله إليهم^(١)، وكذلك يعلن استغرابه من صنيع الناس معهم، لأنه كان يعتبر سلام الله عليه إنتقال ولاية النبي ﷺ على الناس إليه أمراً تلقائياً تقتضيه طبيعة النصوص القرآنية، وطبيعة الأحاديث النبوية^(٢)، وطبيعة ظروف نشأته وسبقه وقرابته وجهاده، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتجرأ الناس على الوثوب به واغتصاب حقه، ونقله إلى غير منتقله.

ثانياً: يكشف لك ما تمخض عنه سلوك الناس في مبايعة غيرهم، وتحويل سلطان النبي إليهم، وأنهم أصحاب الحق الشرعيون، وأصحاب المقام الأصليون، وقد اصبحوا سوقة ومحكومين لا حاكمين، يطمع فيهم الضعيف، وتعزز عليهم الدليل، الأمر الذي بكت له أعينهم، وخشنت بسببه صدورهم، وجزعت نفوسهم.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، سورة المائدة ٥: ٦٧.

(٢) إشارة إلى قوله النبي محمد ﷺ: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه))، الكافي: ١/ ٢٩٤ ح ٣

ثالثاً: تجد أن أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي لا يقسم بالله إلا صادقاً يعلن على رؤوس الأشهاد، ويقول: ((وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكننا على غير ما كنا لهم عليه..))^(١)، وأنه لو لم يؤمر بالصبر لأباد خضرائهم، ويؤكد هذا القول حوادث كثيرة، وأقوال لا تحصى، منها قوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث الحقائق السبع: ((يا رسول أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟

قال: بل تصبر.

قال: فان صبرت!

قال صلى الله عليه وسلم: تلاقى جهداً.

قال صلى الله عليه وسلم: أفي سلامة من ديني؟

قال: نعم.

قال: فإذا لا أبالي))^(٢).

وقوله لعامله عثمان بن حنيف الأنصاري الذي مر بك في كتابه إليه: ((والله لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت عنها، ولو أمكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها))^(٣).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٧ / ١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٨ / ٤.

(٣) نهج البلاغة: ٧٣ / ٣.

وباختصار فانه سلام الله عليه لو لم يكن مأثوراً من رسول الله ﷺ بالصبر، ليلوا الله الناس به، ويمتحنهم فيه، لذلك تجده يسكت على إغتصاب حقه رغم ما عرف عن نكير سيفه، ولكان له معهم شأن آخر كما قال: ((وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه...))^(١).

رابعاً: وقوله: ((فولي الأمر ولاية لم يألوها الناس خيراً...))^(٢)، أي إنه سلام الله عليه يرى إنه لو ولوه امرهم لكانوا اصابوا رشدهم، ولنالوا خيراً أكثر مما نالوه من حكم غيره.

خامساً: رغم كونه صاحب الولاية الكبرى التي نزلت إليه يوم الغدير، ورغم كونه محاطاً بسياج متين من الفضائل المنصوص عليها بالقرآن الكريم، ورغم كون الآخرون قد عاتبهم الله في غير موطن من مواطن كتابه العزيز، ورغم ما جاء بفضله ومقامه مئاة الأحاديث النبوية، ورغم كونه ابن السلالة التي تزعمت أم القرى، ورغم كل ذلك وغيره، تراه أزهد الناس بهذه الولاية التي تطاحن الآخرون من أجلها ليستغلونها، ويستغلون سلطانها.

فرفضها مراراً وتكراراً، وصور للعالمين قيمتها حين قال: ((وان دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقظمها، ما لعلي ونعيم يفنى، ولذة لا تبقى؟ نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل، وبه نستعين))^(٣)، وحين قال:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣٠٧.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣٠٧.

(٣) نهج البلاغة: ٢ / ٢١٧.

((والله ولو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن اعصي الله في غلة أسلبها جلب^(١) شعيرة ما فعلت))^(٢).

وحين قال: ((والله لأن أبيت على حسك السعدان^(٣) مسهداً^(٤))، وأجر في الأغلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام))^(٥).

وقالها مراراً: ((وانا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً))^(٦)، وفي مقامه هذا والناس تورّد عليه ورود الهيم العطاش يقول: ((استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين مني لأمركم))^(٧)، أي على كره مني لأمركم، لعلمي بما تنطوي عليه قلوب الكثرة الكاثرة من المنافقين، وعلمي من رسول الله ﷺ كم سأتحمل في محاربة الناكثين، والقاسطين، والمارقين، لكي أضع الأمور مواضعها التي أمر بها الله أن تكون، وكم أتحمل في مواجهه الفتن التي سيثيرونها حولي المشاغبون الذين ابطنوا محاربة الإسلام ورسوله ووصيه.

تلك الفتن التي عبر عنها خاتم النبيين ﷺ يوم زار البقيع، وخاطب أهلها

(١) جلب: أي قشرة. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٤٦٩/١ مادة جلب.

(٢) نهج البلاغة: ٢/ ٢١٨، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ٣/ ٣١٩، إرشاد القلوب: ٢/ ٢١٧، وورد الحديث باختلاف يسير في أمالي الصدوق: ٧٢٢.

(٣) حسك السعدان: وهو نبات ذو اشواك. أنظر الصحاح: ٢/ ٤٨٨ مادة سعد.

(٤) مسهداً: أي لا انام الليل. أنظر الصحاح: ٢/ ٤٩٢ مادة سهد.

(٥) نهج البلاغة: ٢/ ٢١٦.

(٦) نهج البلاغة: ١/ ١٨٢.

(٧) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١/ ٣٠٧.

قائلاً: ((السلام عليكم يا أهل البقيع! ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، لو تعلمون ما أنجاكم الله منه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم))^(١)، وهي الفتن التي واجهها أخاه ووصيه طوال عمره منذ اللحظات الأولى والنبى لم يقبر بعد إلى ساعة إستشهاده وهو في محرابه يؤدي فرضه لربه.

سادساً: يستعرض خيانة طلحة والزبير اللذان بايعاه طائعين غير مكرهين، وكيف عمدا إلى الغدر والفتنة، ونهضا بعائشة إلى البصرة يقتلون الأبرياء من المؤمنين من شيعته وأصحابه، وكيف استجاب الله دعاءه في محوهما من صفحة الوجود بدعائه: ((اللهم فخذهما بما عملا أخذه رابية))^(٢)، مثلما استجاب دعاء أخيه النبى يوم بدر بمحو الظلمة من صفحة الوجود، حيث خرجوا إلى مصارعهم، ومن ثم إلى نار جهنم التي كانوا بها يوعدون^(٣).

وجهاد أمير المؤمنين في شيخوخته الكريمة كما قلت يتبدأ من مصرع ابن عفان، وزحف الأمة إليه وورودها عليه حتى مصرعه في محرابه على يد أشقى الآخرين اللعين ابن ملجم عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولعنة اللاعنين إلى أبد الأبدين؛ لحرمان الدنيا من هديه ونوره.

(١) كنز العمال: ١٢ / ٢٦٢ ح ٣٤٩٦١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣٠٧.

(٣) إشارة إلى قول النبى ﷺ: ((اللهم إنك أنزلت علي الكتاب، وأمرتني بالقتال، ووعدتني إحدى الطائفتين، وأنت لا تخلف الميعاد، اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها، وفخرها، تخاذل وتكذب رسولك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم أحنهم الغداة...)).
الغازي: ١ / ٥٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٤ / ١٢١، إمتاع الأسماع: ١ / ١٠١.

وفي تلك الليلة الحالكة الظلام سنع له^(١) رسول الله بأبي هما وأمي وشكى ظلم هذه الأمة له قائلا: ((يا رسول الله! ماذا لقيت من أمتك من الأود^(٢) واللد^(٣)).

فقال ﷺ: ادع عليهم.

قال ﷺ: أبدلني الله بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شراً لهم مني^(٤)، وسرعان ما استجاب الجليل إلى دعاءه فكان مصرعه الذي قال فيه: ((فرت ورب الكعبة))^(٥)، وأستراح من غناء هؤلاء الأوباش الذين انهكوه، وهؤلاء الأعداء الذين ناصبوه، وانتقل إلى مثوى أخيه النبي، مثوى الانبياء والصالحين والشهداء والصديقين صلوات الله عليهم.

والآم تعصر قلبي في هذا المقام، وهو ما تنبئه عليه صلوات الرحمن بمقتله، إذ إنه حين خرج من داره فجر ذلك اليوم، وهو يوقظ الناس إلى الصلاة اعترضته مجموعة من الاوز، وكانت تلوذ به لا تنفك عنه، واراد الناس المحيطين به تنحيتهن عنه، فقال لهم: ((لا تزجروهن فأنهن صوائح يتبعهن نوائح))^(٦)، ولما وصل باب المسجد وجد أشقى الآخرين نائماً لعنه الله

(١) سنع له: أي ظهر له. أنظر معجم مقاييس اللغة: ١٠٤/٣ مادة سنع.

(٢) الأود: أي العوج. العين: ٩٦ / ٨ مادة أود.

(٣) اللد: أي شدة الخصومة. أنظر الصحاح: ٥٣٥ / ٢ مادة لد.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١٢/٦.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب: ٣٨٥ / ١.

(٦) ورد الحديث باختلاف يسير. الكافي: ٢٥٩ / ١ ح ٤.

فأجلسه وأيقظه، وقال له: ((إجلس لو شئت لأخبرتك بما تحت ثيابك))^(١).

أي السيف المسموم الذي ضرب به سيد الوصيين احترقت يداه، وهو يعلم من رسول الله ﷺ انه مقتولاً ذلك الفجر على يد هذا الاثيم اللثيم، والعتل^(٢) الزنيم أشقى الآخرين.

أمير المؤمنين بعد مصرع ابن عفان في كلمات

وأي عسر هذا الذي تواجهه حين تريد أن تكتب عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي مقامنا هذا نوجز القول بكلمات قصار نستعرض فيها الفتن والمحن التي واجهها منذ لحظات مقتل عثمان حتى مصرعه صلوات الله عليه.

فحين انقض على عثمان قتلته، واجهز عليه عماله فكان مصرعه، فنجد الأمة قد زحفت إلى أمير المؤمنين انهالت عليه الأمة وكأنهم لشدة زحامهم قاتلوه أو بعضهم قاتل بعض لديه، والكل ينادون بأعلى أصواتهم وملى حناجرهم: لن نفارقك يا ابا الحسن حتى تمد لنا يدك، وتقبل منا بيعتنا، فقد ضقنا ذرعاً بعثمان وجلالوته وجلالديه من صبية النار من أمية الكفر، وآل مروان، وآل معيط.

يسفكون الدماء التي حرم الله تعالى، ويحللون حرامه، ويحرمون حلاله، شرابون للخمر، أكالون للسحت، وأن الشعب الثائر أجمع أمره أن لا يركن إلى الهدوء، ولا يلقي السلاح حتى يستجيب لهم ويقبل بيعتهم؛ ليعيد الناس

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. بحار الأنوار: ٤٢ / ٢٨١ ح ٧٨.

(٢) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ٥ / ١٧٥٨ مادة عتل.

لسيرتزم الأولى أيام رسول الله ﷺ.

فنهض بالأمر على شين منه لأمرهم، وفراصة لصدق ما في قلوب كثير منهم^(١)، فنكثت طائفة ومرقت أخرى، وحين قبل النزول إلى ارادتهم 'لوافق على بيعتهم أمرهم أن يتبعوه إلى المسجد لتكون بيعتهم بيعة علن وإجماع، وهناك رقى منبر أخيه النبي، وقال بعد أن حمد الله واثنى عليه: ((دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون امراً له وجوه والوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وان الافاق قد اغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم، ولم اصغ الى قول القائل، وعب العاتب، وان تركموني فأنا كأحدكم، ولعلی اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم، وانا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً))^(٢).

وقال ﷺ أيضاً: ((بسظتم يدي فكففتها، ومددتوهما فقبضها، ثم تدالكتم علي تذاك الأبل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطعت النعل، وتسقط الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي ان ابتهج بها الصغير، وهدج^(٣) اليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت^(٤) اليها الكعاب...))^(١).

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: ((استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين مني لأمركم، وفراصة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع))، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ٣٠٧.

(٢) نهج البلاغة: ١ / ١٨٢.

(٣) هــج: أي سير الشيخ ببطى. أنظر الصحاح: ١ / ٣٤٩ مادة هــج.

(٤) حسرت: أي تلهفت. أنظر الصحاح: ٢ / ٦٢٩ مادة حسر.

تعلق:

يتضح لك بجلاء من كلام سيد الوصيين صلوات الله عليه، إنه كان مأموراً من خاتم المرسلين أن يحارب أهل الكفر والفسق والنفاق، من الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وأن لم يفعل فقد كفر بما أنزل على محمد.

وكيف يكفر بما أنزل عليه، وهو باني دينه والمدافع الأول عن دعوته، ونصيره في جميع مواقفه وحروبه وغزواته، تلك النصره كانت امتداداً لنصرة أبيه الزعيم أبي طالب للنبي ورسالته، ويتضح بجلاء أيضاً أن الله تعالى جعل من حرب أمير المؤمنين لتلك الطوائف المتكفرة لله، ودينه، ورسوله، واليوم الآخر تطبيقاً ومصدقاً لقوله تعالى في كتابه: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾^(٢).

ولما سئل النبي جبرئيل: بمن ينتقم منهم أجابه بعلي بن أبي طالب عليه السلام^(٣)، فحربهم أذن كان بأمر من الله عز شأنه؛ لأنهم خرجوا على قواعد الدين، وناصروه العداء، ولو تم لهم ما ييغون وتوصلوا إلى ما يريدون لمحو الرسالة من صفحة الوجود، ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون^(٤).

وفي كلامه الآتي عليه السلام نرى تنبؤه واضحاً بأنه سيسحق هذه الفتن سحقاً

(١) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٢.

(٢) سورة الزخرف ٤٣: ٤١-٤٢.

(٣) أنظر أمالي الطوسي: ٣٦٣ ح ٧٦٠، مجمع البيان: ٨٣ / ٩.

(٤) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَانِ يَتِمُّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، سورة التوبة: ٩.

كاملاً، إلا واحدة منها وقد ايدت نصف عدتها وعددها فرفعت المصاحف خدعة وغدرة، وهو قوله: ((وكانني بجماعتك تدعوني -جزعا من الضرب المتتابع والقضاء الواقع ومصارع بعد مصارع- إلى كتاب الله، وهي كافرة جاحدة، أو مبايعة حائدة))^(١).

وفي هذه الساعات الحرجة تنكشف اسرار الذين قال فيهم ساعة بيعته: ((استخرجتموني أيها الناس من بيتي فبايعتموني على شين مني لأمركم، وفراصة تصدقني ما في قلوب كثير منكم))^(٢)، فتكررت الكثرة الكاثرة من جيشه، وعصت إمامها، وخرجت على نصوص القرآن الكريم الذي يقول: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾^(٣).

وكلهم يعرفون بل وجلهم سمعوا حديث أكرم المرسلين ﷺ حين قال: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح^(٤) من لبن))^(٥)، ولكنهم بدلاً من أن يزيد تصميمهم على قتال الباغيين جماعة ابن أبي سفيان فأنهم تحاذلوا عن نصرة إمامهم، وأبوا إلا التحكيم المزيف رغم ما أوضحه سيد الوصيين من زيف هذا التحكيم، وأن الناس ليسوا أهل دين ولا

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨٠/١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٧ / ١.

(٣) سورة الحجرات ٤٩: ٩.

(٤) ضياح: أي لبن خائر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضيح.

(٥) ورد الحديث باختلاف يسير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار:

قرآن، وأنهم حرب على القرآن، وانها كلمة حق يراد بها باطل^(١).

رغم كل ذلك، ورغم ماسمعه من أكرم المرسلين، ورغم ما قرءوه من قرآن أبوا إلا العصيان، وإلا المخالفة، وإلا محاربة الحق، وفي تلك الفترة الحالكة الظلام وبعد إنتهاء التحكيم المزيف، والتواء ابن العاهرة النابغة عمرو بن العاص في كلامه، ورجوع جيش أمير المؤمنين بعد أن شارف على النصر المؤزر.

فوجد أمير المؤمنين ﷺ خطب الناس مرة وبين مواصفات من يأتي بعده من الظلمة وهو المشرك معاوية بن آكلة الأكباد، وقد واوصى بقتله، وقال لهم: ((أما إنه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب البلعوم مندحق البطن^(٢) يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وإنه سيأمركم بسبي والبراءة مني، فأما السب فسيبوني فإنه لي زكاة ولكم نجاة، وأما البراءة فلا تتبرأوا مني فإني ولدت على الفطرة، وسبقت إلى الإيمان والهجرة))^(٣).

(١) أنظر عمدة عيون صحاح الاخبار: ٤٦٣ ح ٩٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠ /

٢٥٢، صحيح مسلم: ١١٦ / ٣، السنن الكبرى للبيهقي: ١٧١ / ٨، فتح الباري: ٨ / ٤٥١.

(٢) مندحق البطن: أي العظيم البطن. لسان العرب: ١٠ / ٧٥ مادة دحق.

(٣) نهج البلاغة: ١ / ١٠٥.

هداية الناس

أن هداية الناس أحب إلى أمير المؤمنين عليه السلام من قتالهم، وهذا يظهر حين استبطؤه في صفين عن القتال، وقال لهم: ((أما قولكم: أكل ذلك كراهية الموت، فوالله ما أبالي أدخلت إلى الموت أو خرج الموت إلي).

وأما قولكم: شكا في أهل الشام، فوالله ما دفعت الحرب يوماً إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها))^(١).

فله در هؤلاء الجبناء، والأوباش والضالون المضللون، أكانوا نيماً أم في طغيانهم يعمهون^(٢)؟

نضوج الفتن الكبرى

يصور لنا هذا الفصل من فصول جهاده الخالد كلامه عليه صلوات الرحمن، حيث يقول: ((اللهم إني أستعديك على قریش فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريتي على الشجى، وصبرت

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٠٤.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾،

سورة النمل ٢٧: ٤.

من كظم الغيظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار^(١))).^(٢).

تعلق:

هذه نفثة^(٣) المكتوم، وصيحة المكلوم، وصرخة المظلوم، وزفرات المغتصب السليب، الذي قال فيه الله تعالى وفي آله: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٤).

وقال فيهم تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٥)، وقال فيهم أيضاً: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٦)، وقال فيهم تعالى: ﴿إِنَّمَا يَلْوُكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٧)، فهم في السماء معروفون، وفي الأرض مجهولون، لذلك يحسدونهم على نعم الله عليهم، ويعاملوهم بمحقد دفين، وضغائن شحنت صدورهم.

(١) حز الشفار: أي حد السيف ونحوه. أنظر الصحاح: ٧٠١ / ٢ مادة شفر.

(٢) نهج البلاغة: ٢٠٢ / ٢.

(٣) النفثة: كالنفخة، ويراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ. أنظر الصحاح: ٢٩٥ / ١ مادة نفث.

(٤) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٥) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٦) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

(٧) سورة النحل ١٦: ٩٢.

تماماً كما قال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(١)، قاتلهم الله لقد عمدوا إلى أمتن حبلين أمرهم الله بالإعتصام بهما، وهما كتاب الله وهو حبل الله الممدود بين السماء والأرض، وعترته النبي وهما الثقلان اللذان لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الحوض^(٢).

فحاربوهما وأنكروا مقامهما وجحدوهم بكل ما لديهم من ظلم، وجبروت، وطغيان؛ لأنهم قوم لا يعقلون وفي طغيانهم يعمهون فأني يؤفكون وأن جهنم لمحيطة بالكافرين^(٣)، ولكل نباً مستقر وسوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ولا ينفعهم إذ يندمون^(٤).

ولقد أبى أمير المؤمنين عليه السلام قبول بيعتهم حتى كشف لهم كل أبعاد حكومته، وإطار سياسته، وقالها صريحة مدوية: ((والله لو وجدته قد تزوج به

(١) سورة النساء ٤: ٥٤.

(٢) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم الثقلين، ألا إن أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، أمالي الطوسي: ٢٥٥ ح ٤٦٠.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، سورة التوبة ٩: ٤٩.

(٤) إشارة لخطاب الزهراء عليها السلام: ((ولكل نباً مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم))، الوجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١/ ١٣٦.

النساء، وملك به الإماء لرددته فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق))^(١).

وأعلنها مراراً أيضاً، وقبل أن يمد يده إليهم قائلاً: ((دعوني والتمسوا غيري؛ فإننا مستقبلون امرأ له وجوه والوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الافاق قد اغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم، ولم اصغ الى قول القائل، وعتب العاتب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلی اسمعكم واطوعكم لمن وليتموه امركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً))^(٢).

وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه موقف النبي ﷺ بموقف الوصي عليه السلام، وما عشت أراك الدهر عجباً، فالنبي ﷺ كان جهاده حرباً على كفر الناس وشركهم ووثنيهم وإخطاط أخلاقهم، وإنه ﷺ جاءهم بأمر جديد لينقلهم من الظلمات إلى النور، ومن ضنك البداوة إلى رخاء الحضارة، ومن غياهب الجهل إلى رحاب العلم، ومن الفرقة إلى الوحدة، ومن التشاحن والتباغض إلى الأخوة، ومن التعاون على الأثم والعدوان إلى التعاون على البر والتقوى، ومن الشرك وعبادة الحجر والخشب إلى عبادة رب لا رب سواه، فكان أمراً طبيعياً أن يدعوهم بادئ ذي بدئ بالحكمة والموعظة الحسنة، فأن أصابوا رشدهم كان بها، وإلا فالعلاج متروك لحد السيف.

(١) نهج البلاغة: ٤٦ / ١.

(٢) نهج البلاغة: ١٨٢ / ١.

وحين فشلت الأولى اتجه صلوات الله عليه إلى الثانية فحارب أقواماً ران على قلوبهم، لينقلهم من أجوائهم المظلمة الخائفة الضيقة إلى الأجواء الفسيحة الرحبية الخيرة التي تؤمن لهم الرفعة والرخاء والعافية في دنياهم وأخرتهم.

أما جهاد وصيه وخليفته أمير المؤمنين، فكان على غير ذلك النحو، فلم يكن يقوم على تبديل مجتمع أو تغيير عقيدة، أذ إن المفروض في الناس قد دخلوا الإسلام وأمنوا بالله، وكتبه، وأنبياءه، وبما جاء به سيدهم وخاتمهم محمد بن عبد الله، وفي طليعة ما جاءهم به تحذيرهم من النفاق والرجوع إلى الكفر بعد الإيمان، وأنهم ملزمون بالإعتصام بالثقلين اللذين لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض، وهما الثقل الأكبر كتاب الله بإتباع ما فيه من أوامره وزواجره ونواهيه، والثقل الأصغر هو آل بيت الوحي والتنزيل والعصمة^(١).

حيث أقامهم بأمر الله تعالى أعلاماً للهداية في أمته، وحججاً على عباده، ومرجعاً في كل معضلة من معضلات خلائقه، وحكاماً فيما يختلف فيه المختلفون من صنائعه، أما محبتهم فمفروضة على الناس، ومفروض على الناس ولآئهم، ومفروضة على الخلائق طاعتهم والأهتداء بهديهم، والاستنارة بنورهم.

(١) إشارة إلى قول رسول الله ﷺ: ((إني تارك فيكم الثقلين، ألا إن أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))، أمالي الطوسي: ٢٥٥ ح ٤٦٠.

ولكن ماذا يصنع أمير المؤمنين ﷺ، وأن الله جل جلاله لم يشأ هدايتهم لضلالهم ونفاقهم، وما جبلت عليه نفوسهم من الكفر والحقد والضلال^(١)؟

وماذا يصنع سلام الله عليه غير الذي صنعه أخاه النبي، فحارب على التأويل كما حارب أخاه على التنزيل^(٢)، وتكاد الحالتين وأحدة، ولعل الثانية أدهى من الأولى وأكثر تعقيداً، لأن تحويل الناس من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن وحده كان يرافقه الكسب والخطام والثراء والفئى الذي كان يؤخذ من الذين يدخلون تحت سلطان الإسلام.

فكان هذا الثراء عاملاً في دخول كثرة كثرة دين الإسلام رغبة تارة وكرهاً تارة أخرى، وهؤلاء هم الذين عناهم أمير المؤمنين بقوله: ((وانهم لم يسلموا ولكن استسلموا، وأسروا الكفر ولما وجدوا اعوانا عليه أظهروه، قاتلهم الله أنى يؤفكون، وأين يذهبون، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين))^(٣).

ومن كلماته التالية يمكنك أن تفهم مدى الظلم الذي لحق أهل هذا البيت الكريم، وهو قوله سلام الله: ((فإنه لما قبض الله نبيه ﷺ، قلنا: نحن أهله، وورثته، وغترته، وأولياءه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾، سورة القصص ٢٨: ٥٦.

(٢) إشارة إلى قول النبي ﷺ: ((تقاتل على التأويل كما قاتلت أنا على التنزيل))، امالي الطوسي: ٣٥١ ح ٧٢٦.

(٣) ورد الحديث باختلاف يسير. نهج البلاغة: ٣ / ١٦، بحار الأنوار: ٨٢ / ٢٦٥ ح ٩.

إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان بيننا، فصارت الأمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزز علينا الذليل؛ فبكيت الأعين منا لذلك، وخشنت الصدور، وجزعت النفوس، وأيم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين، وأن يعود الكفر، ويور الدين، لكنا على غير ما كنا لهم عليه.

فولي الأمر ولاية لم يألوها الناس خيراً^(١).

وفي قوله سلام الله عليه في مقام ماثل: ((اللهم إني أستعديك على قریش فإنهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، وقالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تمنعه، فاصبر مغموماً أو مت متأسفاً، فنظرت فإذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذى، وجرعت ريقی على الشجی، وصبرت من كظم الغیظ على أمر من العلقم، وآلم للقلب من حز الشفار^(٢))^(٣).

وتمض الليالي والإمام على هذه المحنة، حتى قامت الشوری بأمر عمر بن الخطاب، وبالله والشوری التي تمخضت عن تعین ابن عفان خليفة على المسلمين في مقام لا ادري كيف أجمع بين فصوله، ووافق بين متناقضاته، فتارة يقول عمر عندما ابدى رأيه في رجال الشوری الستة عن أمير المؤمنين

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٠٧ / ١.

(٢) حز الشفار: أي حد السيف ونحوه. أنظر الصحاح: ٧٠١ / ٢ مادة شفر.

(٣) نهج البلاغة: ٢٠٢ / ٢.

علي بن أبي طالب عليه السلام: (والله إني لأعلم مكان الرجل لو وليتموه أمركم ليحملنكم على المحجة البيضاء، إلا ان فيه دعاية)^(١).

فمع فراسة عمر، ومعرفته بمحائق الرجال، ومعرفته حق علي بن أبي طالب، وباطل عثمان فإنه يأمر أن يؤخذ برأي الجهة التي فيها عبد الرحمن بن عوف، وهو صهر عثمان أي إنه خطط لتعين هذا الأخير خليفة من بعده مع علمه بسوء سلوكه وتحزبه لبني عشيرته^(٢).

وصفوة القول: فقد تبوء ابن عفان مقعد الخلافة بعد عمر، وتحققت فراسة وعمر فيه، إذ أرجع طريدي رسول الله بعد أن امتنع سلفاه عن إرجاعهم وأن لا يعاودهما في أمرهم، وهم اللعين الحكم بن أبي العاص وجماعته^(٣)، بل ولم يكتفي بأرجاعهم فقد أغدق^(٤) عليهم أموال اليتامى والأرامل والمساكين المحفوظة في بيوت أموال المسلمين، وسلط آل مروان وآل معيط على رقاب العاملين^(٥)، تماماً كما تنبأ له عمر حتى ضجت الدنيا بظلمهم

(١) ورد الخبر باختلاف سير. الصراط المستقيم: ٢٣/٣، مدينة المعاجز: ٩٦/٢.

(٢) أنظر تاريخ المدينة: ٩٢٥/٣، تاريخ الأمم والملوك: ٢٩٤/٣، تجارب الأمم: ٤١٩/١، الكامل في التاريخ: ٦٧/٣، خلاصة عبقات الأنوار: ٣٢٩/٣.

(٣) أنظر المسترشد: ٤٢٦، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩٦، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٨٢/٣، إرشاد القلوب: ٣٢١/٢، الصراط المستقيم: ٣١/٣، بحار الأنوار: ١٧٢/٣١.

(٤) أغدق: أي أعطى الكثير. أنظر الصحاح: ١٥٣٦/٤ مادة غدق.

(٥) أنظر الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩٦، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني:

واستغلالهم وكفرهم وتجبرهم، مما أدى بالخليفة إلى أن يجهز عليه عماله، وتكبوا به بطنته، ويتكث عليه قتله^(١).

وقد جمع الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي في نهج البلاغة طعوناً على عثمان نوردها هنا للتدليل على ماتبأ به عمر من سوء سلوكه، وإعوجاج سيرته، وكلها تناقض كتاب الله وسنة نبيه وسيرة الشيخين قبله، نأخذ منها مايلي:

الطعن الأول: لقد مر بك في الفصول السابقة ان رسول الله ﷺ بعد أن أنجز الله تعالى له ما وعده من النصر على الكافرين يوم بدر، وقتل بسيف علي أمير المؤمنين من قتل وأسر من أسر منهم، عاد إلى المدينة والعراة من جيشه قد لبسوا، والجياح قد شبعوا، والمشاة قد ركبوا البعير، ويقودون معهم بغيراً أو البعيرين، وكان المجرم الحبيث عقبة بن أبي معيط بين الأسرى، ولشدة إيذائه لرسول الله ﷺ فقد أمر بقتله صبراً^(٢).

ونفذ فيه حكم النبي الأكرم نفسه واخيه وابن عمه وصاحب لواءه الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولما كان الولد على سر أبيه فقد نشأ المجرم الآخر أبنة الوليد بن عقبة بن أبي معيط متأصلاً فيه الشرك والكفر والحقْد والإحاد.

(١) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام: ((إلى أن قام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيله ومعتلفه، وقام معه بنو أبيه يخلصون مال الله خضمة الإبل نبتة الربيع إلى أن انتكث قتله، وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته)). نهج البلاغة: ٣٥/١.

(٢) أنظر معرفة السنن والآثار: ٦ / ٥٥٢ ح ٥٣٦٩.

هذا المجرم يراه الخليفة ابن عفان أهلاً للقيادة، وجاهزاً للحكم بالعدل بين الناس، ومحلاً للثقة والإعتماد، ويرى ابن عفان هذا الرأي ويعتقد هذا الاعتقاد، وهو يعلم علم اليقين إنه يماثل أباه خلقاً وخلقاً، ذاك الذي أعدمه النبي بسيف علي يوم بدر، كما إنه يعلم علم اليقين إنه سيهدر حقوق الناس وسيضطهدهم، ويسير بهم سيرة الجبارين المستبدين المستغلين.

ولكن يعتقد بلياقة هذا المجرم السفاح للحكم بين الناس، وإدارة شؤون المسلمين رغم ما يتمرغ به من أدران الخبائث والإجرام؛ لأنه أخيه من أمه فهذه الصفة تكفي بنظر ابن عفان أن يكون هذا الوغد القرد حاكماً على المسلمين مهما عمل من موبقات، ومهما ارتكب من مخالفات، ومهما تعالت من جراء ظلمه وتعسفه الصيحات، هذا المجرم الفاسق بحكم القرآن وقد ورد ذكر فسقه في مقامين.

الأول: قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾^(١)، حينما تفاخر مع الإمام علي بن أبي طالب، وقال له: (أنا أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً)؛ فنزلت الآية بإعلاء مقام علي عليه السلام وإنزال مقام هذا الوغد المجرم إلى أسفل سافلين^(٢).

الثاني: أن الذي نزل بكتاب الله في فسقه كان حين ذهب إلى بني المصطلق في جمع الصدقات، وحين اجتمعوا للترحيب به بأعتماره مبعوث

(١) سورة السجدة ٣٢: ١٨.

(٢) أنظر مناقب الإمام أمير المؤمنين لابن سليمان الكوفي: ١/ ١٣٨، تفسير القرآن المجيد: ٥٠٦، التبيان في تفسير القرآن: ٨/ ٣٠٥.

رسول الله ﷺ فخافهم، وظن أنهم قاتلوه فهرب راجعاً إلى النبي ليفتري عليهم زوراً وبهتاناً وإفكاً^(١)، وقال: (لقد منعوني الصدقات)، وهم النبي أن يأخذهم بالشدة لولا نزول الوحي بتكذيب هذا الفاسق الأثيم، وتجريمه والأحتياط من رواية أمثاله المارقين الفاسقين بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (٢)(٣).

فهذا الذي ينزل الله به قرآناً في موطين بفسقه ونفاقه وكفره، ويختاره ابن عفان وهو الخليفة على المسلمين، والمطلوب منه رعاية أحكام كتاب الله تعالى، والعدل بالحكم بين الناس، وهدايتهم إلى صراطه المستقيم.

سؤال: بعد هذا أسئل ماذا سيجيب الله ابن عفان يوم العرض والحساب عن هذا المجرم المشهود بمخالفة كتاب الله ونصوصه الصريحة؟

لست ادري، ولكن الله سبحانه محيط بالظالمين.

والسؤال الآخر هو: كيف يصلي بالناس هذا المجرم القرد المسوخ الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وآلي عثمان بن عفان؟

(١) إفكاً: أي كذباً. أنظر العين: ٤١٦ / ٥ مادة أفك.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ٦.

(٣) أنظر مجمع البيان: ٢٢٠ / ٩.

الجواب: هذا المجرم كان يصلي في الناس سكراناً^(١)، وهذه قصيدة لرجل من بني عجل يصف لنا فيها صلاته، وهو ثملاً سكراناً، فلنسمعها ونخيل أمره ومن ولاه إلى أحكم الحاكمين، وأعدل العادلين، وإلى يوم لا حاكم فيه سواه:

نادى وقد تمت صلاتهم	أأزيدكم سكرًا وما يدرى
فأبوا أبا وهب ولو أذنوا	لقرنت بين الشفع والوتر
كفوا عنانك إذ جريت ولو	تركوا عنانك لم تزل تجرى ^(٢)

وقال فيه أيضاً:

تكلم في الصلاة وزاد فيها	علانية وجاهر بالنفاق
ومجّ الخمر في سنن المصلى	ونادى والجميع إلى افتراق
أزيدكم على أن تحمدوني	فما لكم وما لي من خلاق ^(٣)

وقد وأجمع الرواة أن هذا الوغد الزنيم والعتل^(٤) الأثيم موضع ثقة ابن عفان مع كونه مشهوراً بشدة سكره، وقد أخذ خاتمه مرة من يده وما شعر، والشهود هم الطوسي، والمسعودي، وابن أبي الحديد عن الواقدي، فقد نقلوا: ان القوم لما جاءوا إلى سيده الذي إختاره لأمانة العراق عثمان بن

(١) أنظر تخريج الأحاديث والآثار: ٣/ ٣٣٢ ح ١٢٢٩.

(٢) الأغاني: ٨٦/ ٥.

(٣) الاستيعاب: ٤/ ١٥٥٥.

(٤) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ٥/ ١٧٥٨ مادة عتل.

عفان، وكانوا قد عقدوا عليه بالفسق وشرب الخمر في العلن حتى تقيأها في محراب بيت الله.

وهو يقول للمسلمين: هل أزيدكم؟

فلما شهد الشهود بكل ذلك واعترضوا على اختيار مثل هؤلاء الأوغاد لتوليتهم شؤون المسلمين طردهم وتوعدهم، فإنطلقوا إلى حامي الإسلام الذاب عنه قديماً وحديثاً الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وأخبروه بسيرة هذا الزنيم حتى صار يأتهم الناس في الصلاة وهو سكراناً، فعد هذا حرباً مكشوفة على الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾^(١).

وحرباً مكشوفة على الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢)، فنهض عندها إمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وبقية خاتم النبيين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومشى إلى الخليفة الجالس على منبر الرسول المكرم، وقال له: ((لقد عطلت الحدود، وضربت قوماً شهدوا على أخيك، فقبلت الحكم وقد أوصاك سلفك ابن الخطاب أن لا تحمل بني أمية، وآل مروان، وآل معيط على رقاب الناس)).

فأجابه الخليفة ابن عفان: وما الذي تراه يا أبا الحسن؟

(١) سورة النساء ٤: ٤٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ٩٠.

قال: ((أرى أن تعزله، ولا توليه شيئاً من أمور المسلمين، وأن تسأل عن الشهود، فإن لم يكونوا أهل ظنة، ولا عداوة؛ أقمت على صاحبك الحد))، فأنظر الى عدالة هذا الحكم الرفيع، وأنظر إلى الحكم العادل، وأنظر إلى رحاب العلم، وإلى الشعور بالمسؤولية كاملة أمام المتهم وأمام الناس وأمام الله^(١).

أما طلحة والزبير وعائشة، هؤلاء الثلاثة كانوا أشد غلظة على عثمان من أمير المؤمنين، وأقسى كلاماً، وأعمق تجريحاً، وقد انتشر خبر هذا الزنيم والعتل^(٢) الاثيم الوليد بن عقبة أخو عثمان لأمه، وأن الخليفة الفاضل العاقل واقف على تحقيق مطلب أصحاب رسول الله وأم المؤمنين وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فأمر بإقامة الحد عليه؛ ليكون له ذلك في الدنيا خزياً، وله في الآخرة عذاب عظيم.

وهناك قصة طريفة في عملية إقامة الحد بأطراف ما في هذا الموضوع، وهي: أن ابن عفان بعد ان تواتر الشهود على فسق أخيه وشربه الخمر علناً حتى في الصلاة، وبعد أن عصفت ثورة الصحابة به وأم المؤمنين عائشة من جملتهم، وأضطر راغماً إلى إقامة الحد عليه ألبسه جبة العار من جيبه.

وجعل إذا بعث إليه رجلاً من قريش ليضربه وأوصاه به رفقاً، ولا يقطع فيه رحماً، ولما بلغ ذلك أمير المؤمنين ﷺ أخذ السوط، ودخل عليه وجلده

(١) أنظر أمالي الطوسي: ١٧٦ ح ٢٩٦، مروج الذهب: ٣٣٦ / ٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٩ / ٣.

(٢) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ١٧٥٨ / ٥ مادة عتل.

وفقاً لأحكام الدين، جلدأ لا تشوبه جبة الخليفة، ولا أخوانه، ولا غير ذلك؛ فأخذ من أمير المؤمنين جزاءً وفاقاً بما جنته يدها.

هذه نبذة وأحدة، وناحية وأحدة من نواحي هذا الفاجر الفاسق الذي كان يرى فيه الخليفة أميراً ووالياً يحذو حذو القرآن، ويطبق سنة الرسول، ويعدل في الحكم بين الناس، ولم يجد في زعمه ورأيه احسن منه ليحكم بينهم بالعدل والإنصاف، ويجبي أموالهم بميزان الحق^(١).

الطعن الثاني: دناءة الكافر الآخر سعيد بن أبي العاص وتعيينه بعد عزل الفاجر الوليد بن عقبة، وفي الحادثة السابقة لاحظتم إن ابن عفان ضرب الشهود، وعطل الحدود لولا غضب أمير المؤمنين عليه السلام لإقامة الحد، وإزهاق الباطل، ومن ثم غضب الصحابة وأم المؤمنين السيدة عائشة، ومن ثم غضب الجماهير بالمدينة والعراق حتى جلد أخاه، وإقامة حدود الله.

وحتى هذا الحد لولا أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن عامداً لأقامه الحد تقرباً، فزلفى للخليفة وأكراماً لجبته وشفقاً على قرابته قرابة الأخوة، ولما عزله عن إمارة الكوفة تحقيقاً لمطلب أمير المؤمنين لم تسول له نفسه لتعيين رجل صالح يقوم مقامه، فعين وغداً آخر من جبابرة بني أمية، وهو المسوخ سعيد بن العاص، وإليكم موجزاً من أجداده ومكرماته قاتله الله:

خطب هذا اللعين يوماً في الكوفة، وقد تولى أمرها بتعييناً من ابن عفان، وقال على رؤوس الأشهاد: (إنما السواد بستان لقريش، تأخذ منه ماشاءت

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١١ / ٣.

وتترك ماشاءت)، فقال له الناس: ويلك يا ابن العاص أتريد أن تجعل ما أفاء الله به علينا بستاناً لك ولقومك؟!

وخاصموه ومكر لهم ومكروا له، وكانوا بعون الله اشد مكرراً فأخرجوه من الكوفة سحياً من عنقه، وسيروه إلى صاحبه الذي بعثه والياً على الكوفة، وقالوا فيهما أقوالاً غليظة قاسية لاذعة، وحين وصل المدينة وأنتشر خبر طغيانه وفسقه ووثوب الناس به وبحكمه أضطر ابن عفان إلى عزله بعدما عزل سلفه، وهو أخاه بضغط من الأمة وأعلامها، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، ولم يزل عثمان مستمراً بسياسته بعد أن عزل عاملين عن الكوفة بناء لما واجهه من ضغط الرأي العام سواء في العراق أو في الحجاز، وأحداً تلو الآخر.

أقول: لم يزل لا تطاوعه نفسه بإرسال رجل صالح يتقي الله من أصحاب رسول الله ﷺ كعمار بن ياسر، أو مالك الأشتر، أو المقداد، فصبر حتى أمعن بأيعاز من سكرتيه بل محرك سياسته الأول مروان بن الحكم إلى أن يبعث وغداً من هؤلاء الأوغاد، أو مفكراً من حثالات الناس وطغاهم^(١)، فبعث بالعقبري المعروف بأبو موسى الأشعري، وعبقريته غير خافية على أحد حين غدر به ابن النابغة عمرو بن العاص يوم التحكيم في صفين^(٢).

ولسوء إدارته، وتنكره عن الصراط السوي عزله أمير المؤمنين عليه السلام حين تولى الخلافة بعد مصرع ابن عفان؛ لذلك كظم غيظه على أمير المؤمنين عليه السلام

(١) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٤ / ٣٨٩ مادة طغم. الصحاح: ٥ / ١٩٧٥ مادة طغم.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٥١٤، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ١ / ٣٥٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٦٦، فتح الباري: ٨ / ٤٥١.

حتى حانت ساعة الغدر، وهي ساعة التحكيم المزيّف، فاتفق مع الفاجر الغادر ابن العاص أو ابن النابغة العاهرة على عزل الخليفة الحق الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين المفروضة بيعته على الناس أجمعين بنفس المقياس والحدود مع العامل العاصي الفاجر، والخارج على الخليفة، والتارك الدستور، والباغي معاوية بتأكيداً من النبي ﷺ، حين قال: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح^(١) من لبن))^(٢).

ولم يكن قد صدر من الإمام إلا أن عمده وهو الي الحق، ونفس الرسول، وأخيه، وصهره، وابن عمه، الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى، إلى عزل الفاسق المعروف، العامل العاصي الخارج على القانون والنظام، وهو معاوية بن أبي سفيان الذي كان بحكم الدين ونص القرآن جزاءه القتل: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾^(٣).

فأن أبي موسى الأشعري بدلاً من أن يكون عوناً لأمر المؤمنين، ويشد أزره وينصره بقرر عزل العامل الفاسق العاصي معاوية الذي كان قتله واجباً على كل مسلم نجده يجعل الجنة والنار في مقام واحد ويعمل على عزل علي معاوية، هذا وهو الشيخ الطاعن في السن الذي يدعي التدين.

(١) ضياح: أي لبن خاثر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضيح.

(٢) ورد الحديث باختلاف سير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار:

٩٧ / ٣٦٦ ح٦.

(٣) سورة الحجرات ٤٩: ٩.

فكانه حين إتخذ قراره الظالم يوم صفين وما كان واقف على أبسط قواعد العدل، وكأنه في معزل عن حساب الله يوم عرضه وحسابه، فمن هذه المزايل ومن هذه المستنقعات ومن هذه الأكوام من الجيف والقذارات كان ابن عفان يختار اعوانه وعماله؛ لیسلطهم على رقاب الناس، ویسلمهم إدارة أمة محمد ﷺ، ويفترض بعثمان وهو المتریع على منبر النبي أن يعمل على هداه، ویطبق سيرته، ویحقق بین الناس عدله، لأنه یقوم مقام الخلیفة فی إدارة شؤون المسلمین^(١).

الطعن الثالث: توليته وغد آخر من أوغاده، ومجرم آخر من جلاوزته على مصر، وهو الفاجر المدعو عبد الله بن أبي سرح، ویمكنك أن تتصور نقمة الناس على عثمان فی مصر لتوليته سفلة الناس على رقاب المسلمین، أن مثل غضبهم ونقمتهم وثورتهم كمثل ما حصل فی العراق الذي طرد ولاته واحداً بعد آخر؛ لفسقهم وسكرهم فی الصلاة^(٢)، وإستهثارهم بمحارم الله وحدوده التي فرضها فی كتابه وسنة نبيه ﷺ.

فشأن الناس فی مصر كشأنهم أهل العراق، فالسفلة والملاحدة هم الولاية هنا وهناك، لذلك لم یکن مصیر المجرم عبد الله بن أبي سرح فی مصر أحسن من مصیر أولئك الأوغاد الذين طردوا من العراق، أذ طرد هو الآخر لفسقه وتنكره لقواعد الدين والأخلاق، وحسن السيرة بین الناس، وحين اجتمع

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٢١.

(٢) أنظر تخريج الأحاديث والآثار: ٣ / ٣٣٢ ح ١٢٢٩.

المصريون حوله وهم يطردوه من بلدهم قالوا له: (بلغ من بعثك إلينا إن لم يستقم ويعدل، خلعناه وقتلناه).

وهذا الإنذار من الشعب المصري للخليفة الثالث كان الشرارة الأولى التي ألهمت نار الثورة بعد أيام قليلة، وهي الثورة التي عصفت به وبحكمه، كما سيأتي البحث عن ذلك^(١).

الطعن الرابع: أما الطعن الآخر هو تخطيطه لأغتيال المجاهد الكبير محمد بن أبي بكر.

فسبحان الله كأن هذه الأمور التي ضجت فيها الناس في مختلف الاوطان، وهذا المنكر الذي غاصت ونقمت فيه الأمة كان حافزاً لهذه الخلافة بمتابعتها والأصرار عليها، والمضي قدماً في زيادة حدتها، لا لتبديلها أو تخفيفها على الأقل، والسر الذي يكمن وراء ذلك كيد بني أمية وعمومتها من آل أمية ومروان وآل معيط، وتربصهم به ليجتثوا على سلطانه رغم إنه جرد أصحاب الحق من حقهم، وحرّم الأراامل واليتامى والمساكين من فيئهم الذي أفاءه الله عليهم ليدفعه إلى ذوي قرباه، وكلهم مجرمون سفاحون يخللون ما حرم الله ويجرمون ما حله.

وحسبك دليلاً على إصراره بسياسته الحمقاء هذه التي قضت على كيانه قبل كل أحد ما دبره للمجاهد الكبير محمد بن أبي بكر حين وقع الاختيار

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١ / ٣، الفارات: ٢٠٦ / ١، الصراط المستقيم: ٣٠ / ٣.

عليه ليعثوه إلى مصر ليحل محل اللعين عبد الله بن أبي سرح، لا لشيء أقترفه هذا المجاهد العظيم، ولكن لحسن سيرته، وأستقامة أخلاقه، وصحة سلوكه، وعدله في الأمور، ويقينه بمواقع الباطل، مما لا ينسجم مع سياسة الجبارين المتنفذين، وعلى رأسهم سكرتير الخليفة الخاص وموضع سره وأعماده ولولب أدارته مروان بن الحكم.

وإليك تفصيل هذه الحادثة الخطيرة التي قدر لها أن تكون السبب الحاسم في الأجهاز على الخليفة وقتله وهي: بعد أن طرد الشعب المصري عامله الفاجر المدعو عبد الله بن أبي سرح، وخرج يجر أذيال الخو والعار، كأصحابه الذين طردوا من العراق ملحقاً بصاحبه ابن عفان في المدينة، وهو يحمل إنذار الناس إلى الخليفة، وذلك الأنداز: (بلغ من بعثك إلينا أن لم يستقم ويعدل، خلفناه وقتلناه).

وعند وصوله إليه، وإبلاغه إنذار الناس هذا اضطر راعماً إلى عزله، وتعين الذي اختاره أصحاب محمد ﷺ، وهو راغم أيضاً في قبول رأيهم وهو تعيين المجاهد والسيد الصالح محمد بن أبي بكر والياً على مصر بدلاً من الفاجر ابن أبي سرح.

ولكن تعال معي، وأنظر مارافق هذا التعين الذي سلب سبات مضاجع الأمويين، وماعشت أراك الدهر عجباً، فقد ترك المجاهد محمد بن أبي بكر رحمه المدينة متوجهاً إلى مصر بعد صدور المرسوم بتعيينه، ومعه جماعة من المصريين ومن أصحابه، وأذ برجل يلوح لهم في الأفق يحاول جهده التخفي عنهم،

ويبحث الخطى في سيره؛ فأتجهوا نحوه لما رأوه من طريقة سيره وتخفيه، قصده
بجد حتى واجهوه وعرفوه، فسألوه: أين تقصد؟

فأجابهم متلكناً، فزادت ريبتهم منه، وسألوه عما وراءه وما يحمل معه؟

فقال: كل شي يدفع الرية عنه، وإنه لا يحمل معه غير متاعه، ففتشوه وأذ
برسالة من الخليفة إلى المجرم عبد الله بن أبي سرح يأمره بها أن وصل إليه
محمد بن أبي بكر فليضرب عنقه، ويأخذ الناس بالقسوة والشدة.

فراعهم ما وجدوه، وأثارهم ما قرؤوه، فالتفوا راجعين جميعاً بعد أن
ربطوا رسول الخليفة بالحبال حتى وصلوا المدينة، وهرعوا إلى أكابر أصحاب
الرسول ﷺ، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، ومعهم الرسول المجرم،
والأسباب الجرمية التي كانت بحوزته وهي الرسالة والسلاح وبعير الخليفة،
فقامت قيامة الناس، وعلا ضجيجهم بعدم إمكان إبقاء عثمان بعد كل الذي
حصل منه، ومن المجرم سكرتيه مروان بن الحكم خليفة على المسلمين، ولا بد
من عزله، وإختيار غيره ليتولى أمور الناس.

ثم إنزال العقوبة بالمجرمين الذين يأمرون الفاجر ابن أبي سرح بقتل نفس
بريئة مؤمنة بغير نفس، فنهض أصحاب محمد وبعد أن نفذ صبرهم وضاقوا
ذرعاً من تجر هذا الخليفة المجنون بل المجرم، وأصرارهما وحزبهما من آل أمية
الكفر على الماضي بالباطل، واهانة الناس، وهدر حقوقهم، والتأمر على
حياتهم، وعلى رأسهم حامي الإسلام أمير المؤمنين عليه السلام.

ودخلوا على عثمان ليحاكموه، وتولى أستجوابه أمير المؤمنين عليه صلوات الرحمن بنفسه، وقال له على رؤوس الأشهاد، وهم يزجرون وينادون بإسقاط هذا الخليفة المعتوه، وإنزال العقوبة به ومساعدته، وبدأ أمير المؤمنين عليه السلام باستجوابه قائلاً: ((يا عثمان، أهذا الغلام غلامك؟

عثمان: نعم غلامي.

أمير المؤمنين: يا عثمان أهذا البعير بعيرك؟

عثمان: نعم بعيري.

أمير المؤمنين: أفأنت كتبت هذا الكتاب؟

عثمان: لا، وحلف بالله أنه ما كتب الكتاب، ولا أمر به.

أمير المؤمنين: يا عثمان انك حلفت بالله إنك ما كتبت الرسالة، ولا

أمرت بها، أفهذا الخاتم خاتمك؟

عثمان: نعم خاتمي.

أمير المؤمنين: أذن فكيف يخرج غلامك على بعيرك بكتاب عليه خاتمك،

ومعه سلاحك، ولا علم لك به؟

عثمان: أما الخط فخط كاتبني، وأما الخاتم فخاتمي.

أمير المؤمنين: أذن من تتهم؟

عثمان: وقد إنهارت عزيمته وغارت قواه، ولاحت أشباح الموت أمامه، وبدأ يهجر ويهذي في كلامه، ولا يعرف ماذا يقول، فقال: وهو يرتجف خوفاً من سخط الجماهير الثائرة أتهمك وأتهم كاتبني.

أمير المؤمنين: لقد والله ساعدتك حتى صرت أخشى أن أكون أثماً فيك، وزيره بكلام غليظ وخرج مغضباً، والجماهير تتبعه ثم لزم داره وقرر أن لا يعود لنصرة هذا الرجل الملحد المتخبط في عوراته^(١).

قرار الشعب

والآن وقد قام الدليل القاطع على أن هذا الخليفة الأموي قد بعث غلامه، ومعه سلاحه، وكتابه الموقع بخاتمه، وعلى بعيره ليقتل نفساً مؤمنة بغير نفس، فقد قرر الشعب تنحيته، وإنزاله بقوة السلاح، وأن قاوم قتلوه.

فقد تجمهرت حشود الثائرين الوافدين من العراق، ومصر، واليمن، والحجاز، وأحاطوا دار عثمان والسيوف مشرعة، وطالبوه بالإستقالة وإلا أجهزوا عليه، فخرج إليهم المجرم الأثيم، والعتل^(٢) الزنيم، مروان بن الحكم وطلب من الناس الأنصراف، وأن الخليفة سيجيبهم إلى ما يطلبون.

فقالوا: أن أول مانطلبه هدر دمك وأمثالك من الغاوين الفاسقين، ولم ينصرف أحداً من الناس، بل زادهم كلام هذا الوغد السافل الفاسق إصراراً على تنفيذ مطلب الجماهير، وعلى الخليفة أن يعتزل أمر أمة محمد، لأنه أصبح

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢ / ٣.

(٢) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ١٧٥٨ / ٥ مادة عتل.

غير لائق لتولي إدارة المسلمين، إضافة لذلك فقد أثارهم الكيد بابن أبي بكر وهو الرجل المعروف بالتقوى والصلاح، وقال الثائرون: أن كان عثمان يدري فتلك مصيبة، وأن كان لا يدري فالمصيبة اعظم، ولا بد من تنحيته لتختار أمة محمد من تضع ثقتها فيه.

ولم يحصلوا من عثمان أو مروان على جواب في إنتظار نجدة تأتيه من معاوية، وهو لا يدري أن معاوية أمر رجاله الفاسقين بالوقوف في الطريق وإنتظار ماتمخض عنه الثورة بالمدينة، وكان يتصيد أخبار مقتل عثمان، وشأنه في ذلك شأن صاحبه عمرو بن العاص، الذي قال حين بلغه مقتله: (أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها^(١))^(٢).

وفي خضم هذا الأعصار الرهيب بعث أمير المؤمنين سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام ليقفا على باب عثمان، وبدفعا الناس عنه، فما رآح الناس إلا وقوفهما وهيئتهما ومقامهما عند الله.

فقرروا الإلتفاف حول الدار والنزول عليه من خلفها احتراماً لمقام الحسين عليهما أفضل الصلاة والسلام، وتسلقوا الجدر، ومحمد بن أبي بكر، وعماراً في جملة الذين هبطوا عليه وقتلوه، وبقيت الجثة مطروحة ثلاثة أيام

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٣٩٣.

(٢) نكأتها: أي حككتها حتى أدميتها. أنظر العين: ٥ / ٤١٢ مادة نكأ.

دون دفن في مزابل المدينة حتى قبره بعض أقرباءه في تلك المزابل ليلاً، خوفاً من بطش الناس والناقمين عليه^(١).

وهكذا تحققت فراسة عمر بن الخطاب فيه قبل مماته إذ قال: (لو وليها هذا الأجلح -ويقصد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام- حملهم على المحجة البيضاء، وإذا وليها عثمان فما أراه إلا مسلطاً آل أمية ومروان ومعيط على رقاب الناس، وأن فعلها فأنهم قاتلوه)^(٢)، ويدلك قوله هذا على قوة فراسته في الرجال، ولكن لا أدري وهو الخبير بهم لماذا لم يعهد بها إلى أمير المؤمنين كما عهد بها إليه أبا بكر، وقد أعلن رأيه فيه بقوله: (يحملهم على المحجة البيضاء..؟)

ولعل جوابه لعبد الله بن عباس يوماً في أثناء حكمه بقوله له: (أما والله أن الحق أرادك ولكن أبوا عليك)^(٣)، وكان كلامه هذا في مقام من المقامات الكثيرة التي ساعد فيها أمير المؤمنين عليه السلام الخليفة الثاني بأراءه وشورته التي حل لها فيها كل ما أشكل عليه مما حملة على القول مراراً: (لولا علي لهلك عمر)^(٤).

(١) أنظر تاريخ الخلفاء: ١٧٦، الصواعق المحرقة: ١١٧.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير في كتاب سليم بن قيس: ٢٠٦.

(٣) عين العبرة في غبن العترة: ١٥.

(٤) الرياض النضرة: ٣ / ١٦١، نظم درر السمطين: ١٣٠.

وقال: (لولاك يا أبا الحسن لافتضحنا)^(١)، وما يشابه ذلك كثير، ولم يقف عمر في الحدود التي منعه عن العهد بالخلافة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وتلك شهادته فيه ومعرفته بمقامه الذي أشار إليه كتاب الله جل شأنه وأحاديث رسوله وأحاديث سلفه أبا بكر الذي قال: سمعت رسول الله يقول: (النظر الى وجه علي عبادة)^(٢)، لذلك كان يطيل النظر إليه.

أقول: ولم يقف عمر في حدود الإمتناع عن العهد بالخلافة إلى علي عليه السلام رغم كل ذلك، ولكنه رتب الشورى، وأخذ رأي الجهة التي فيها ابن عوف وهو صهر عثمان بشكل يفضي بها إلى عثمان دون علي^(٣)، رغم ما تنبأ به عن سياسة عثمان القائمة على أساس التعصب القبلي، وتسليط الفجار من آل أمية على الناس.

أجل لقد تحققت فراسة عمر في عثمان، وحصل كل الذي أشار إليه أمير المؤمنين في شقشقيته العظيمة، بقوله: ((إلى أن انتكث عليه قتله، وكبت به بطنته، وأجهز عليه عمله...))^(٤)، وأما محمد بن أبي بكر رحمته الله الذي تأجلت منيته على يد عثمان، ومروان، وابن أبي سرح فقد كتبت أن تكون على يد

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ٣١١.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ١٧٥ ح ٢٢، وورد الخبر باختلاف يسير في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٩٥، عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٦٧ ح ٧٢١.

(٣) أنظر تاريخ المدينة: ٣ / ٩٢٥، تاريخ الأمم والملوك: ٣ / ٢٩٤، تجارب الأمم: ١ / ٤١٩، الكامل في التاريخ: ٣ / ٦٧، خلاصة عبقات الأنوار: ٣ / ٣٢٩.

(٤) الاحتجاج: ١ / ٢٨٧.

وريتهم في الطغيان والكفر معاوية ابن آكلة الأكباد الذي أرسل إليه من يقتله^(١).

ومن أراد أن يعرف أكثر عن مقام المرحوم الشهيد محمد بن أبي بكر والأئمة اللعين ابن آكلة الأكباد فليقرأ الرسائل التي دارت بينهما وقد أثرنا تقديمهما في صدر هذا الكتاب لأهمية ماجاء فيهما، ونكتفي هنا بالإشارة إليهما والرجوع إلى نصوصهما لخطورة ما انطوتا عليه من اسرار وأمور مذهلة^(٢).

الطعن الخامس: هو لنسلم جداً بأن ابن عفان لا علم له بالكتاب الذي نظم لقتل محمد بن أبي بكر، ولا علم له بخاتمته الذي وقع به الكتاب، ولا علم له بإرسال غلامه، ولا علم له باعطائه سلاحه، ولا علم له بمحتويات الكتاب، ولا علم له باستعمال جملة أو بعيره، وكل ذلك جرى بمحض مشيئة مروان بن الحكم.

أفما كان من وأجب القائم مقام رسول الله ﷺ أن يعاقب هذا المجرم بعد أن أدانته الوقع المشهود، وأدانته المستمسكات الجرمية، وأدانته محكمه الثورة، وأدانته الصحابة، ومن ثم جماهير الأمة الإسلامية، لكن ابن عفان لم يعمل من ذلك شيئاً على الإطلاق بل طوى هذه الجريمة كطيه الجرائم الأخرى، وذهبت كلمة الأمة هباء، وحدود الله هباء، والأمر بالمعروف والنهي عن

(١) أنظر الغارات: ٢/ ٧٥٧، الاستيعاب: ٣/ ١٣٦٦ ح ٢٣٢٠

(٢) أنظر وقعة صفين: ١١٨ و ١١٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ١٨٨ و ٣/ ١٨٩.

المنكر هباء، مما حدى بالأمة أن تنزل فيه عقوبه الموت؛ ليأسها من إصلاحه وتعديل خطته، ومن ثم تنفيذ حكم الموت فيه.

لذلك قال المصريون لعثمان: أن كنت أمرت بالمسؤوليه تقع على عاتقك بصدور أمرك بقتل نفس مؤمنه بغير نفس، وأن كنت لا تعلم بإرسال غلامك مع رساله عليها خاتمك، ومعه سلاحك، وعلى بعيرك؛ فجرمك في غفلتك عن هدر دماء المسلمين، ومثل محمد بن ابي بكر أعظم وسوء كان الأمر هذا أو ذاك فانت غير صالح لولاية المسلمين، فاعتزل أمرهم وقدم نفسك وصاحبك إلى محكمة الثورة لتتالا وبال أمركما، والعقوبه العادله بحقكما.

وكذلك عن النهج لابن أبي الحديد، قال: أن طلائع الثوره المصريه بلغ عددها ستمائه جندي بقياده عبد الرحمن بن عديس البلوى^(١)، وكنانة بن بشير الكندي، وعمر بن الحمق الخزاعي رحمهم الله، أما طلائع الثوره العراقيه من الكوفه فقد كان عددها مائتين، بقياده الزعيم الكبير والمجاهد العظيم مالك بن الحارث الأشتر النخعي رحمه الله.

وأما طلائع أهل البصره فقد تجاوزوا المائه ثائر بقياده حكيم بن جبله العبدى وهو رئيسهم، وأما طلائع الثوره في الحجاز كما ينقل الصحابي الكبير

(١) هو عبد الرحمن بن عديس البلوى، يكنى أبو محمد، وهو صحب النبي ﷺ وسمع منه، وكان ممن بايع تحت الشجرة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه. أنظر الطبقات الكبرى: ٧ / ٥٠٩، الجرح والتعديل: ٥ / ٢٤٨، مشاهير علماء الأمصار: ٩٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٤ / ٤٠٩.

أبي سعيد الخدري رحمه الله، فكانوا ثمانمائة صحابي كلهم حكموا على الخليفة بالقتل وشاركوا واشرفوا على تنفيذ حكم الموت فيه^(١).

موقف الرجل الذي سلم الخلافة إلى عثمان

إن عبد الرحمن بن عوف الذي جاء به أمر من عمر أن يكون المرجع يوم الشورى، وهو صهر عثمان^(٢)، وقد أظهر للناس ندمه وأسفه على فعلته، وإعترف على رؤوس الأشهاد بخطيئته وذنبه عندما سولت له نفسه من تنفيذ أمر عمر بن الخطاب في تسليم الخلافة إلى عثمان ويروي ابن أبي الحديد، عن الواقدي في هذا المقام إذ يقول: (أن صهر عثمان عبد الرحمن بن عوف حين جاءه مرض مماته قال لزائريه: يا قوم، عاجلوا عثمان قبل أن يتمادى في ضلاله وحكمه، يا قوم، فأنا لن ننج من أوزاره.

ونلاحظ من تصريحه هذا، وعلى رؤوس الأشهاد أن تسليم الخلافة إلى عثمان كان منه أمراً سيحمله إلى يوم القيامة أوزاراً وثقلاً.

فبلغ ذلك عثمان، فبعث إلى بئر كان عبد الرحمن يسقي منها نعمة فمنعه منها، وما أرى مثلاً ينطبق على ذلك الوضع بما تحيطه من ظروف أكثر من قول القائلين: أتق شر من أحسنت إليه فعثمان الذي كان أول من صفق على يده

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧/٣، الطبقات الكبرى: ٧١/٣، تاريخ خليفة بن خياط: ١٢٤، تاريخ المدينة: ٤/ ١١٧٥، تاريخ الإسلام: ٤٤٨/٣.

(٢) أنظر تاريخ المدينة: ٣/ ٩٢٥، تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٢٩٤، تجارب الأمم: ١/ ٤١٩، الكامل في التاريخ: ٣/ ٦٧، خلاصة عقبات الأنوار: ٣/ ٣٢٩.

بالخلافة عبد الرحمن بن عوف، فقد عامله هذه المعاملة القاسية، وأنكر عليه جميله هذا الإنكار الفضيع.

وضل ابن عوف ناقماً على عثمان مشهراً به وبأفعاله مطالباً بتنحيته حتى فارق الحياة، وقبل أن يموت أوصى أهله وأصحابه بان لا يصلي عليه عثمان، وحين مات صلى على جنازته الزبير وسعد بن أبي وقاص، ولم يكلم عثمان حتى مات^(١).

أمير المؤمنين عليه السلام وعبد الرحمن بن عوف

ويروي ابن أبي الحديد، عن الواقدي أيضاً: أن حبيب رسول الله ﷺ الصحابي العظيم أبا ذر رضي الله عنه حين مات بالربذة^(٢) منياً من عثمان بن عفان^(٣) بأمر أمير المؤمنين عليه السلام إلى مذاكرة عبد الرحمن بن عوف عن هول هذه المأساة في أعظم وأقرب أصحاب رسول الله، وأصدقهم لهجة، وأرفعهم عنده مقاماً، وقال لعبد الرحمن معاتباً: ((أنها والله عواقب فعلتك، أذ سلمت الخلافة إلى عثمان.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣.

(٢) الربذة: من قرى المدينة على طريق الحجاز. أنظر معجم البلدان: ٢٤/٣.

(٣) أنظر كتاب سليم بن قيس: ١٩، المعيار والموازنة: ٢٥، الخصال: ١٨٣ ح ٢٤٩، المستدرک: ٥١/٣، روضة الواعظين: ٢٨٤، فتح الباري: ٣/٢١٧، وصول الاخير الى أصول الاخبار: ٧٦، مستدرک الوسائل: ٨/٢٠٦ ح ٩٢٦١.

فأجابه عبد الرحمن صدقت والله يا ابا الحسن، وما أرى إلا أن تأخذ سيفك وأخذ سيفي ونخلص الناس منه، فإنه خالف ما اعطاني، وعاهدني عليه (يوم الشورى) (١).

رسول عثمان إلى الثوار المصريين

ولما جاء المصريون مجيئهم الثاني لمحاصرت عثمان كلف المدعو محمد بن مسلمة (٢) ليكون سفيراً له إليهم وشفيعاً له عندهم، ليكلمهم ويفاوضهم، فرفض محمد، وقال له: (لا والله لا أكذب الله في سنة مرتين) (٣).

لأن محمد بن مسلمة كان سفيره إليهم في المرة الأولى، وضمن لهم عن عثمان الرضا فعفوا عنه ورجعوا، ولما عاود ضلاله وسيرته المعوجة الأولى عاود المصريون النهوض بالثورة مرة أخرى، وقرروا المجيء إلى المدينة ثانية، لإنهاء أمر هذا الخليفة المجرم، وعند حضورهم إليها طلب من محمد بن مسلمة استسفاره إليهم مرة أخرى ليكلمهم كما كلمهم في الأولى واستتابته إليهم؛ فرفض وقال: (والله لا أكذب الله في سنة مرتين)، وكأنه استوثق من عدم

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣.

(٢) هو محمد بن مسلمة بن سلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الحزرج بن عمرو الأنصاري، أحد رواة النبي ﷺ، تخلف عن بيعة أمير المؤمنين عليه السلام، كما تخلف عن الجمل وصفين، وروي أنه كان مع عمر لما دخلوا بيت فاطمة عليها السلام، مات بالمدينة سنة ست أو سبع وأربعين. أنظر الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٤٣، رجال الطوسي: ٤٦، نقد الرجال: ٤/ ٣٢٥، مستدركات علم رجال الحديث: ٧/ ٣٢٩، قاموس الرجال:

(٣) تاريخ الأمم والملوك: ٣/ ٤٠٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣.

إمكان تصحيح خطأ عثمان في الحكم، وتخليه عن تسليط المجرمين من بني أمية على رقاب المؤمنين، وحين قتل عثمان صار محمد بن مسيلمة ينادي في الناس: (أن عثمان قتل نفسه)^(١).

وهناك إشارة وهي: إن لطول هذا الموضوع، وعدم إستيعاب المقام لجمعه وذكر تفاصيله أشير على القارئ الكريم أن يرجع إلى نهج البلاغة للعلامة المعتزلي الشيخ عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد.

الطعن السادس: ومن المأسى الكبرى في الإسلام هي المأساة التي أقترحها عثمان بخطورة أثمها وعواقبها هي إرجاعه طريد رسول الله ﷺ عمه المدعو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى المدينة، ذلك المسوخ الذي قال فيه رسول الله ﷺ لشدة أذيائه له: ((والله لا يساكني هذا اللعين في بلد أبداً))، فطرده إلى الطائف وبعد فترة من الزمن جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ شافعاً فيه؛ فرفضه النبي.

ثم شفع فيه أبا بكر عند النبي ﷺ فرفضه أيضاً، ثم شفع فيه عمر ورفض هذا الأخير كذلك، ولما إستخلف أبا بكر جاءه عثمان شافعاً راجياً إرجاعه إلى المدينة فرفض أبا بكر تلبية الطلب لما راه من إصرار رسول الله ﷺ على نفيه.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣.

وبعد موت أبا بكر جاء إلى عمر شافعاً فكان أغلظ من أبي بكر عليه، إذ زبره وزجره، وقال له: (ماكنت أغير أمراً أمر به رسول الله، وإياك أن تعاودني فيه يا عثمان).

وهكذا ظل هذا اللعين مطروداً منفياً طول حياة النبي الأكرم، وطول مدة خلافتي أبي بكر وعمر، ولكن ابن عفان وقد الت الأمور إليه جعل باكورة أعماله إرجاع هذا الفاسق إلى المدينة، وفسخ الأمر الذي أمره رسول الله ﷺ، وسار عليه الخليفان من بعده، وماكان ذلك غريباً من عثمان الأموي المتحزب المتعصب لآل أبيه وعمومته كائناً من كانوا من النبي ورسائله وأوامره، ومهما كان مقدار سخط الصحابة عليه في ذلك، بل لم يكتفي ابن عفان بإرجاعه رغم أوامر النبي الأقدس بل جعله موضع عطف، وتقدير، وأكرام.

إذ أغدق^(١) عليه الشيء الكثير من أموال المسلمين، فضج الصحابة، وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام من تصرف ابن عفان هذا الذي كان خلافاً متعمداً ومكشوفاً لأوامر النبي، فجاء لعثمان في لمة من طلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر، وعبد الرحمن بن عوف، وغيرهم وعلى رأسهم نفس النبي وأخاه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو سلام الله عليه كان الذي كلمه في الموضوع.

(١) أغدق: أي أعطى الكثير. أنظر الصحاح: ٤/ ١٥٣٦ مادة غدق.

قائلاً: ((ياعثمان أنت أدخلت هؤلاء القوم -أي اللعين الحكم بن أبي العاص بن أميه وجماعته- وقد كان النبي أخرجهم، وأنا نذكرك الله والإسلام ومعادك، فإن لك معاداً ومقلباً، وقد أبت ذلك الولاة قبلك حتى لم يطمع أن يكلمها أحد فيهم، وهذا شيء يخاف الله فيه عليك)).

فقال لهم عثمان: أن قرابتهم مني ما تعلمون، وقد كان رسول الله ﷺ حيث كلمته أطمعني في أن يأذن لهم، وإنما أخرجهم لكلمة بلغته عن الحكم، ولم يضركم مكانهم شيئاً، وفي الناس من هو شر منهم.

فقال له أمير المؤمنين ووصي رسول رب العالمين: ((لا أجد أشد منه ولا منهم، وهل نسيت قول عمر بن الخطاب لك حين قال: والله ليحملن بني أبي معيط على رقاب الناس، ويسلمهم إدارة أمة محمد، وأن فعلها فانهم قاتلوه)).

فقال له عثمان: ما كان منكم أحد ليكون بينه وبينه من القرابة ما بيني وبينه، وينال من المقدرة مانلت إلا وقد كان سيدخله، وفي الناس شر منه؛ فغضب أمير المؤمنين عليه أفضل الصلاة والسلام، وقال: ((والله لتأتينا بشر من هذا أن سلمت، وسترى يا عثمان شر ما تفعل ثم خرجوا من عنده))^(١).

تعليق:

وما عشت أراك الدهر عجباً، أرايت إصراراً وتصميماً بالخروج على سنة رسول الله ﷺ، بل وأكثر من هذا تجده في سلوك عثمان، وإصراراً وتصميماً بالخروج على سنة الشيخين سلفية أبا بكر وعمر، وإذا تمنعت

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/٣.

وركزت في الأمر تجد ما هو أغرب من سيرة ابن عفان، وهو أمر عمر المتمرس بفراصة الرجال أذوجة رجال الشورى أن يأخذوا برأي الجهة التي فيها جهة عثمان، وهو عبد الرحمن بن عوف مع علمه وقوله بأن ابن عفان اذا أستلم زمام الأمر سلط آل أمية، ومروان، ومعيط على رقاب الناس، وأن فعلها فانهم قاتلوه.

هذه الفراسة، وهذه الفطنة، وهذا الذكاء من عمر ينتهي به الأمر إلى أن يمهّد لابن عفان إرتقاء منبر الخلافة، رغم إنه كان عارفاً وعالماً بما سيفعل في تصريح شؤون المسلمين، وهو ما تحقق بالفعل حتى أن ابن عوف نفسه الذي سلمه الخلافة بأمر عمر نقم عليه، ومات منكراً لاعماله، وغاضبا عليه، حتى إذ جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام غاضباً ومنكراً، ما أحدثه عثمان من خروجه على سيرة النبي ﷺ وسيرة الشيخين.

وطلب منه أن يحمل سيفه ويشارك معه ويجهزان على عثمان؛ ليخلصا أمه محمد منه، ولكن أمير المؤمنين العارف للأشياء قبل حدوثها، والأمر قبل وقوعها، مستيقنا كل ذلك من رسول الله ﷺ لم يوافق على رأيه، بل أثر أن يكون ناصرا لعثمان بالقدر الذي يفرضه الإصلاح، وبالقدر الذي يمكن معه أن ترجع الأمور لسيرتها العادلة، ولكن رفض عثمان إلا التكرار لناصره وناصحته الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى أضطره أن يعتكف في بيته، معتزلاً كل أموره.

وما أكثر ما قاله في هذا الصدد شاكياً سيرة عثمان معه، وكيف يستنفره للناس تارة، ويطلب معونته تارة، ثم يطلب إليه الخروج من المدينة تارة أخرى

حتى إنهى الأمر بأمير المؤمنين صلوات الرحمن عليه أن يقول على رؤوس الأشهاد: لقد والله أعنت عثمان ونصرته حتى صرت أخشى أن أكون أثماً فيه.

غلظة أبا بكر وعمر على عثمان في أمر الحكم بن أبي العاص

نقل الرواة أن عثماناً لما كلم أبا بكر في أيام خلافته في إرجاع اللعين الحكم رفضه وزبره، وتجرع غلظته معه وسكت، ثم عاود شفاعته مع عمر أيام خلافته، وكان أغلظ عليه من أبي بكر وكذلك تجرع شدة عمر معه، ولكنه وهو خليفة وقد جاءه أصحاب رسول الله وعلى رأسهم أمير المؤمنين وسيد المتقين رفضهم، وأصر على مخالفتهم رغم مذكروه من أهوال الحساب والقبر والمعاد.

وهو قد وقع في أصعب الأمور وأخطرها أثراً، كالخروج على سنة خاتم النبيين ﷺ، ومما يجدر ذكره هنا أن عمر لما كلمه عثمان أجاب قائلاً: يا ابن عفان يخرجك رسول الله وتأمروني أن أدخله، والله لو أدخلته لم أؤمن أن يقول قائل غير عهد رسول الله ﷺ والله لو أشق كما تشق الابلحة أحب إلي من أن أخالف رسول الله أمراً، وأياك يا ابن عفان أن تعاودني فيه بعد اليوم.

أما لعنة الله على عثماناً فهو المسؤول غداً من الله جل جلاله ورسوله ﷺ، عن إبطاله أمر الرسول وإيذائه له بعد مماته فيه في إرجاع الذي استهزء بالنبي حتى كان يحاكي مشيته وكان قد التفت النبي إليه يوماً ووجده

يحاكبه ساخرأ، فقال: ((اللهم أجعله هكذا))، وبقي كذلك حتى مات لعنه الله^(١).

الطعن السابع: هو أستهتاره الفضيع بأموال المسلمين، وحقوق الإيتام والأرامل والمساكين، ولقد آثر ابن عفان بني أبيه وعشيرته على المسلمين عامة في العطاء حتى نقل الثقة من المؤرخين أن عثمان لما زوج بناته الأربعة دفع لكل واحدة منهن مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين^(٢).

وسبحان الله فأن سلوك هذا الخليفة واستهتاره بأموال المسلمين يذكرنا بقضيتين، الأولى بيعه درع علي عليه السلام بأربعمائة درهم ليكون صداقاً لابنة رسول الله ﷺ وسيدة نساء العالمين^(٣)، والقضية الثانية هي مسألة عقيل حين جاء لأمير المؤمنين وهو خليفة، وخزائن الأرض بيده، ليطلب زيادة في العطاء لما أصابه من الفاقة^(٤)، ومعه أولاده شعث^(٥) غبر من الجوع والحرمان.

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/٣.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣/٣.

(٣) أنظر روضة الواعظين: ١٤٧، مكارم الأخلاق: ٢٠٧، إعلام الوري: ١/ ١٦١، المناقب للخوارزمي: ٣٤٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٢٧٧، كشف الغمة في معرفة الأئمة ١/ ٣٦٨، بحار الأنوار: ١٩/ ١١٣ ح ٤٣ و ١٣٠ ح ٣٢.

(٤) الفاقة: أي الفقر والحاجة. الصحاح: ٤/ ١٥٤٧ مادة فوق.

(٥) شعث: أي شعرهم جاف مغبر. أنظر العين: ١/ ٢٤٤ مادة شعث.

فكان جواب أمير المؤمنين عليه السلام لأخيه أن أحمى له حديدة، وكواه بها فأن من حرارتها، فقال له: ((ثكلتك الثواكل يا عقيل اتئن من حديدة احماها إنسانا للعبه، وتريد ان تجرني الى نار سوها جبارها لغضبه))^(١).

فاختلاف بين الرجلين، وفرقاً بين العقيدتين، ولا يوجد إتحاد بين الموقفين، وسيحكم الله يوم القيامة، ويفصل بين خلائقه وعباده، وهو خير الحاكمين.

الطعن الثامن: هو إستقالة مدير حساباته أو مدير خزينته أو خازن بيت مال المسلمين، وذلك وحين جاءت الصكوك الأربعة التي نظمها هو والفاجر سكرتيره اللعين مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأبي هو الشجرة الملعونة بالقرآن^(٢) إلى خازن بيت مال المسلمين.

ولكن الرجل الصالح عبد الله بن الأرقم أبى أن يدفعها لحاملها أصهار عثمان، ورجعوا إلى الخليفة والصكوك بأيديهم، وحين وصلوه وصكوكهم بل ووثائق إدانتهم يوم الحشر والحساب بأيديهم، غضب ابن عفان من تصرف خازن بيت مال المسلمين عبد الله؛ فبعث إليه وزجره، وقال له: (إنما أنت خازن لنا)، تماماً كما قال عامله على الكوفة سعيد بن أبي العاص الذي خلف الفاجر الوليد بن العقبه عليها، وقال للناس: (إنما السواد بستان لقريش، تأخذ

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. نهج البلاغة: ٢١٧/٢، أمالي الصدوق: ٧٢١.

(٢) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، سورة إبراهيم ١٤: ٢٦.

منه ماشاءات وتترك ماشاءات)، مما سبب تلك الإنتفاضة الهائلة التي اودت بحياة الخليفة في خاتمة الحساب^(١).

فأجابه ابن الأرقم: (ما أنا بخازن لك يا عثمان، وإنما أنا خازن لبيت مال المسلمين، وإنما خازنك غلامك، والقي المفاتيح على منبره أو قيل على وجهه، وترك وظيفته قائلاً له: ما كنت لأشاركك آثامك، فأصنع ما شئت وأخذ عثمان المفاتيح وأعطاهما إلى نائل مولاه)^(٢).

الطعن التاسع: هو ما جاء في شرح النهج أيضاً مروياً عن الواقدي أن عثماناً أرسل زيد بن ثابت، ومعه ثلاثمائة ألف درهم رشوة لعبد الله بن الأرقم ليكف لسانه عن تصرفات عثمان، وأكله السحت الحرام، وأستهتاره بأموال المسلمين.

حين وصل زيد بن ثابت إلى عبد الله بن الأرقم، قال له: (يا أبا محمد لقد بعث إليك عثمان بهذا المبلغ؛ لأنك تنحيت عن حراسة بيت المال، وذلك لتعمل عليها وتسد بها حاجتك، وتستعين بها على أمور عيالك، وتوزعه على الضعاف من قرباك، فأجابهم المؤمن عبد الله بن الأرقم: ما كنت يا زيد لأقبل من عثمان شيئاً من أموال اليتامى، والأرامل، والمساكين، وضعفاء المسلمين، لأواجه الله بيه يوم القيامة مثقلاً بجريرته وأثمه، وأن كان يريد أرشائي

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١ / ٣.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٦ / ٣، أمالي المفيد: ٧٠ ح ٥، بحار الأنوار:

وأرضائي، وبعث إلي ذلك من ماله الخاص فما كنت لأقبل منه رشوة لأسكت عن ظلمه، لذلك أني أرفض أن أنال منه شيئاً^(١).

الطعن العاشر: وهو توزيع أموال أفريقيا على الفاجرين مروان بن الحكم وعبد الله بن أبي سراح وهو المروي عن الواقدي، عن أسامة بن زيد، عن نافع مولى الزبير، عن عبد الله بن الزبير، قال: (لما غزونا أفريقيا سنة سبع وعشرين هجرية أمر عثمان بتوزيع الغنائم كلها بين مروان بن الحكم وعبد الله بن أبي سراح، وهما قد عرفت سيرتهما وتاريخهما الأثيم).

ويروي الواقدي، عن عبد الله بن جعفر، عن أم بكر بنت المسور، قالت: (لما بنى مروان بن الحكم داره الفخمة بالمدينة، دعا الناس إلى طعامه، وكان المسور ممن دعي إلى هذه الوليمة).

فقال مروان: وهو يحدثهم، والله فما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه.

فقال له المسور: يا مروان لو أكلت طعامك وسكت لكان ذلك خيراً لك، لقد غزوت معنا أفريقية، وإنك لأقلنا مالاً ورقيقاً وأعواناً، وأخفنا ثقلأً، فأعطاك ابن عمك عثمان خمس أفريقية، وجعلك عاملاً على الصدقات؛ فأكلت أموال المسلمين، ونهبتها، وهذه سنة ابن عمك).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ٣٦.

وهذه ليس معه وحده، وإنما مع كل عشيرته وبني أبيه، أما سائر المسلمون وضعافهم فلا حساب لهم عنده، ولا نصيب لهم من بيت مال المسلمين^(١).

الطعن الحادي عشر: هو ما روي عن الكلبي، عن أبيه، عن أبي مخنف: أن مروان ابتاع خمس إفريقية بمائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار، وكلم عثمان، فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان.

واعتذر عنه بأن قلوب المسلمين تعلقت بأمر ذلك الجيش، فرأى عثمان أن يهب لمروان ثمن ما ابتاعه من الخمس لما جاءه بشيرا بالفتح على سبيل الترغيب، فهذا خلافاً لسنة رسول الله ﷺ، ومما يعتبر أيضاً خروجاً مكشوفاً على قواعد الدين الأساسية التي سنّها خاتم النبيين ﷺ^(٢).

الطعن الثاني عشر: في الوقت الذي رأيت فيه أن ابن عفان يدني الفجار، وطريدي رسول الله، ويغدق^(٣) عليهم الأموال الطائلة من أموال المسلمين نجده يأمر بضرب الصحابي الكبير والعبد الصالح والمقرب لرسول الله ﷺ عبد الله بن مسعود حتى كسرت أضلاعه وجريمته إنه وأحداً من المراجع المعدودة في بيان محكم القرآن وتفسيره كعبد الله بن عباس، ولأنه ينادي بالأمر المعروف والنهي عن المنكر، وينكر عن الخليفة وزبانيته ما يرتكبون من بدع

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٣٧.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٣٧.

(٣) أغدق: أي أعطى الكثير. أنظر الصحاح: ٤ / ١٥٣٦ مادة غدق.

وضلالات، تماماً كما يعمل أبا ذر رضي الله عنه ^(١) حتى آل الأمر بتبرمه ^(٢) بعثمان حتى قال يوماً على رؤوس الأشهاد: (ليتني وعثمان برمّل عالج ^(٣)) يحشوا علي واحشوا عليه حتى يموت الأعجز مني ومنه).

وعبد الله بن مسعود هو من عرفت بنبوغه في العلم والتفسير وأمور الدين حتى إنه حينما كان في الكوفة على عهد الفاجر المجرم الوليد بن عقبة يخطب الناس كل يوم، ويقول: (إن أصدق القول كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدث بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار).

هذه الحمم القاصفة كان يعيدها الشهيد عبد الله بن مسعود وراء كل صلاة، وكل جمعة، وفي مسجد الكوفة، والوليد يسمعها ويسكت صاغراً أو حاقداً.

وكيف يجب على هذه الكلمات الدافعة وكلها حق صراح، وهي مبنية على الأسس الراسخة التي قام عليها الدين الجديد دين العدل والتوحيد، ولا يختلف عليها أي مسلم، اللهم إلا الذين ران على قلوبهم من المنافقين المجرمين.

(١) أنظر كتاب سليم بن قيس: ١٩، المعيار والموازنة: ٢٥، الخصال: ١٨٣ ح ٢٤٩، المستدرک: ٥١ / ٣، روضة الواعظين: ٢٨٤، فتح الباري: ٣ / ٢١٧، وصول الاختيار الى أصول الاخبار: ٧٦، مستدرک الوسائل: ٨ / ٢٠٦ ح ٩٢٦١.

(٢) تبرمه: أي أمله وأضجره. أنظر الصحاح: ٥ / ١٨٦٩ مادة برم.

(٣) رمل عالج: أي موضع بالبادية على طريق مكة لا ماء فيه. أنظر معجم البلدان: ٤ / ٧٠.

وتصور الحقد الذي كانت تأجج في صدر الوليد المجرم بهذه الكلمات الحق بحيث اتخذتها سبباً لنفي الشهيد عبد الله بن مسعود، وإرجاعه إلى المدينة راغماً لينكل به رئيس الحزب الأموي الحاكم عثماناً، أما الوليد المجرم هذا هو من تعرف هو ابن عقبة بن أبي معيط الذي قتله أمير المؤمنين صبراً، وهو بين الأسرى يوم بدر بأمر من النبي الأقدس^(١)، وحين أصدر رسول الله ﷺ حكم الموت فيه قال له: ومن للصبيّة يا محمد؟

قال له صلوات الله عليه: (النار، أقتلوه)^(٢).

فحقد هؤلاء الزبانية على الإسلام، ورسول الإسلام وآل بيته موروثاً، بلى ويزداد في صدور أعقابهم جيلاً بعد جيل^(٣).

مغادرة عبد الله بن مسعود الكوفة إلى المدينة:

حين إنتشر خبر تسيير الشهيد عبد الله بن مسعود إلى المدينة لينكل به ابن عفان أنتفض أهل الكوفة غضباً له، وخرجوا بمظاهرة كبيرة يريدون منعه من السفر إلى المدينة خوفاً عليه من بطش عثمان بأصحاب محمد ﷺ وتنمره عليهم، فالتفوا حوله ويقولون له لن نتركك تسافر يا أبا عبد الرحمن مادماً أحياء وقوائم سيوفنا بأيدينا.

(١) أنظر معرفة السنن والآثار: ٦/ ٥٥٢ ح ٥٣٦٩.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. المعجم الأوسط: ٣/ ٢٣٠، بحار الأنوار: ٣٣/ ٧٠ ح ٣٩٨،

نيل الأوطار: ٨/ ١٤.

(٣) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ٤٠.

ووالله لن ندعك تصل إليه، ولن نسمح أن يصيبك منه سوء فإننا أعرف
يقدر هذا الرجل لأصحاب محمد، ولا نأمنه عليك.

فقام فيهم خطيباً، وقال لهم: (جزاكم الله خيراً، ومحق الله الكافرين إنه
أمر سيكون، ولا أحب أن أكون أول من فتحه، وإنني وأياكم لنعلم أن عثماناً
لا يزن عند الله جناح ذبابة)، وأن قصده من كلامه هذا كان واضحاً، وهو إن
ابن عفان مقتولاً لا محالة بعمله، ولا أحب أن أكون أول من يسبب بطلق
الشرارة ضده.

فسار إلى المدينة، ولما دخلها توجه إلى ابن عفان صاحب الأشرار وقاتل
الأخيار، وحين قابله سبه وأمر بكسر اضلاعه، وكان ذلك سبب موته شهيداً
مظلوماً مكافحاً عما جاء في كتاب الله من أمر بالمعروف ونهي عن منكر،
وساء ما كان الظالمون يعلمون، وبشما كانوا يحكمون، وسيعلمون أي منقلب
ينقلبون، ولا ينفعهم أذ يندمون^(١)، وأن من يحكم بغير ما انزل الله فولئك هم
الكافرون^(٢).

(١) إشارة لخطاب الزهراء عليها السلام: ((ولكل بنا مستقر وسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه،
ويحل عليه عذاب مقيم))، الموجه لأبو بكر وجماعته. الاحتجاج: ١/ ١٣٦.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢/ ٣.

وصية الشهيد عبد الله بن سعود

سئل رحمه الذين زاروه في مرضه الذي توفى منه: (أيها الناس، من منكم يكون وصيي؟

فسكتوا إلا عملاقاً لا يهاب الموت، هو المجاهد ابن المجاهد عمار بن ياسر والمجاهدة سمية، كان ذلك العملاق عماراً الذي نشأ في بيت الإيمان الذي قال في أهله رسول الله ﷺ: ((صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))^(١)، وذلك حين كانوا هدفاً للتعذيب والإضطهاد من مشركي قريش حتى كانت النتيجة أن مات ياسر شهيداً وسمية شهيدة من عذاب الكافرين الأليم.

أما أبنيهما العملاق عماراً فلم يزل حتى بعد أن نشر الإسلام لواءه، تحت موضع إضطهاد المتجبرين كعثمان، ورجل كعمال هذه سجيته، وهذه نشأته، وهذه عقيدته، ولا يرهبه الموت في سبيل الحق، وفي سبيل الله كان حتماً أن يلبي طلب عبد الله بن مسعود ورغبته، بأن يكون وصيه مع علمه بما ستطوي عليه من أخطار.

فأجاب الرجل المحتضر، وقال له: (أنا وصيك يا أبا عبد الرحمن.

فقال له: ناشدتك الله أن لا يصلي علي عثماناً، وأنت الذي تصلي علي جنازتي).

(١) المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

ولما توفي من مرضه الذي سببه عندما كسر أضلاعه غسله عماراً،
 وجهزه، وصلى عليه، ودفنه، فلما بلغ ذلك ابن عفان إستدعى عماراً وسئله
 قائلاً: (ما احملك يا عمار على ما فعلت، ولم تؤذني؟
 فقال له: لقد عهد إلي أن لا أؤذنك)^(١).

زيارة عثمان لابن مسعود أثناء مرضه

فعثمان بعد أن أهان هذا الصحابي الكبير، وأمر بضربه وكسر أضلاعه،
 زاره في مرضه الذي كان هو السبب فيه، وقال له: (ما تشتكي؟
 قال: ذنوبي.

قال: فما تشتهي؟

قال: رحمة ربي.

قال: ألا أدعُ لك طبيباً؟

قال: الطبيب أمرضني.

قال: أفلا آمر لك بعطائك؟

قال: منعته وانا محتاج إليه، وتعطينه وأنا مستغن عنه؟!

قال: يكون لولدك.

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢ / ٣.

قال: رزقهم على الله.

قال: أستغفر لي يا أبا عبد الرحمن.

قال: أسئل الله الحاكم العادل أن يأخذ لي منك حقي^(١).

دخول عبد الله بن مسعود على ابن عفاف في مسجده

يروى الواقدي: أن عبد الله بن مسعود رحمه الله لما دخل المدينة قادماً من العراق كان يوم ليلة الجمعة فلما علم عثمان بقدومه، قال لمن حوله: (أيها الناس، طرركم الليلة دويبة^(٢))، من تمشي على طعامه يقيء ويسلح.

فقال له ابن مسعود رحمه الله: كذبت والله يا عثمان إنما أنا عبد الله بن مسعود صاحب رسول الله ﷺ، وما أضلك وأجراك أن تقول مثل هذا لأصحاب محمد ﷺ، وإنك لتعلم أنني صحبتته صلوات الله عليه يوم بدر، وصحبته يوم أحد، ويوم بيعة الرضوان، ثم صحبتته يوم الخندق، ويوم حنين.

فسمعت بذلك عائشة فأسرعت ودخلت المسجد مغضبة، وصاحت: ويلك يا ابن عفان، أتقول هذا لصاحب رسول الله؟

فقال لها: أسكتي، وإلتفت إلى عبد الله بن زمعة وهو أحد جلادية، وقال له: أخرجته من المسجد إخراجاً عنيفاً؛ فأخذه ابن زمعة حتى جاء به إلى باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعاً من أضلاعه.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٢ / ٣، نهج الحق وكشف الصدق: ٢٩٥.

(٢) يقصد دوده أو حشره سامة تفسد الطعام، من المؤلف

فصاح ابن مسعود: يا مسلمون قتلني ابن زمعة الكافر بأمر عثمان الظالم، لأنني جاهدت بين يدي رسول الله ﷺ في كل غزواته.

وقد شارك الملحد ابن زمعة في الاجهاز على الصحابي الكبير الشهيد عبد الله بن مسعود جلاد آخر من جلادي ابن عفان، وهو غلامه المدعو بحموم.

فسبحان الله أسم مشتق من جهنم، فمن جهنم مصدر أسمه وبئس المصير، وحينما كان الجلاد ابن زمعة يحمله على عاتقه إلى باب المسجد كان عبد الله ينادي: (أيها الناس، ناشدكم الله لا تخرجوني من مسجد خليلي رسول الله)^(١).

ولنسمع الآن الواقدي ماذا يقول في هذا المقام الخطير: (قال الشهود العيان الذين حضروا الحادثة في المسجد، كنا ننظر إلى حموشة ساقى^(٢) عبد الله بن مسعود ورجلاه تختلفان على عنق مولى عثمان حتى أخرج من المسجد).

وأسمعوا أخيراً ما قاله الذي لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى^(٣) وهو خاتم المرسلين ﷺ في ساقى عبد الله بن مسعود، فقد قال يوما على رؤوس الأشهاد وأصحابه حوله: ((أيها الناس، أن لساقا ابن أم عبد

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٣ / ٣.

(٢) حموشة ساقى: أي دقة ساقى. أنظر العين: ١٠٠ / ٣ مادة حمش.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، سورة النجم

أثقل في الميزان عند الله يوم القيمة من جبل أحد))، وقالها أرواحنا له الفداء لعلمه بما سيصيب هاتين الساقين من جور وطغيان وإضطهاد بعده^(١).

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)، ولا ينفعهم ما قدموه، وأن جهنم لمحيطة بالكافرين^(٣).

تعليق:

إننا في وقت الذي نترفع فيه عن السباب، إمثالاً لأمر مولانا وسيدنا وقائدنا وإمامنا الأول علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين، ووصي رسول رب العالمين، حيث قال لبعض اصحابه، وقد سمعهم يسبون معاوية، وأهل الشام: ((إني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبكم إياهم.

اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))^(٤)، ونحن الماشون على هدية لا نرضى لأنفسنا أن نكون سبابين، ولكننا

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤ / ٣.

(٢) سورة الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، سورة

التوبة ٩: ٤٩.

(٤) نهج البلاغة: ١٨٥ / ٢.

ملزمون في أظهر مخالفة المنافقين الملحدين لأوامر الله وأوامر رسوله وسنته في أمته، وإحصاء مخالفاتهم التي أقامت الدليل القاطع على تنكرهم للقرآن، وسنة صاحب القرآن، وأوامره، وأهل بيته الميامين من بعده.

فعثمان كما رأيت من ضلالتة السابقة، وبدعه السالفة، فإنه لم يخرج على سنة الرسول ﷺ وحسب، وإنما خرج على سنة الشيخين في أكثر أعماله، مما جعل الشخص الذي سلمه القيادة والولاية وهو عبد الرحمن بن عوف ينقم منه أشد نعمة، ويطلب من أمير المؤمنين مشاركته في قتله، وتخليص أمه محمد منه، ولم يكلمه حتى فارق الحياة حتى إنه أوصى أن لا يمشي في جنازته، ولا يصلي عليه^(١).

والمختصر ما تقدم، وجدنا أن ابن عفان لا يرتاح إلا بتقديم طرداء النبي، والفجار من بني أبيه، وإضطهاد أقرب الناس وأحبهم إلى رسول الله كأبي ذر، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن ياسر.

الطعن الثالث عشر: أما هذا الطعن فينبغي أن تقراءه بإمعان لمعرفة مقام الصحابي عبد الله بن مسعود، فقد روى الطبرسي تحت موضوع طبقات المفسرين، مما لاحظناه أن مقام الشهيد عبد الله بن مسعود يأتي في المرتبة الثانية بعد عبد الله بن عباس حبر الأمة وكبير مفسريها، الذي قيل فيه: إنه ورث عن الرسول ثلثي علمه^(٢).

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٨/٣.

(٢) أنظر مجمع البيان: ٣٦/١.

هذا الصحابي الجليل الذي تقدم على غيره في علم التفسير، كان أيضاً موضع إضطهاد ابن عفان وحاشيته وذوي قرباه، أجل روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، أن ابن عفان ضرب العبد الصالح والصحابي الجليل عبد الله بن مسعود أربعين سوطاً، لانه دفن جنازة أبي ذر الغفاري رحمه الله، وأن ذلك هذا على شيء فأتما يدللك على مدى حقد عثمان وتربصه بأصحاب رسول الله المقربون منه، وذوي المنزلة الرفيعة عنده.

أذ من يكون صاحب المنزلة عند النبي من أصحابه بأكثر من ذلك الذي قال فيه: ((أيها الناس، أن لساقا ابن أم عبد أثقل في الميزان عند الله يوم القيمة من جبل أحد))^(١)، والآخر الذي قال فيه: ((ما أقلت الغبراء ولا أضلّت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(٢).

وذاك الذي قال فيه: ((صبراً يا آل ياسر فأن موعدكم الجنة))^(٣)، وقال: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح^(٤) من لبن))^(٥)، وأنظر إلى هؤلاء الثلاثة الكبار العظام كيف نكل بهم ابن عفان،

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٤ / ٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٧٠ ح ٥٣.

(٣) المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٤) ضياح: أي لبن خائر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضيح.

(٥) ورد الحديث باختلاف يسير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار:

فمنهم قتله جوعاً وعطشاً في الفلاة الغبراء وحيداً كأبي ذر سلام الله عليه، الذي قال فيه أكرم المرسلين: ((ستموت وحدك، وستحشر أمة وحدك))^(١).

ومن قتله بتحطيم أضلاع صدره كالشهيد عبد الله بن مسعود، وأما عماراً فلقد ضربه حتى أحدث به الفتق^(٢)، ظلماً وعدواناً^(٣)، ولكن منيته أجلت حتى يتحقق قول الرسول الكريم بأنه يقتل على يد الفئة الباغية، تلك الفئة التي كانت تحت قيادة الملحد ابن هند معاوية ابن عم عثمان بن عفان.

أما أبي ذر الصحابي العظيم الشأن، الجليل القدر، الرفيع المكان، فمن لا يعرف منزلته من الله ورسوله، وقد مر بك حديث النبي صلوات الرحمن عليه عنه، أذ قال: ((ستموت وحدك، وستحشر أمة وحدك))^(٤)، فقد ذاق ما هو أمر من طعم العلقم، وألم أكبر من حز الشفار^(٥) بسبب عثمان وجلالته، وجلاديه.

وأخيراً مات وحيداً في الفلاة القاحلة، ليس حوله إلا إمراة مهیضة الجناح^(٦)، مفطرة القلب، وغلّام أنهكته متاعب الغربة والاضطهاد والحرمان، وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة طلب إلى المنهوكه القوى زوجته والمحطم القلب غلامه: (أني اذا جائني الأجل فغسلاني بما يتسير لكم من الماء، وكفّناني

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. الخصال: ١٨٣ ح ٢٤٩.

(٢) الفتق: أي هو علة ونتوء في البطن. الصحاح: ١٥٣٩/٤ مادة فتق.

(٣) أنظر المسترشد: ٢٢٢. وصول الأخبار إلى أصول الأخبار: ٧٧.

(٤) ورد الحديث باختلاف يسير. الخصال: ١٨٣ ح ٢٤٩.

(٥) حز الشفار: أي حد السيف ونحوه. أنظر الصحاح: ٧٠١/٢ مادة شفر.

(٦) مهیضة الجناح: أي مكسورة الجناح مرة بعد الأخرى. أنظر العين: ٤/ ٦٩ مادة هيض.

بشايبي، ثم ضعا جنازتي على قارعة الطريق، وقولوا لأول ركب يمر بكم هذه جنازة حبيب رسول الله ﷺ.

هذه جنازة أبي ذر الغفاري جندب بن جنادة فأعينونا على دفنه).

سبحانك يا لا إله إلا أنت تبدء كل شيء والمعاد اليك، وسبحانك حين أنزلت على عبدك ورسولك وحبيبك محمد ﷺ: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^(١)، ثم يضيف أبا ذر لأهله قائلاً: (أجل لقد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ بأنني أموت في هذه الفلاة غريباً، ويتولى تجهيزي ودفني عصابة من المؤمنين).

وبعد أن فارق الحياة منتقلاً إلى مثوى الصديقين والشهداء والصالحين، وضعت زوجته جنازته على قارعة الطريق، وإذا بركب من العراق وعلى رأسهم الشهيد الشهيد الصحابي العظيم الآخر عبد الله بن مسعود في طريقهم إلى العمرة، فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق، وقد كادت الإبل أن تطأها فقام إليهم غلامه، وقال: (يا مسلمون، يا مؤمنون، هذه جنازة أبي ذر الغفاري حبيب رسول الله، قتله عثمان مظلوماً، فأعينونا على دفنه).

الله أكبر، والمعاد إليك سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك في الملك، فأنهمل صاحبه عبد الله بن مسعود باكياً، وقال: رحمك الله يا صاحب محمد بن عبد الله ﷺ رحمك الله يا أباذر.

لقد صدق حببي وحبيبي خاتم المرسلين ﷺ حين قال: ((ستموت وحدك، وستحشر أمة وحدك))، ثم تعاونوا جميعاً على العويل والبكاء والاهات والزفرات وحفروا له حفرة، وهلوا التراب عليه، وأقاموا الصلاة، وقرأوا الفاتحة على قبره الطاهر^(١).

رحم الله أبا ذر وأخذ الذين عذبوه، وإضطهدوه، وظلموه بظلمهم، وسيفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون.

(١) أنظر المغازي: ٢ / ١٠٠١، السيرة النبوية لابن هشام: ٤ / ٩٥١، تاريخ الأمم والملوك: ٢ / ٣٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٤٤، البداية والنهاية: ٥ / ١٢، السيرة النبوية لابن كثير: ٤ / ١٥، إمتاع الأسماع: ١٤ / ٣٦.

وقفه حساب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

سبحان الله ألم يكن ابن عفان من الطبقة الأولى ورجالها الذين نطقوا
بالشهادتين، أذن فلماذا كل هذا الحقد والتحامل الملتهب على خلص
أصحاب رسول الله.

ألم يسمع ابن عفان قبل غيره من النبي الأقدس ما قاله في أصحابه الذين
وصلتنا أحاديث النبي فيهم بما في معنى قول النبي ﷺ: ((ما أقلت الغبراء ولا
أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(٢)، وبنفس أسمع قول
عثمان فيه: (إفتوني في هذا الشيخ الكذاب)^(٣).

والمزيد سيأتيك في موضوع بحث هذا الصحابي الكبير بعد صفحات،
ولكن ألم يكن ذلك من ابن عفان وهو من دون سائر المسلمين تحدياً صارخاً
متعمداً على صاحب الرسالة الذي قال فيه تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ
هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٤)، وهذا هو قول من الله جل جلاله، وأني لأشهد الله

(١) سورة القصص ٢٨: ٥٦.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٣ ح ٧٠.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. الفتوح: ٢ / ٣٧٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ /

٥٦.

(٤) سورة النجم ٥٣: ٣-٤.

والملائكة والناس أن تحدي ابن عفان للنبي وتسميته لأبي ذر بالشيخ الكذاب، بعد أن وصفه النبي الأقدس بقوله: ((ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(١).

بسبب التنكر للقيم السماوية، والأحاديث النبوية بمستوى لا يقل ضراوة عما إقتحمه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس الذي طرده النبي إلى الطائف، وقال: ((والله لا يساكني هذا اللعين في بلد أبداً))^(٢).

ثم أشهد الله والملائكة والناس أن ابن عفان لو كان قد قال مقالته هذه والرسول الأعظم على قيد الحياة لطرده من المدينة، ونفاه حيث نفى عمه الحكم بن أبي العاص، لانني أقطع القول بأن التحدين أي تحدي ابن عفان على وحي الله، وتحدي ابن أبي العاص متساويان في البغي والعدوان على الله وعلى رسوله، وسينال الأثم والمروق كل من اللذان وثبوا على الله كذباً، وسيقفون في يوم لا يحكم فيه غير رب العالمين، ولا يشفع هنالك غير خاتم المرسلين وآله الطاهرين عليهم صلوات الرحمن أجمعين، والويل يؤمئذ للباغين المتجبرين، فبذلك قال تعالى: ﴿يُصْرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئذٍ بَنِيهِ وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كُلًّا إِنَّهَا لَطَى نَزَاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ

(١) أمالي الطوسي: ٥٣ ح ٧٠.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/٣.

فَأَوْعَى^(١)، فأين يذهبون وأنى يؤفكون، ولكل نبأ مستقر سوف يعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، وإن لجهنم محطة بالكافرين^(٢).

وأني لسائلكم بالله يا منصفون، بل وحتى المتحزبون لعثمان، أكانت جناية من الشهيد عبد الله بن مسعود أن يدفن هذا المسلم العظيم الشأن، العزيز عند الله، والعزيز عند رسوله، وجنازته في الفلاة الموحشة، وعلى قارعة طريق القوافل ليس معها إلا إمراة أحنى ظهرها البأس، وحطمت نفسها الغربة والوحشة، وأنهكها الظلم والجور والحرمان، وغلام يافع لا يزال على عتبة الطريق لا يدري ماذا يصنع وأعز خلق الله عليه مسجى أمامه لا يدري كيف يغسله ويجهزه، ويحفر له قبره ويصلي عليه.

وهو وحيداً لا معين له إلا الله الذي أرسل بقدرته وسلطانه قافلة المؤمنين التي على رأسها الشهيد عبد الله بن مسعود رحمه الله ليحقق بمرورهم معجزة نية العظيم إذ سبق أن قال مخاطباً أبا ذر: ((ستموت وحدك، وستحشر أمة وحدك))، وقال: ((وسيتولى تجهيزك ودفنك عصبة من المؤمنين)).

فيا له من حديث يقشعر منه بدن المؤمن، وتخر له الصلدة^(٣) الصلب فسلام على خاتم المرسلين والرف صلاة من رب كريم والرف سلام من الله

(١) سورة الماعارج ٧٠: ١١-١٨.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، سورة التوبة ٩: ٤٩.

(٣) الصلدة: الحجارة. أنظر العين: ٧ / ٩٩ مادة صلدة.

عليك يا ابا ذر جندب ابن جنادة وطوبى لك حين التحقت بمثوى الصالحين والشهداء والصديقين وويل لثانئك ومضطهديك ومحاريبك وقاتليك^(١).

الطعن الرابع عشر: فما أعسر مهمة المؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر الذي يقدم على تدوين هذه المأسي، وهذه المناكير التي تدمي القلوب والعيون، وعلى الأخص إنها صدرت من أناس عاصروا النبي الأكرم، وسمعوا منه، وشاهدوا أعماله وأفعاله.

لكن ماذا يصنع المؤرخ المسلم المؤمن وبين يديه حوادث يندى لها الجبين؛ فكلها خزي، وكلها عار، وكلها آثام سيفصل الله فيها يوم القيمة، وهو أحكم الحاكمين، فسبحان الله عما يصفون^(٢).

فأبا ذر وما أدراك من أبا ذر، إنه والله قطعة من قطع الجنة، وتحفة من تحفها، ولؤلؤة من لألئها، وأبا ذر أن سألت عنه فهو صاحب خاتم الأنبياء، ومن الصق الناس به، وأسمعهم منه، وأطوعهم إليه، وكان منه كظله لنفسه، وفي بطون الكتب تجدد عنه الشيء الكثير، والشيء العجيب لكن لا عجب بأن ترى ما يذهل العقل من الحواريين الذين تطوعوا لنصرة الله، وحباهم ربهم بكرامته، فكانوا أحباره وأنصاره.

(١) أنظر المغازي: ٢/ ١٠٠١، السيرة النبوية لابن هشام: ٤/ ٩٥١، تاريخ الأمم والملوك: ٢/ ٣٧١، الخصال: ١٨٣-٢٤٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/ ٤٤، البداية والنهاية: ٥/ ١٢، السيرة النبوية لابن كثير: ٤/ ١٥، إمتاع الأسماع: ١٤/ ٣٦.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾، سورة الصافات: ٣٧.

وأبي ذر أن كررت السؤال عنه، فهو صاحب قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾^(١)، فكان ينادي بها ليلاً وينادي بها نهاراً، وينادي بها سراً وينادي بها إعلاناً، وينادي بها حيث يقيم وحيث يرحل، وحيث ينفي وحيث يبعد، فهو عن ذكرها لا يبعد.

وسأثقه الذي يسوقه إلى كل ذلك حب الله، ومرضاة الله، وطاعة الله، وتقواه؛ ليحرض فيها الناس على الإنفاق في سبيل الله، ذلك الإنفاق الكريم الذي رفع مقامه فيه العلي القدير في محكم كتابه العزيز فسماه قرضاً، فقال عز من قال: ﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

ويكثر أبا ذر من ذكر هذه الآية الكريمة، ليرجو إرجاع المتغطرين الممثلين سحتاً وحراماً إلى جادة الله وسواء السبيل، فأن استقروا بأمر الله فكان بها، وأن أبوا فأنها التحريض على حربهم والوقوف في وجههم حتى يأتوا طائعين صاغرين^(٣).

(١) سورة التوبة ٩: ٣٤ - ٣٥.

(٢) سورة التغابن ٦٤: ١٧.

(٣) أنظر صحيح مسلم: ٣/ ٧٧، مجمع البيان: ٥/ ٤٨، الدر المنثور: ٣/ ٢٣٣.

ولما كان ابن عفان وبني أبيه من طغام^(١) أمية الكفر وهم في طليعة أولئك الذين امتلئوا سحتاً وحراماً، واكتنزوا ما شاء لهم أن يكتنزوا من أموال الأراامل واليتامى والمساكين، ويقول قائلهم وخليفتهم لخازن بيت مال المسلمين الشهيد عبد الله بن مسعود: (إنما انت خازن لنا)^(٢)، ثم يقول الآخر من عشيرته وحزبه: (إنما السواد بستان لقريش، تأخذ منه ماشاءت وترك ماشاءت)^(٣).

وأمثال ذلك كثير، لذلك فإنهم كانوا أول الناس تبرماً^(٤) بداعية الإصلاح أبي ذر رضي الله عنه، لأنهم وجدوا في دعوته البارود الذي سيفجر ما دفن في الصدور، ويحرق الأمة على رؤوسهم من حيث يشعرون ولا يشعرون.

لذلك وحدوا صفوفهم، وجمعوا كلمتهم، وأحزموا أمرهم؛ ليسكتوا لسانه، ويقطعوا عن الناس بيانه، ويضطهدوه ما وسعهم الإضطهاد، وينكلوا به ما وسعهم التنكيل، ولكن الشهيد العظيم والعلاق الرهيب أبا ذر وقف كسيده وأستاذه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أمام زخوفهم وجبروتهم كالجيل لا تزحزحه العواصف، ولا تزيله القواصف، والموت موقوت على الإنسان ومكتوب عليه، ومعقود بناصيته، فهجر الجبن ومنع الخوف.

(١) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٤ / ٣٨٩ مادة طغم. الصحاح: ٥ / ١٩٧٥ مادة طغم.

(٢) أمالي المفيد: ٧٠ ح ٥، بحار الأنوار: ٣١ / ٢٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٢١.

(٤) تبرماً: أي الملل والضجر منه. أنظر الصحاح: ٥ / ١٨٦٩ مادة برم.

فهذا أصبح العملاق الشهيد وسط معركة ضارية، ولكنها غير متكافئة، فهو يهاجم من اليمين والفئة الباغية المستقلة تدافع عن مصالحها وطغيانها استهتارها من اليسار، وما اوسع المسافة بين أهل اليمين وأهل اليسار عند الله يوم القيمة.

وأبي ذر كما قلت وقف كالجبل لا تزعزعه العواصف، ولا تزيله القواصف مهما كان في اليسار من قوى وتجبر وطغيان، وما الذي يخيفه وهو الذي امتلأ عقله وقلبه ونفسه ولسانه بكلمة أكرم المرسلين وخاتم النبيين ﷺ: ((ستموت وحدك، وستحشر أمة وحدك))^(١).

وأي ظفر يمكن أن يكسبه أبا ذر أكثر من هذا الذي أوعده به الذي لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى^(٢).

أذن ما الذي يخيف أبا ذر من هذه الطغام^(٣) التي كتب عليها الموت، وهي تبوء بطغيانها برجل هو عند الله أمة كاملة يحشره وحده، لترى الخلائق صبره وجهاده في الله ومنزلته عنده ومكانته لديه.

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. الخصال: ١٨٣ ح ٢٤٩.

(٢) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، سورة النجم ٥٣:

٣-٤.

(٣) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٣٨٩ / ٤ مادة طغم. الصحاح: ١٩٧٥ / ٥ مادة طغم.

سيرة جهاده العظيم

بين مقولته ودعوته وهو الخليفة الثالث الجالس على منبر الرسول الأعظم، والعامل بغير سنته، وغير سيرته، وغير ما أمر الله به فنفى أبا ذر الغفاري إلى مارد أموي آخر من مردته، وهو ابن آكله الأكباد معاوية الذي إستطاع أن يوطد سلطاناً قوياً في الشام طوال السنين التي عهد بالحكم له فيها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

فلما لاحظ أبا ذر الشر المستطير الذي بدء وميضه يتصاعد، ودخانه يخيم على الصدور منذ تولى ابن عفان إدارة شؤون المسلمين، وصار يعمل فيهم خلافاً لسنة الشيخين اللذين سبقاه، وخروجاً على سنة رسول الله ﷺ من طغيان على المؤمنين، واحتكار لمجلس السلطان بغير عدل، ونصرة بغير إنصاف، وبدء الوضع العام يتدحرج سراعاً وسط إعصار رهيب.

فأنه رحمه الله شمر ساعديه، وأعلنها حرباً مكشوفة ضارية على المتجبرين، والمستغلين، والمستهترين، بينما ابن الخطاب يقول في ما أبرمه من شورى: (إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتدابرتم وتباغضتم، غلبكم على هذا الامر معاوية بن أبي سفيان)^(١)، فهذه الكلمة من الخليفة عمر وهو الرجل المعروف بالغلظة وشدة البأس وقوة الشكيمة والفراصة والفتنة، فكانت منطلقاً لابن أبي سفيان أن

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١ / ١٨٧.

يتجاوز حدودهم ويتعدى مقداره الذي لا يتجاوز ما قيل في هذا الصعلوك من اللعن على لسان أكرم المرسلين ﷺ^(١).

لكن عمر بن الخطاب كان يسميه: كسرى العرب^(٢)، وأصبح يتسامى على نفس النبي وأخاه ووصيه وابن عمه وصهره، ومن ثم فهو الخليفة الحق على أمة محمد بأجماع لم يوفق إليه خليفة قبله ولا بعده.

أقول: لقد نفى ابن عفان هذا الصحابي الكبير، والمسلم الجليل، الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، بعد أن ضاق به ذرعاً في المدينة إلى زميل له وابن عمه معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بالشام، ولما وصلها حاول هذا الفاجر الماكر أن يأخذه باللين ويخصص له بعض العطاء.

فأما اللين فقد أتخذ منه أبا ذر وسيلة لإعلان دعوته ونشر مقالته بين الناس، فيقرأ عليهم تلك الآيات الكريمة في مناسبة وغير مناسبة، جموعاً وافراداً، وأما العطاء الذي جاءه من معاوية فما أسرع ما وزعه على فقراء الناس فجاءت المؤشرات إلى معاوية من أبي ذر تنذره وتبشره بان مصير حكومته منتهى أن هو لم يتدارك الأمر، لانه نبه الازدهان إلى سياسة القرآن، وسياسة رسول القرآن، وذكرهم بأن في أموال الأغنياء المستهترين المستغلين حق معلوم للسائل والمحروم^(٣).

(١) أنظر تهذيب الأحكام: ٢/ ١٠٩ ح ٤١١، منتهى المطلب: ٥/ ٢٦٥، السنن الكبرى للبيهقي: ٢/ ٢٠٧.

(٢) أنظر الاستيعاب: ٣/ ١٤١٧، أسد الغابة: ٤/ ٣٨٦.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾، سورة الذاريان ٥١: ١٩.

وهذا الكلام يعني أن في الشام قد إنبعثت الروح المسلمة التي سبق أن ذاق الناس حلاوتها على عهد أكرم المرسلين؛ فلاحت لابن آكله الأكباد إن وجود أبي ذر الذي أصبح منبراً لإعلان الحق الذي يحاول الحاكمون الطغام طمس آثاره ومحوه من صفحة الوجود

فبانت أشباح الموت، وأمارات الخوف على السلطان الذي بات متوقفاً أن ينهار إلى غير رجعة أمام هذه الدعوة المحمدية العملاقة المحببة إلى قلوب الناس، وخاصة جمهور الفقراء منهم، وإن معنى إستمرار وجوده في الشام ودأبه على دعوته المدوية هذه إنما هو إشعال نار الثورة على الظلم في الشام وهدم كل ما بناه كسرى العرب من سلطان قائم على المكر، والباطيل، والخذاع؛ فأضطر هذا الصعلوك راغماً بعد مشاورة بني أبيه وعمومته من آل أمية الكفر أن يكتب لعثمان بخطورة الوضع الناجم من أبي ذر ودعوته ومقاتلته، وبمجرد ما أن وصل كتاب هذا الدعي إلى ابن عفان وسكرتيه المجرم مروان بن الحكم أمر معاوية أن يعيده إلى المدينة على أغلظ مركب، وأخشنه، وأوعره.

نعم على أغلظ مركب، وأخشنه، وأوعره، وما الذي يضير ابن آكلة الأكباد وابن عفان من إقتحام هذه الجريمة النكراء، وهو الذي قتل حجراً واصحابه^(١)، وقد عرفت مقدار حقه على رسول الله وأهل بيته، والمؤمنين الصابرين من أصحابه، ثم أي سبب يدعوه لمجاملة أبي ذر وهو مفارقة إلى غير

(١) أنظر إختيار معرفة الرجال: ١/ ٣٢٠، رجال ابن داود: ٧٠، نقد الرجال: ١/ ٤٠٤. جامع الرواة: ١/ ١٨٠، الدرجات الرفيعة: ٤٢٣.

رجعة، وفي طريقه إلى المدينة حيث ينتظره ابن عفان بشقاء ما بعده شقاء، وإعتداء ما بعده إعتداء.

على هذا النحو رجع المجاهد العظيم، والصحابي الجليل إلى المدينة حتى صارت الدماء تسيل من أفخذه لأن الجلادون الأمويون الذي رافقوه احسنوا واحكموا تطبيق أمر عثمانهم في حمل هذا المجاهد الصادق الأمين على أغلظ مركب، وأخشنه، وأوعره، فجعلوه على جمل خالٍ من جهازه، وعارٍ عن كل ما يريح رأكبه، مضافاً إلى ذلك فقد حثوا الخطى في سيره دون رحمة ولا مهلة ولا راحة فقد كان يطوي ليله بنهاره حتى وصل المدينة محطم القوى مهشم الاوصال، والدماء تسيل من أفخذه التي شواها وسلقها الاحتكاك، وبعين الله يصنعون، وبعين الله ما يظلمون، والعاقبة للمتقين^(١).

درع المجاهد أبا ذر لجماهير أهل الشام

وقبل أن يترك أبا ذر مدينة الشام، وحراب الجلادون الامويون تحيطه خطب الجماهير وقال: (يا معاشر المسلمون، والله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقاً يطفأ وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذباً، وأثرة بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه).

فأرتاع المتغطرسون المستغلون من هذه الصرخة الأخيرة، فأسرعوا الخطى إلى زعيمهم الكبير ابن آكله الأكباد، وعلى رأسهم حبيب بن مسلمة الفهري، وحين واجهوه قالوا له: أن أبا ذر قد الهب الصدور عليكم، وإنه لمفسد أهل

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٢ / ٣.

الشام أن لم تعجلوا بإرساله إلى المدينة فستعجلون أنتم، ولكن الله من ورائهم رقيب ومحيط^(١).

أبا ذر ومواجهة خصمه عثمان

أبا ذر رضي الله عنه يصل المدينة، ويواجه خصمه الأول ابن عفان، ولما دخل أبا ذر على ابن عفان وهو منهوك القوى جرت بينها المحادثة الآتية التي نقلتها عن شرح النهج لابن أبي الحديد في باب الطعون التي طعن بها عثمان بن عفان:

قال ابن عفان لأبي ذر: (اين تريد أن أنفيك؟

فأجابه المجاهد العظيم والمحمدي الرهيب: أرض الله واسعة، ورحمته أوسع.

قال ابن عفان: أذن أسيرك إلى الربرة^(٢) حتى تموت هناك وحدك، ولا أنعم الله بك عينا يا جنيدب.

قال المجاهد المحمدي الرهيب: بل أنا جنذب بن جنادة، وقد سماني رسول الله ﷺ عبد الله، وأخذت بهذا الاسم لأنه أحب إلي من اسمي الأول.

قال ابن عفان: أنت الذي تزعم إنا نقول أن يد الله مغلولة، وإن الله فقير ونحن أغنياء؟

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٥ / ٣.

(٢) الربرة: من قرى المدينة على طريق الحجاز. أنظر معجم البلدان: ٢٤ / ٣.

قال المجاهد الحمدي الرهيب: يا عثمان، لو كنتم لا تزعمون ذلك لأنفقتم مال الله على عباده، ولكنني أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إذا بلغ بنوا العاص ثلاثين رجلاً جعلوا عباد الله خولا ودين الله دخلاً)).

فقال ابن عفان للحاضرين: اسمعتموها من رسول الله؟

فقالوا على سليقتهم ونفاقهم والناس يدورون مع الدنيا حيثما دارت معائشهم فأذا محصوا بالبلاء قل الديانون^(١).

ابن عفان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على نبي الله؟

وابن عفان حين قال كلامه هذا للصادق المصدق أبي ذر الذي كان أول من سمع قول النبي من أصحابه، إلتفت أبو ذر إلى الحاضرين، وقال: أما تظنونني إني صدقت؟

قال الحاضرون: لا والله ماندري.

فقال عثمان: أدعوا لي علياً^(٢).

(١) إشارة إلى قول الإمام الحسين عليه السلام: ((الناس عبيد المال، والدين لغو على ألسنتهم، يحوطونه ما درت به معائشهم، فإذا محصوا للابتلاء قل الديانون))، بحار الأنوار: ٤٤/ ١٩٥ ح ٩.

(٢) كان عمر إذا احتاج الإمام في حل معضلة يمشي إليه، ولا يبعث وراءه، ويقول: (المستشار يؤتى إليه ولا يأتي)، ولكن غباوة ابن عفان التي قتلتها لا تقيم لهذه الأمور وزناً، [مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ٣١١]، من المؤلف.

فدعى أمير المؤمنين عليه السلام، ولما حضر قال ابن عفان لأبي ذر: أقصص عليه حديثك في بني أبي العاص؛ فحدثه.

فقال عثمان لعلي عليه السلام: هل سمعت هذا من رسول الله؟
قال: لا، وقد صدق أبا ذر.

قال ابن عفان لأمير المؤمنين عليه السلام: بما عرقت صدقه يا علي؟

قال عليه السلام: لن يكذب أبا ذر، وقد قال رسول الله ﷺ فيه: ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر^(١).

أذن ما يكون لأحد من الناس أن يكذب أبا ذر، فهذا قول صاحب الوحي والتزيل فيه ﷺ، فتجد أصحاب رسول الله ﷺ يخلفون مقاتلهم الأولى بتكذيب أبا ذر بعدما سمعوه من أمير المؤمنين عليه السلام.

وأني لأرى أن تسميتهم أصحاب رسول الله ﷺ في الحق حرام؛ لأنه ﷺ يبرأ إلى الله منهم، وقد كذبوا على الله وعليه ثم نافقوا إذ خافوا الخليفة أكثر من خوفهم الله، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(٢)، ويقول: ﴿الْيَوْمَ يَنْسَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾^(٣).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٥ / ٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٥٠.

(٣) سورة المائدة ٥: ٣.

وقد بدلوا شهادتهم الأولى عند حضور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وبعدهما سمعوه منه بحق أبي ذر، أذ قاموا جميعاً، وقالوا: (لقد صدق أبا ذر بعد أن قالوا للخليفة قبل حضور علي: والله لا ندرى).

فقال المجاهد الحمدي المرعب: أحدثكم أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ثم تهموني فما كنت أظن أن أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب رسول الله ﷺ ^(١).

وقد ورد أيضاً رواية ويالها من رواية عظيمة، وهي رواية الواقدي رحمته، فلنسمعها:

يقول الواقدي في إسناده عن صهبان مولى الأسلميين، قال: (رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان - وإنك لا بد قد فطنت إلى كلمة دخل به أو أدخل أي أن هذا الصحابي الرفيع المقام عند الله، وعند رسوله يدخل على ابن عفان على هيئة أسير عثمان أو سجين فلم يكن بحريته ومل إرادته - فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت).

فقال له أبا ذر: نصحتك فأستغششتني، ونصحت صاحبك فأستغشني ^(٢).

فقال عثمان: كذبت، ولكنك تريد الفتنة وتحبها، قد أنغلت ^(٣) الشام علينا.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٦ / ٣.

(٢) يقصد بكلامه هذا ابن آكلة الأكباد، من المؤلف.

(٣) أنغلت: أي أفسدت. أنظر الصحاح: ١٨٣٢ / ٥ مادة نغل.

فقال له أبو ذر: أتبع سنة صاحبك، لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال له العبقري ابن عفان: مالك وذلك لا أم لك؟

قال المجاهد العظيم أبا ذر: ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فغضب العبقري الفيلسوف ابن عفان، وإلتفت إلى الحاضرين، وقال: أشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب^(١).

فأما أنا المؤلف فهذا قسمي بالذي فلق الحبة وبرأ النسمة، أن كل حرف من كلام ابن عفان هذا سيكون يوم القامة الويل عليه بوزناً أثقل من جبل أحد على رأسه، وسيندم حيث لا ينفعه الندم، وكيف بهم إذا دعاهم الله وهو الشهيد عليهم.

والشهيد على ابن عفان ومقالته في ذلك الموقف العسير هو الذي قال في أبي ذر: ((ما أقلت الغبراء ولا أضلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر))^(٢)، فأى قيمة لهذا الكلام الذي جاء به النبي ﷺ، وأما ابن عفان هو الذي أرجع طرداء النبي، وأغدق^(٣) عليهم الأموال وسلطهم على رقاب

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٦ / ٣.

(٢) أمالي الطوسي: ٥٣ ح ٧٠.

(٣) أغدق: أي أعطى الكثير. أنظر الصحاح: ٤ / ١٥٣٦ مادة غدق.

المسلمين، ويقولون: (إنما السواد بستان لقريش، تأخذ منه ماشاءت وترك ماشاءت)^(١).

والسواد أرض العراق، ثم يصلون في الناس وهم سكارى حتى يتقيئون خمرتهم في المحارب^(٢).

فنرجع إلى رواية الواقدي وتحديدًا إلى أمير المؤمنين وسيد الوصيين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين لنقول: (نهض البطل الغالب علي بن أبي طالب صلوات الرحمن عليه، وقال لابن عفان: ((أشير عليك بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَأَنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾^(٣))).

فأجابه ابن عفان بجواب ترفع ابن أبي الحديد عن ذكره لدنائه ونجاسته، وأجابه أمير المؤمنين بجواب محمدي يقطع الرقاب^(٤)، ولكنه في صميم الأداب، وكيف لا وهو نفسه عليه صلوات الرحمن الذي أدب أصحابه يوم صفين بأدبه الرفيع، وقال لهم حين صاروا يسبون معاوية وفتته الباغية: ((إنني أكره لكم أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر، وقتلتم مكان سبكم إياهم.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١ / ٣.

(٢) أنظر تخریج الأحادیث والآثار: ٣ / ٣٣٢ ح ١٢٢٩.

(٣) سورة غافر ٤٠: ٢٨.

(٤) ورد الخبر باختلاف سير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٧ / ٣.

اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))^(١).

ثم كيف لا يكون أبي الحسنين كذلك وهو الذي يقول: ((أما والله لو ثببت لي الوسادة فجلست عليها، لأقنيت أهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأهل القرآن بقرآنهم، حتى ينطق كل كتاب من كتب الله فيقول: صدق علي لقد أفتاكم بما أنزل الله في))^(٢).

أنظرت إلى الجوانب المتعددة، والأهداف الكثيرة التي رمى بها جواب أمير المؤمنين عليه السلام لابن عفان، وقد لخصه بآية واحدة وهي بما قاله مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾^(٣).

وسبحان المهيمن الأعلى الذي جعل من محمد وعلي آية من آياته الكبرى للتدليل على ربوبيته، ووحدانيته، وسلطانه؛ لأن كل عمل من أعمالهما، وكل حركة من حركاتهما، وكل فعل من أفعالهما، وكل كلمة من كلماتهما كانت معجزة تذهل العقول، وتحير الفكر، وهذه واحدة من تلك المعجزات يعلنها أمير المؤمنين عليه السلام على رؤوس الأشهاد؛ فيلخص قصة أبا ذر وهو من أجل أصحاب رسول الله ﷺ مع ابن عفان وتلون الناس حولها بآية واحدة من

(١) نهج البلاغة: ٢ / ١٨٥.

(٢) الاحتجاج: ١ / ٣٨٤.

(٣) سورة غافر ٤٠: ٢٨.

كتاب الله عز وجل، فيجعل من ابن عفان وهو صاحب السلطان فرعون، ومن المجاهد العظيم والصحابي الجليل أبا ذر مؤمن آل فرعون، ومن الناس الجبناء والمتلونون الحاضرون قومهما الذين اثروا عافية السكوت على الثورة على الباطل.

إذ أنهم رغم سماعهم حديث أكرم المرسلين بحق أبا ذر سكتوا، وقد عرفوا قول النبي ﷺ: ((الساكت عن الحق شيطان أخرس))^(١)، فلولا حضور البطل الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام ومصارحة الخليفة الخارج عن الطريق، والمنحرف عن الجادة، ومواجهته بالحقيقة المرة التي تنسف كلمته للصحابة التي قالها وهي: (إفتوني في هذا الشيخ الكذاب)^(٢)، وجعلها بالقياس جنباً إلى جنب حديث الذي لا ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى^(٣)، وكشف كلامه وكيفية خروجه عن الدين، ومروقه منه، وتكديماً مكشوفاً للرسول ﷺ، وتحدياً سافراً له، إنا بالله عائدون.

وهناك مناقشة أخرى بين المجاهد العظيم أبا ذر والخليفة الأموي المتعصب عثمان، وهي:

(١) في ظلال نهج البلاغة: ٢٢٧ / ٤.

(٢) ورد الخبر باختلاف سير. الفتوح: ٣٧٥ / ٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ٥٦.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾، سورة النجم ٥٣: ٣-٤.

قام عثمان بمنع الناس من مجالسة أبا ذر، وبعد أيام أمر أن يؤتى به كما يؤتى برؤساء العصابات المخربة، وهو هو من عرفت ومن علمت، فجاءه ووقف بين يديه، ووقوف أبا ذر الجليل بين يدي عثمان كوقوف المجرمين المخربين تبعته وقفات ووقفات كوقفه حجر بن عدي أمام معاوية، وميثم التمار ورشيد الهجري أمام عبيد الله بن زياد، وما أدراك ما هذه الوقفات^(١).

وهذه الوقفات ليست بالخطورة الهائلة كالوقفه التي هزت عرش السماء، وهي وقفة العقيلة زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليها السلام وحفيدة رسول الله وحولها سبايا آل محمد عليهم السلام بين يدي الفاجر العاصي اللعين يزيد بن معاوية، والتاريخ مليء بهذه المآسي والسيئات.

ولنقرأ مادار في هذه المناقشة الأخرى بين هذا الصحابي العظيم وابن عفان:

(عثمان بدء كعاداته يهذي في زجر أبا ذر رضي الله عنه).

قال أبا ذر: ويحك يا عثمان أما رأيت بعينيك رسول الله ﷺ، ثم رأيت أبا بكر وعمر، هل رأيت هذا هديهم؟

فقال عثمان له: أخرج عنا من بلادنا^(٢).

قال أبا ذر: ما ابغض إلي جوارك، فإلى اين أخرج؟

(١) أنظر الإرشاد: ١/ ٣٢٤، مدينة المعاجز: ٣/ ١٨٨، تاريخ الكوفة: ١٠٢، الأنوار العلوية: ٤٤٦.

(٢) كأن البلاد بلاد عفان وورثها عثمان وليس لأمه محمد فيها شيء، من المؤلف.

قال عثمان: حيث شئت.

قال أبا ذر: فأخرج إلى الشام؟

عثمان: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها أفأردك إليها؟!

أبا ذر: أفأخرج إلى العراق؟

عثمان: لا.

قال أبا ذر: ولم؟

قال عثمان: تقدم على قوم أهل شبه وطعن في الأئمة.

أبا ذر: أفأخرج إلى مصر؟

عثمان: لا.

أبا ذر: فإلى أين أخرج؟

قال عثمان: البادية.

فماذا أنت صانع الآن يابن عفان، ألم تعلم أن النار حرها شديد،
وقعرها بعيد، شرابها صديد^(١)، حليتها حديد^(٢).

(١) صديد: أي الدم المختلط بالقبح من الجرح. العين: ٨٠/٧ مادة صد.

(٢) إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((أعملوا ليوم تذخر له الذخائر، وتبلى فيه السرائر، ومن لا ينفعه حاضر لبه فعازبه عنه أعجز، وغائبه اعوز، واتقوا ناراً حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليتها حديد، وشرابها صديد...))، نهج البلاغة: ٢٣٣ / ١.

قال أبا ذر: فهو أذن التعرب^(١).

قال عثمان: نعم، تأخذ الصحراء حتى يكون مقرك الربذة^(٢).

أجل يا عثمان تطرد أبا ذر إلى أعماق الصحراء، وترجع الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس من بلد مغمور وهو الطائف إلى العاصمة المدينة، وهو طريد النبي ﷺ^(٣).

أذن فانتظر حكم الله فيك فهو قسمكم بينكم وهو ما كنتم فيه تختلفون، وانتظروا وإنا معكم منتظرون، ولا ينفعكم إذ تدمون والعاقبة للمتقين.

وروى الواقدي، عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة أن أبا الأسود الدؤلي، قال: (كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فقصدته وحين إجمعت به في ذلك المحيط الكئيب قلت له: ألا تخبرني أخرجت من المدينة طائعا أم خرجت منها مكرها؟

فقد كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم، فأخرجت إلى مدينة رسول الله ﷺ، فقلت: أصحابي ودار هجرتي، فأخرجت منها إلى ماترى، ثم قال أبي ذر: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد إذ مر بي رسول الله ﷺ فضربني برجله، وقال: ((مالي اراك نائماً في المسجد؟

(١) أي الإقامة بالبادية بعد الهجرة مع رسول الله ﷺ والجهاد معه، من المؤلف.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٧/٣.

(٣) أنظر المسترشد: ٤٢٦، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩٦، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٨٢/٣، إرشاد القلوب: ٣٢١/٢، الصراط المستقيم: ٣١/٣، بحار الأنوار: ١٧٢/٣١.

فقلت: بأبي وأمي غلبتني عيني فنمت فيه.

فقال خاتم النبيين ﷺ: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

فقلت: إذن الحق بالشام، فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الإسلام، وأرض الجهاد.

قال النبي ﷺ: فكيف تصنع إذا أخرجت منها؟

فقلت: أرجع إلى المسجد.

قال النبي ﷺ: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

فقلت: إذن أخذ سيفي وأضرب به.

فقال النبي ﷺ: ألا أدلك على خير من ذلك؟

أنسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع)).

فقلت: فسمعت وأطعت، وأنا أسمع وأطيع، والله ليلقين الله عثماناً وهو أثم في جنبي^(١).

وهذا قسم من صادق اللهجة أبا ذر رحمه الله يصف مدى خطورة الآثام التي حملها معه ابن عفان ليواجه بها أحكم الحاكمين سبحانه يوم القيمة يوم، وهو اليوم الذي فيه المجرم لا يفتدى للخلاص من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبه وأخيه وما في الأرض جميعاً كي ينجيهِ.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٧ / ٣.

وما اظلم موقفه يوم القيامة من كان خصمه ضعفاء، بينما يصدق الأموال على أمة الكفر الظالمين فبئس ما للظالمين من بدلا.

أبا ذر يودع دار هجرته إلى حيث منفاه

أما ابن عفان فقد منع الناس من توديع أبا ذر رضي الله عنه، ولكن هذا المنع ما كان ليقف في وجه نفس الرسول وأخاه علياً عليه السلام، فنهض بأبي وأمي ومعه سبطا رسول الله ﷺ، والمقربون المقربون من أصحابه الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، والذين إشتاقت لهم الجنة، كما قال رسول الله ﷺ في مناسبات كثيرة، كالمقداد وسلمان وعمار ورفاقهم رحمهم الله جميعاً وطوبى لهم.

مشى هذا الزاهد الكريم لتوديع المجاهد المؤمن اباذر وقال: ((يا أبا ذر إنك إنما غضبت لله عز وجل فارح من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فارحلوك عن الفناء وامتنحوك بالبلاء والله لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله عز وجل جعل له منها مخرجاً فلا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل.

ثم تكلم عقيل فقال: يا أبا ذر أنت تعلم أنا نحبك ونحن نعلم أنك تحبنا، وأنت قد حفظت فينا ما ضيع الناس إلا القليل فتوابك على الله عز وجل ولذلك أخرجك المخرجون وسيرك المسكرون فتوابك على الله عز وجل فاتق الله واعلم أن استعفاءك البلاء من الجزع واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

ثم تكلم الحسن عليه السلام فقال: يا عماء إن القوم قد أتوا إليك ما قد ترى وإن الله عز وجل بالمنظر الاعلى فدع عنك ذكر الدنيا بذكر فراقها وشدة ما يرد عليك لرشاء ما بعدها واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وسلم وهو عنك راض إن شاء الله.

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال: يا عماء إن الله تبارك وتعالى قادر أن يغير ما ترى وهو كل يوم في شأن إن القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عما منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصبر فإن الخير في الصبر والصبر من الكرم ودع الجزع فإن الجزع لا يغنيك.

ثم تكلم عمار فقال: يا أبا ذر أوحش الله من أوحشك وأخاف من أخافك إنه والله ما منع الناس أن يقولوا الحق إلا الركون إلى الدنيا والحب لها، ألا إنما الطاعة مع الجماعة والملك لمن غلب وإن هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها ووهبوا لهم دينهم فخرسوا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ثم تكلم أبو ذر فقال: عليكم السلام ورحمة الله وبركاته بأبي وأمي هذه الوجوه فياني إذا رأيتمكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بكم ومالي بالمدينة شجن، لأسكن غيركم وإنه ثقل على عثمان جوارى بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام فألى أن يسيرني إلى بلدة فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة فزعم أنه يخاف أن أفسد على أخيه الناس بالكوفة وآلى بالله ليسيرني إلى بلدة لا أرى فيها أنيسا

ولا أسمع بها حسيماً، وإني والله ما أريد إلا الله عز وجل صاحباً وما لي مع الله وحشة، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين^(١).

وكانت تلك أوسمة المطهرين من الرجس تطهيرا التي حملها صدر أبا ذر^(٢).

الطعن الخامس عشر: قال رسول الله ﷺ: ((نزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شاف كاف))^(٣)، أي سبع قراءة، وعثمان تحدى رسول الله في هذا الأمر كما تحداه في أمور أخرى كثيرة، فأحرق المصاحف كلها إلا مصحف زيد بن ثابت^(٤).

ولو كان فعل عثمان هذا جائزا لأمر به رسول فهو القرآن الذي أنزل عليه ﷺ، أو لعمله الشيخين من بعده، ولكن عثمان بن عفان ما كان ليتخرج من مخالفة الرسول، والسنة، والكتاب، فهذا ليس إلا استخفافاً بالدين.

الطعن السادس عشر: وما أعظم المصيبة التي أحتواها هذا الطعن، وهي المصيبة المذهلة التي تجسدت في ضرب حبيب رسول الله الثاني عمار بن ياسر، وإحداث الفتق^(٥) فيه، وقبل أن أبدء بحث عدوان ابن عفان على القيم

(١) الكافي: ٨ / ٢٠٧ ح ٢٥١.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٨ / ٢٥٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤ / ٤٦.

(٤) أنظر الرياض النضرة: ٣ / ٨٧.

(٥) الفتق: أي هو علة وتواء في البطن. الصحاح: ٤ / ١٥٣٩ مادة فتق.

المحمدية الرفيعة في هذا الحقل أو في هذا الطعن عليه، أقدم لأكرم المرسلين وخاتم النبيين ﷺ بحق عمار بن ياسر ثلاث أحاديث وهي:

الاول: حين كان ياسر وسميه أبا وأم عماراً، وعماراً نفسه يتجرع صبراً تحت طائلة التعذيب الذي تعود المشركون وعلى رأسهم أبا لهب، وأبا جهل، وأبا سفيان ومن ضلع في ركابهم ممارسته في كل من هداه قلبه للإيمان برسالة التوحيد، ونبي التوحيد، وكتاب الله.

فقال رسول الله ﷺ فيهم: ((صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))^(١).

الثاني: ومراراً وعلى رؤوس الأشهاد قال لعمار: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح^(٢) من لبن))^(٣)، وستأتيك أحاديث أخرى للنبي فيه ستجدها في سلسلة هذا الموضوع.

الثالث: قوله ﷺ: ((مالكم وعمار فقد امتلأ جسمه إيماناً من قمة رأسه إلى أخمص^(٤) قدميه))^(٥)، فمن هذه الأحاديث المقدسة وغيرها يمكنك أن تعتبر أن التعذيب الذي أنصب على أولياء الله ياسراً وسمية وعماراً بيد

(١) المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٢) ضياح: أي لبن خائر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضيح.

(٣) ورد الحديث باختلاف يسير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار:

٩٧ / ٣٦٦ ح ٦.

(٤) أخمص: أي باطن القدم. العين: ٤ / ١٩١ مادة خمص.

(٥) ورد الحديث باختلاف يسير. المسترشد: ٦٥٨ ح ٣٢٨.

المشركين وقد أعطيناك إغموذجاً منها، والذي إنتهى بأستشهاد الأبوين الكريمين ياسراً وسمية، ومنية أجلت في أبنهما البار عماراً إلى ما بعد الإسلام.

أقول: يمكنك أن تعتبر التعذيب الذي ناله ثلث القوم عماراً بعد إستشهاد أبويه إلى رحمة الله ورضوانه على يد الخليفة الأموي ابن عفان كان إمتداداً طبيعياً للتعذيب الذي إنصب عليه وعلى أبويه أيام الشرك وإتماماً له.

ولا يوجد فرق بين الأثنين إلا أن التعذيب الأول حصل في فجر الدعوة إلى دين التوحيد، والتعذيب الثاني بعد أن وطد خاتم النبيين ﷺ وابن عمه علياً عليه السلام دعائم الدين الجديد وأمتدت رقعته وقويت شوكته، وعماراً نفسه كان من الدعائم العملاقة التي قام عليها هذا الدين الجديد، وبدلاً من أن يحاط بالتكريم من قبل ابن عفان فقد ناله منه ألوان الاضطهاد والتعذيب والازدراء، وآخرها صدور أمره إلى جلاوزته بضربوه حتى أحدثوا فيه الفتق^(١) ساعده الله^(٢).

لذلك كان عماراً عليه السلام من زعماء الثورة البارزين التي أطاحت بعثمان بن عفان بل كان في مقدمة الذين وثبوا على داره وباشروا قتله^(٣).

(١) الفتق: أي هو علة وتواء في البطن. الصحاح: ١٥٣٩/٤ مادة فتق.

(٢) أنظر المسترشد: ٢٢٢. وصول الأخبار إلى أصول الأخبار: ٧٧.

(٣) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٧ / ٣.

عمار بن ياسر رحمته ينادي في جماهير الثورة

وبعد أن أجهز الثائرون على ابن عفان، وإنتهى أمره خرج عماراً رحمته مع الخارجين من داره، وهو ينادي في الناس بأعلى صوته ويقول: (يا أصحاب محمد، يا أهل بيعة الشجرة، يا أهل بيعة الرضوان، أيها البديرون، يا أهل أحد، يا أصحاب لا إله إلا الله، والله لقد قتلنا عثمان وإنه لمشركاً وكافراً)^(١).

وقد إستند عماراً إلى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢)، وابن عفان والأميون جميعاً تعمدوا مخالفة أوامر الله في حكمهم على الناس، وإهانتهم، وتشريدهم، وقتلهم، ونهب أموالهم.

أسباب ضرب ابن عفان للشهيد عمار بن ياسر

من سلسلة الأحداث الماضية يمكنك أن تعرف الأسباب التي حملت عثمان على إهانت وإظهاد وضرب رجل جليل من أكابر أجلاء أصحاب محمد المشهود له بالجنة وهو عمار بن ياسر وابن سمية الشهيدان في الله^(٣)، وهي نفس الأسباب التي عرفتھا والتي حملت عثمان على إرجاع طريدي رسول الله ﷺ من منفاهم إلى المدينة^(٤).

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٧ / ٣، المعيار والموازنة: ١٧١.

(٢) سورة المائدة ٥: ٤٤.

(٣) أنظر المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٤) أنظر المسترشد: ٤٢٦، الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٩٦، الرياض النضرة في مناقب العشرة: ٣ / ٨٢، إرشاد القلوب: ٢ / ٣٢١، الصراط المستقيم: ٣ / ٣١، بحار الأنوار: ٣١ / ١٧٢.

وبكلمتين إثنين فهذه الأسباب وإعطاء المال، وإسناد السلطان أي مال الإسلام وسلطانه إلى طغام^(١) بني أميه وعشيرته خلافاً لسنة الرسول، وسيرة العدل، ساعياً فيه عن قصد وسبق الإصرار وإمعان وكذلك مخالفة سيرة الشيخين قبله.

أذن فلا غرابه من ابن عفان أن يكرم اللعين الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد الشمس طريد خاتم النبيين ﷺ، وينهي علماً من أعلام أصحابه المقربين إليه، وجليلاً من أجلائهم، وهو عمار بن ياسر رضي الله عنه، وأظن بل أجزم أن الذي أشعل الحقد في صدر عثمان على عمار بن ياسر هو كثرة تكريم النبي له، وكثرة تمجيده لأهله، وكثرة أحاديثه فيه، فمننا مذكرناها لك، ومنها:

قول النبي ﷺ: ((عمار جلدة ما بين العين والأنف، ومتى تنكأ^(٢) الجلدة يدم الأنف))^(٣).

وقال ﷺ: ((مالهم ولعمار! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار))^(٤).

(١) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٤ / ٣٨٩ مادة طغم. الصحاح: ٥ / ١٩٧٥ مادة طغم.

(٢) تنكأ: أي تقشر. أنظر لسان العرب: ١ / ١٧٣ مادة نكأ.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٥٢.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣ / ٥٢، الدر النظيم: ٣٦٢، وورد الخبر باختلاف سير في عمدة عيون صحاح الاخبار: ٣٢٤ ح ٥٤٢، مسند أحمد: ٣ / ٩١، صحيح البخاري: ١ / ١١٥.

وروى العوام بن حوشب، عن سلمة بن كهيل، عن علقمة، عن خالد بن الوليد أن رسول الله ﷺ قال: ((من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه الله))^(١).

وقال ﷺ: ((صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))^(٢).

وقال ﷺ: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياح^(٣) من لبن))^(٤).

وقال ﷺ: ((مالككم وعمار فقد امتلأ جسمه إيماناً من قمة رأسه إلى أخمص^(٥) قدميه))^(٦).

ونكتفي بهذا القدر المجمع عليه من أحاديث النبي في منزلة عمار، وهي التي أشعلت الحقد في صدر عثمان فأمعن في الإنتقام منه كأمعانه في تقريب أعداء النبي، وأعداء الإسلام، وأعداء القرآن.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٢ / ٣.

(٢) المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٣) ضياح: أي لبن خائر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضيح.

(٤) ورد الحديث باختلاف يسير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار:

٩٧ / ٣٦٦ ح٦.

(٥) أخمص: أي باطن القدم. العين: ٤ / ١٩١ مادة خمص.

(٦) ورد الحديث باختلاف يسير. المسترشد: ٦٥٨ ح ٣٢٨.

الأسباب المباشرة لضرب عمار رضي الله عنه

وبعد أن عرفت الأسباب التمهيدية لإضطهاد المقربون من أصحاب رسول الله ﷺ من قبل هذا الخليفة الأموي المتحيز المتعصب، ومنهم عمار بن ياسر نقدم لك السبب المباشر الذي أتخذ منه ابن عفان ذريعة للتفريغ ما في قلبه من حقد وكره للمنضونين تحت لواء محمد وعلي، كأبي ذر وعبد الله بن مسعود وعمار، وهذا السبب هو قضية حلي بيت المال، وتصرف الخليفة فيه تصرفاً تعسفياً وخارجاً على سنة النبي ﷺ وسيرة أصحابه الشيخين من قبله.

فأنظر إلى تعسف ابن عثمان في القضية التي رواها عباس بن هشام الكلبي، عن أبي مخنف، في إسناده: (أنه كان في بيت المال بالمدينة سفت^(١) فيه حلي وجوهر، فأخذ منه عثمان ما حلى به بعض أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه فيه بكل كلام شديد، حتى أغضبوه.

فقام في مجلسه وخطب قائلاً: لناخذن حاجتنا من هذا الفيء، وإن رغمت به أنوف أقوام.

فنهض البطل الغالب علي بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الرحمن، وقال لعثمان على رؤوس الأشهاد: ((ليس لك هذا يا ابن عفان، واننا نمنعك من ذلك)).

ثم نهض الشهيد العظيم عمار بن ياسر، ونادى بأعلى صوته: يا أصحاب محمد، أني أشهد الله وأشهدكم أن أنفي أول راغم من ذلك.

(١) السَفْتُ: هو ما يُعَبَّى فيه الشيء الثمين. أنظر لسان العرب: ٧ / ٣١٥ مادة سفت.

فقال عثمان: أعلي يابن ياسر تجترئ؟ خذوه، فأخذوه وادخلوه زنزانه ودخل عليه ابن عفان ومعه جلاوزته وجلاديه؛ فضربه وضربوه حتى غشي عليه، ثم أخرج حتى أتى به إلى منزل أم سلمة ولم يصلي الظهر والعصر والمغرب من إغماءته، وشدة ماتحملة من الضرب المبرح. فلما أفاق العشاء قام وتوضأ وصلى، وقال: الحمد لله ليس هذا أول يوم أودينا به في الله تعالى.

فقال هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي: -وكان عماراً رحمته حليفاً لبني مخزوم- يا عثمان، فأما علي بن أبي طالب فقد خفته وأتقيته، وأما نحن فاجترأت علينا، وضربت أخانا حتى أشفيت به على التلف^(١). أما والله لئن مات لأقتلن به رجلاً من بني أميه عظيم الشأن، وكان يقصد بكلامه عثمان بن عفان نفسه.

فقال له عثمان: وأنت لها هنا يا ابن القسرية^(٢).

قال: فأنهما قسريتان -وكانت أم هشام المخزومي وجدته قسريتين من بجيلة- فشتمه عثمان، وأمر به، فأخرج فأتي به إلى أم سلمة رحمها الله. وأذ بأم سلمة تعلن نقمتهما من عثمان وغضبها عليه، وتقول: قولاً غليظاً فيه، وعائشة هي الأخرى فقد ثارت حين بلغها صنيع عثمان بعمار، وخرجت إلى المسجد ناقمة مغضبة ساخطة، وأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ،

(١) أشفيت به على التلف: أي جعلته مشرفاً على الهلاك. أنظر معجم مقاييس اللغة: ٣/ ١٩٩ مادة شفى.

(٢) القسري: وهو بطن من قيس، وقيس: بطن من بجيلة. الأنساب: ٤/ ٤٩٧.

ونعلاً من نعاله، وثوباً من ثيابه، وقالت: يا عثمان، ما اسرع ما تركتم سنة نبيكم، وهذا شعره ونعله وثوبه لم يبل بعد^(١).

وهناك سبب آخر حمل عثمان على ضرب عماراً، وهو أن عثمان مر يوماً على قبراً جديداً، فسأل عنه فقيل له: هذا قبر الصحابي العظيم عبد الله بن مسعود، فوقف وسئل قائلاً: (من دفنه؟

قالوا: المؤمن الصالح عمار بن ياسر.

قال: ولماذا كنتم علي موته؟

فأستدعاه وسأله من سبب كتمانهم خبر وفاة عبد الله بن مسعود، وأن يدفنه ويصلي عليه دون أن يعلمه.

فقال له عماراً رحمه الله: انما هي وصية عبد الله بن مسعود في عنقي أن أدفنه دون علمك وإخبارك؛ لأنه لم يرتضي صلاتك عليه، فلما سمع عثماناً هذه الصواعق المحرقة بأذنيه من فم الصحابي الكبير، وطئه وضربه بنعله حتى أحدث له ذلك الفتق^(٢).

وقد أصبح الوضع العام مشيراً وقلقاً فقرر بعض كبار الصحابة وأهل الشورى تقديم مذكرة شديدة لعثمان يواجهونه فيها بكل هذه الموبقات، ويوضحون له فيها عواقب أعماله، والأخطار الكامنة وراء تحزبه لآل أبي سفيان، ومروان، وأبي معيط، وإدنائهم وتقسيم أموال المسلمين فيما بينهم، ولم يغادر أصحاب رسول الله ﷺ تنكيلاً وتعذيباً وإضطهاداً، وكل جريمتهم أنهم يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤٩ / ٣.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٠ / ٣.

أضافة إلى إعادة طريدي رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد إن نفاهم إلى الطائف وغير ذلك من الأعمال التي هزت الرأي العام، وأثارت الناس في مختلف الأمصار من حجازها وعراقها ويمناها ومصرها.

ووقع على هذه المذكرة رجال من أصحاب رسول الله ﷺ بينهم المقداد، وعمار، وطلحة، والزبير، وآخرين، وبعد أن أوضحوا العوامل التي ضج الناس فيها، وصاروا يعلنون سخطهم عليها ويتألمون من إستمرارها هددوه بأنهم قادمون إليه لينالوا منه أن لم يقلع ويستقيم.

وإختارت هذه الجماعة عماراً رحمته ليكون سفيرها إليه، وحامل رسالتها، وحين وصله وسلمه المذكرة، وقرأ صدرأ منها، إنتفض من مكانه، وقال

لعمار: (أعلي تقدم من بينهم؟

فقال له: لأنني أنصحهم لك.

قال: كذبت يابن سمية.

فقال: أنا والله ابن سمية وابن ياسر، فأمر عثمان غلمانه فمدوا بيديه

ورجليه، ثم ضربه عثمان برجليه، وركز الضرب على أكثر اجزاء بدنه حساسية؛ فأصابه الفتق، وكان ضعيفاً كبير السن فغشى عليه^(١).

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٠ / ٣.

قول عمار ورفاقه في كفر عثمان

وحين نذكر عماراً نذكر معه الهالة الروحانية التي تحيطه من قول رسول الله ﷺ: ((مالكم وعمار فقد امتلأ جسمه إيماناً من قمة رأسه إلى أخمص^(١) قدميه))^(٢).

فان عماراً ﷺ كان يقول على رؤوس الأشهاد: (ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر، وأنا رابعهم وأشدّهم، ويذكر قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣)، ويقول وأنا أشهد أنه حكم بغير ما انزل الله)^(٤).

وشهد زيد بن أرقم صاحب رسول الله ﷺ بذلك عندما سئل: (بأي شيء كفرتم عثماناً؟
قال في ثلاثة وهي:

الأولى: جعل أموال المسلمين دولة بين عشيرته وبني أبيه.

الثانية: جعل المهاجرين من أصحاب رسول الله ﷺ، والمجاهدين بين يديه في حروبه وغزواته بمنزلة من حارب الله ورسوله، بل أشد تنكيلاً وتعذيباً.

(١) أخمص: أي باطن القدم. العين: ١٩١ / ٤ مادة خمص.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير. المسترشد: ٦٥٨ ح ٣٢٨.

(٣) سورة المائدة ٥: ٤٤.

(٤) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥٠ / ٣.

الثالثة: وإنه عمل بغير كتاب الله، ولم يحكم بما أنزل الله على رسوله^(١).

أما حذيفة بن اليمان هو من تعرف منزلته من رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ فهذا الصحابي العظيم يقول في عثمان مايلي:

(ما في عثمان بحمد الله أشك، ولكني أشك في قاتله، لا أدري أكافر قتل كافراً، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله، وإذا كان هذا هو فينبغي أن يكون أفضل المؤمنين إيماناً)^(٢).

وظاهر الكلام على ما اظن أن حذيفة قد شك بقاتل بإيمان هذا الملعون، ولكن البواقع لن يأتي الشك لحذيفة على الإطلاق، لأن جماعة رسول الله ﷺ أجمعوا على قتل هذا الكافر.

ومن هذا يمكنك ان تقطع القول أن قاتليه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في شقشقيته: ((إلى أن انتكث عليه فتله، وكبت به بطنته، وأجهز عليه عمله...))^(٣)، فكان مصيره على يد أثنان هما: سوء عمله، وإستغلال أهله وبني أبيه نفوذهم وسطوتهم على أموال المسلمين وتعسفهم، فكانوا هم الذين قتلوه بسوء أعمالهم، ونقمت الناس فيه بسيوفهم، ويشك حذيفة في هذا الموطن، ويقول: (أكافر قتل كافراً...)، وذلك في حالة إرجاع السبب المحض في قتله إلى هؤلاء الكفرة المتعطرسين المتجبرين من أمية الكفر من بني أبيه.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥١ / ٣.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥١ / ٣.

(٣) الاحتجاج: ٢٨٧ / ١.

وقال: (مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله، وإذا كان هذا هو فينبغي أن يكون أفضل المؤمنين إيماناً)، فإن كان هذا الإحتمال هو السبب المحض في قتله فيكون هؤلاء المؤمنون الذين وثبوا به واجهزوا عليه، وقتلوه أفضل المؤمنين إيماناً.

وهم الذين أجهزوا عليه وقطعوه أرباً أرباً، ولا تنسى الذين من تأخروا عن نصرته كعماوية الذي كان ينتظر وصول خبر مقتله.

فربما يكون حذيفة محقاً في كلامه بإعتبار أن قتلة ابن عفان كانوا صنفين من الناس.

الطعن السابع عشر: وصية الخليفة الثاني عمر بن الخطاب التي كانت قمة العدل، وذلك في قتل ابنه عبيد الله لقتله نفساً مؤمنة بغير نفس، وأمور من هذا النوع كثيرة راعى فيها الخليفة عمر العدل فيما له أو عليه.

أوصى عمر الذين أصحاب الحل والعقد بأن وجدوا دليلاً قاطعاً على جرم جفينة والهرمزان فيجب انزال العقوبة عليها قتلاً^(١)، وإن لم يتحقق ذلك فإطلاق سراحه.

والمعروف أن غلام المغيرة بن شعبة أبا لؤلؤة هو الذي قتل الخليفة عمر بن الخطاب، وقد قتل وطبق فيه قصاصاً، وكانت وصية عمر العادلة لأولاده وأصحابه فيمن يتهم بقتله وهي: (أوصى عمر رجال الشورى بأنه إذا قامت

(١) أنظر السنن الكبرى للبيهقي: ٨ / ٦١، تاريخ مدينة دمشق: ٣٨ / ٦٣.

البينة على الهرمزان وجفينة فليقتلا، وأن لم تقم البينة عليها فليطلق سراحهما، وأن أعتدى عليهما ولدي عبيد الله وقتلها فأقتلوه^(١).

وأني لأشهد الله أن عمر كان في قمة العدل في حكمه وإنصافه، فهذه أنت وصية عمر لرجال الشورى فيمن يدان، وأكد على من يؤول الأمر إليه بلزوم تنفيذ وصيته هذه.

وهي لسان ناطق بعدله يوم العرض والحساب، ولم ينتهي عدله إلى هنا بل يمكن أن تشاهد ما تجاوز به حد العقل بعد أن دارت الأمور وأخذت تأخذ طبيعتها وصورتها التي وضعها لرجال الشورى وعلاقاتهم مع بعضهم متفقين بوصية منه.

فكان قاصداً ذلك ليكون بعيداً عن شبهات القوم ودفعها عنه لتكون برقة الجهة التي فيها ابن عوف للتمخض المهزلة بتعيين عثمان^(٢)، وأصبح هو الشخص المطلوب منه تنفيذ وصية الخليفة الراحل. وبعد أن أجري التحقيق الكامل في القضية ثبتت براءة الرجلين وإنهما لacreلة لهما بقتل الخليفة عمر، ومع ذلك فقد تجرأ عبيد الله على مخالفة الحق ومخالفة أوامر أبيه وقتل الهرمزان بغير حق وبغير نفس.

وكان ذلك منه تجاوزاً على قواعد الدين فهو الأمر الذي يستوجب القصاص بحكم القرآن لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٠ / ٣.

(٢) أنظر تاريخ الأمم والملوك: ٢٩٤ / ٣.

وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ^(١)، ولذلك أصبح ابن عفان بمركزه الجديد المسؤول عن تنفيذ حدود الله وإقامتها، وذلك لسببين مهمين:

الأول: وهو القصاص الذي ينبغي أن يراعيه من بيده السلطان على المسلمين.

الثانية: وهو ضرورة تنفيذ وصية الخليفة الراحل لبراء ذمته وتلبية مطلبه، وهو في قبره وشأن ذلك شأن وفاء الدين عنه.

فمراعاة هاتين الناحيتين كانت تلزم عثماناً بتنفيذ هذه الوصية بحذافيرها خاصة وإنها تتعلق بحدود الله التي يسأل عنها في الدنيا والآخرة وهو من بيده السلطان على المسلمين، فرغم ذلك فأن عثماناً صار يطبق جزء من الوصية وهو تعيينه خليفة، ويتلکأ في تنفيذ الوصية الباقية، وإقامة حدود الله كما فرضها القرآن وفرضتها السنة.

وأخيراً عصاهما جميعاً وعطل حدود الله، وأخرج عبيد الله إلى العراق، ومنحه مقاطعة كبيرة هناك رغم أجرامه، وذلك إمعاناً منه وإصراراً على معصية الله سبحانه.

وهنا لم يجد رجال الشورى بداً إلا مواجهة عثمان بالأمر والزامه بتنفيذ الحد في القاتل أولاً ومراعاة ما جاء بوصية الخليفة سلفه ثانياً، فأجتمعوا

ودخلوا عليه، وقالوا له: (يا عثمان لقد ثبتت براءة الهرمزان واصبحت ملزماً بتنفيذ الحد في عبيد الله، وقتله قصاصاً).

فقال لهم: أما أنه قتل رجلاً مسلماً بغير نفس فأنا معكم في ذلك، ولكني لا أريد أن أشمت به الأعداء

فقالوا له: ولكنك إذا عطلت حدود الله فبذلك يشمتون^(١).

بهكذا أعمال أستهل ابن عثمان باكورة أعماله بخلافة رسول الله بالظعن في الدين والقسم والحدود جميعاً بل لم يقف في هذا الحد فأخرج المجرم الى العراق لابعاده عن العيون ومنحه ارضاً واموالاً زيادة في الازدراء بما امر به الله ورسوله.

وإصراراً على مخالفة أصحاب رسول الله المقربون، وعلى رأسهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لم يحتمل تعطيل الحد مما حمله على الدخل على ابن عفان مع جمع من أصحابه لمحاكمته وإستجوابه والقاء الحجة عليه، وقال له: ((يا عثمان لقد اصبحت ملزماً بقتل هذا الفاسق الذي قتل رجلاً مسلماً بغير نفس).

فقال عثمان: قتل أباء بالأمس وأقتله اليوم، وإنما هو رجل من أهل الأرض

قال أمير المؤمنين مغضباً: وإنما أثم ذلك عليك^(٢).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١ / ٣.

عبيد الله بن عمر بن الخطاب بين يدي أمير المؤمنين ﷺ

جاء هذا الفاسق لأمر المؤمنين فقال له أبا السبطين: ((إيه يا فاسق! أما والله لئن ظفرت بك يوماً من الدهر لأضربن عنقك))^(٢)، ولذلك نجد هذا المجرم الفاسق لاذ بمعاوية فور مبايعة أمير المؤمنين ﷺ والتحق بجيش ابن آكلة الأكباد في صفين حيث لاقى مصرعه هناك رواحا إلى جهنم وبئس المهاد^(٣).

وروى القناد، عن الحسن بن عيسى بن زيد، عن أبيه، أن المسلمين حين قال عثمان: (أني قد عفوت عن عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قالوا له: يا عثمان ليس لك أن تعفو عنه).

قال: بلى إنه ليس لجفينة والهرمزان قرابة من أهل الإسلام، وأنا ولي أمر المسلمين، وأنا أولى بهما، وقد عفوت.

وحينئذ لم يجدوا مفرأ إلا الإلتجاء إلى حامي الإسلام، وبقية النبوة الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الرحمن، فجاء عثماناً، وكلمه في ذلك بشدة، وقال له: ((أن الأمر ليس كما تقول، وإنما أنت في أمرهما بمنزلة أقصى المسلمين، لانهما قتلا في مرة غيرك، وهو الذي أمر بقتل ولده إذا قتل نفساً بريئة بغير نفس، وحتى لو كان قتلها في أمارتك فلم يكن لك العفو عنه).

فأفق الله يا عثمان فأن الله عز وجل سائلك عن هذا)).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١ / ٣.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١ / ٣.

(٣) أنظر الاستيعاب: ١٠١١ / ٣.

فلما أصبح عثماننا أمام هذه الحجة القاطعة من أمير الفقه وسيد القضاء العادل، ووراءه جل أصحاب محمد i يؤيدوه؛ فلم يكن قد صدر منه أمراً إلا إخراج عبيد الله من المدينة وبعث به إلى الكوفة وأقطعه بها داراً وأرضاً، وهي التي صارت تسمى كوفة ابن عمر، لكبرها وسعة رقعتها(١).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١ / ٣.

الفصل السادس

علم الغيوب اليه غير مدافع والصبح أبيض مسفر لا يدفع
وإليه في يوم المعاد حسابنا وهو الملاذ لنا غداً والمفرج
هذا اعتقادي قد كشفت غطاءه سيضر معتقداً له أو ينفع^(١)

قصة المقطع العامري يوم صفين

خرج من معسكر الشام قاسط يدعى ابن مقيدة الحمار الأسدي، وطلب
المارزة فخرج إليه من معسكر الحق شيخ طاعن في السن يدعى المقطع
العامري، فقال له أبو الفقراء والمساكين أمير المؤمنين: ((أقعد.

فقال له: يا أمير المؤمنين لا تردني، إما أن يقتلني فأتعجل الجنة وأستريح
من الحياة الدنيا في الكبر والهرم، أو أقتله فاريحك منه.

فقال له عليه السلام: ما اسمك؟

قال: مقطع العامري.

(١) هذا ما قاله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: ١٤ / ١.

قال: ما معنى ذلك؟

قال: كنت أدعى هشيماً فأصابتنى جراحة منكرة، فدعيت المقطع فيها.

فقال له عليه السلام: أخرج إليه وأقدم عليه، اللهم أنصر المقطع على ابن مقيدة (الحمار) ^(١)، فحمل على ابن مقيدة الحمار فأذهله لشدة الحملة، فهرب وهو يتبعه، حتى مرأً بمضرب اللعين معاوية فرى هذا صاحبه فاراً والمقطع في أثره حتى جاوزا معاوية بكثير ثم رجعا، ومر به مرة أخرى فنادى معاوية ابن مقيدة الحمار، وقال له لقد شخص ^(٢) بك العراقي.

قال: (أما إنه قد فعل أيها الأمير، ثم عاد المقطع فوقف موقفه فلما دالت الأمور وإنتهت بإعلان الباطل باغتصاب حق آل محمد عليهم السلام سئل ابن آكلة الأكباد عن هذا الفارس الشيخ المقطع، وطلب إحضاره فادخل عليه، والوقار يعلوه، فقال له معاوية: لولا أنك على مثل هذه الحال لما افلت مني.

فقال له: نشدتك الله إلا قتلتنى، وأرحتنى من بوس الحياة الدنيا.

قال معاوية: أقتلك، وأن بي إليك الحاجة.

قال: ما هي؟

قال: أحب أن تواخيني.

قال: أنا وأياكم أفرقنا في الله فلن نجتمع حتى يحكم الله بيننا في الآخرة.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٢٣.

(٢) شخص: أي عجل بك. أنظر لسان العرب: ٧ / ٤٦ مادة شخص.

قال: فزوجني إبتك.

قال العامري: قد منعتك ما هو أهون علي من ذلك.

قال معاوية: فما قبل مني صلة؟

قال: لا حاجة لي فيما قبلك، فخرج من عنده ولم يجبه على شيء ولم يقبل منه شيئاً^(١).

تعليق صغير:

نعوذ بالله رب العالمين من الشيطان الرجيم، ما أسوء عاقبة الذين غضب الله تعالى عليهم، وقفل على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم، وجعلهم صم بكم عمي فهم لا يفقهون^(٢)، وظنوا أن الذين يشترون أنفسهم إبتغاء مرضاة الله ولا يبدلون ما عاهدوا الله عليه^(٣)، وهذا الشيخ المقطع وأحداً من أولئك الصالحين الذين فتح الله لهم أبواب جناته أمامهم يوم القيامة.

فيظن الباطل الظالم معاوية إنه قادر على تبديل ما في أنفسهم وما أنطوت عليه قلوبهم، فما أحق رأيه وأكثر حقه، فقد فاته أن كل ما أظلمته السماء لا

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٢٧٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٢٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾، سورة البقرة ٢: ١٧١.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾، سورة البقرة ٢: ٢٠٧.

يغير شيئاً من عقيدتهم وإنما يزيدهم إيماناً إلى إيمانهم، ورسخاً إلى رسوخهم، فمنهم من قضى نحبه شهيداً، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً^(١).

أبطالاً بواسل

وأظنك من مجمل ما مر بك يمكنك القول أن الناس كل الناس أنقسموا إلى طوائف ثلاث: طائفة عرفت ربها جل شأنه فامت به وبكتبه ورسله وأوصيائه، فإنتهت بنواحيه وأتمرت بأوامره وتزودت من أيام قصيرة فيها عمل ولا حساب لأيام خالدة خلود الأزل فيها حساب ولا عمل.

وطائفة كفرت بالله، إنا بالله عائدون، فتكرت لرسله وأنبيائه وكتبه وأوصيائه؛ فحاربت بالسر والعلن، ولكن الله كان شأنه إلا أن ينصر رسله لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٢)؛ فدخلت هذه الطائفة من الناس في الدين كرها لا طوعاً، صاغرة مرغمة أنفسهم لا راضية حتى إنتقل النبي إلى جوار ربه الكريم بادرت للإعلان عن سريرتها، والكشف عن حقيقتها حتى اذا هو عدوانا سافراً على الله ورسوله وكتابه، وهنا يقول أمير المؤمنين عليه السلام: ((ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا تظهر أهل باطلها على أهل حقها))^(٣).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾، سورة الأحزاب ٣٣: ٢٣.

(٢) سورة النساء ٤: ٦٤.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ١٣٧، مقاتل الطالبين: ٤٥.

وهو الذي حصل بعد إنتقال رسول الله ﷺ إلى الفردوس الأعلى، فكشف العرب عن مكان الحقد على النبي وعلى الرسالة في حرب ضروس لا أول لها ولا آخر ولم ينسوا أهل بيته وأوصيائه الذي أمرهم الله بطاعتهم ومحبتهم والولاء لهم تارة في القرآن ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، وتارة في الحديث ((يا معشر المسلمين ألا وإنني تارك فيكم أثنان ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما))^(٢)، فكان صدى هذه الأوامر الشريفة القاطعة عندهم هو البغضاء والضغائن والحرب والعدوان.

أما الطائفة الثالثة همها علفها لا معروفاً أمرت به ولا منكراً نهت عنه كالسائمة المربوطة همها علفها، وشأنها يومها، وشبعها غايتها، فهي غافلة عما يراد بها، ويتساوى عندها قيام الحق ويوم الباطل، أو موت الباطل وقيام الحق، وكأنها خلقت للبقاء لا للزوال الذي في حلاله حساب وفي حرامه عقاب.

وبعد أستذكرك ما مر من أصناف الناس نرجع إلى بواصل الأبطال، ومنهم بشر بن العوس الطائي:

وهو علم آخر في المسيرة التي يقودها سيد الوصيين، وأمير المؤمنين أستبسل مراراً، وطلب الشهادة بين يدي إمامه تكراراً، ولكن المنية أجلت

(١) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير. الكافي: ١/ ٢٩٤ ح ٣.

وكان ذلك مما أسلب راحته في مضجعه، وبعث الأسى والحزن في نفسه،
ورغم إصابته بأحدى عينيه نجده يقول:

ألا ليت عيني هذه مثل هذه	ولم أمش بين الناس إلا بقائد
ويا ليت رجلي ثم طنت ^(١) بنصفها	ويا ليت كفي ثم طاحت بساعدي
ويا ليتني لم أبق بعد مطرف	وسعد وبعد المستير بن خالد
فوارس لم تغذ الخواضن مثلهم	إذا هي أبدت عن خدام الخرائد ^(٢)

وهل ترك لك هذا الفارس المجاهد الكريم ريباً في ولائه لإمامه، وجهاده
في مرضاة ربه ونبيه، وإيمانه بعدالة قضية خليفته وأميره، وضلال خصومه
وأعداءه.

وهناك محارب آخر وهو عنتر بن عبيد بن خالد بن المحاري، واسمه
عليه، فقد أبى هذا المؤمن المجاهد الكريم إلا أن يصارع مع أخوانه صناديد
المعسكر العلوي الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، ولنسمع إلى نداءه
الذي وجهه إلى أصحابه ليشحذ همهم للصمود في وجه القاسطين الكافرين،
إذ يقول: يا معشر قيس، أطاعة الشيطان آثر عندكم من طاعة الله ألا إن
الفرار فيه معصية الله وسخطه، والصبر فيه طاعة الله ورضوانه.

أفتختارون سخط الله على رضوانه، ومعصيته على طاعته، فإنما الراحة
بعد الموت لمن مات محتسباً لنفسه، وقال:

(١) طنت: أي قطعت وسقطت. أنظر الصحاح: ٦/ ٢١٥٩ مادة طنن.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٢٤.

لا وألت نفس امرئ ولى الدبر أنا الذي لا أنثي ولا أفر
ولا يرى مع المعازيل الغدر^(١)

فقاتل حتى ارتث رحمه الله وجمعه مع عباده الصالحين^(٢).

أما بني نخع فقد قاتلت مع أمير المؤمنين قتالاً شديداً تحت لواء رئيسها
المقدام علقمة بن قيس الذي أبلى بلاءً حسناً حتى قطعت رجله، ثم ثار له
أخاه الذي استبسل ضرباً وطعنأ حتى لحق باخيه الذي سبقه الى الجنة: ﴿وَلَا
تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(٣).

وهذا هو الرئيس علقمة بن قيس يقصص على الناس رؤيا رآها، وهو
يقول: أما رجلي التي قطعت فكانت وسلة لدخولي الجنة، وباليثني كنت قد
إنتهيت يومها والتحقت باخي الذي رايت بنومي فقلت له: يا أخي ما الذي
أقدمتم عليه؟

فقال لي: إلتقينا نحن وأهل الشام بين يدي الله سبحانه؛ فاحتججنا عنده
فحججناهم، فما سررت بشيء منذ عقلت سروري بتلك الرؤيا^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٥ / ٥.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٢٨٦، تاريخ الأمم والملوك: ٢٢ / ٤.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٦٩.

(٤) أنظر وقعة صفين: ٢٨٧، تاريخ الأمم والملوك: ٢٣ / ٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي

الحديد: ٢٢٥ / ٥.

ربيعة والدوسيون

فأنظر مدى تسامح أمير المؤمنين وسعة صدره الكريم حتى مع الذين يخونون ويتنكرون له عند مقارنة بين موقفه الكريم من خصومه اللثام وموقف هؤلاء الجفاة الطغاة الأقزام منه ومن أبنة الإمام السبط الحسين عليه السلام.

فقد جاء أناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقالوا له: أنا لا نرى إلا خالد بن المعمر الدوسي قد كاتب الطليق الفاسق ابن آكلة الأكباد، وقد خشينا أن يلتحق به وييايعه، فبعث إليه أمير المؤمنين، وإلى رجلين من أشراف ربيعة؛ فجمعهم وحمد الله واثنى عليه ثم قال: ((يا معشر ربيعة، أنتم أنصاري ومحبيوا دعوتي، ومن أوثق أحياء العرب في نفسي، وقد بلغني أن معاوية قد كاتب صاحبكم هذا، وهو خالد بن المعمر، وقد أتيت به وجمعتكم لأشهدكم عليه، وتسمعوا مني ومنه.

ثم أقبل عليه فقال: يا خالد بن المعمر، إن كان ما بلغني عنك حقاً، فياني أشهد من حضرني من المسلمين، أنك آمن، حتى تلحق بالعراق، أو بالحجاز، أو بأرض لا سلطان لمعاوية فيها، وإن كنت مكذوباً عليك، فأبر صدورنا بأيمان نطمئن إليها.

فحلف له خالد بالله ما فعل، وقال رجال منا كثير: والله يا أمير المؤمنين لو نعلم أنه فعل لقتلناه.

وقال شقيق بن ثور السدوسي: ما وفق الله خالد بن المعمر حين ينصر معاوية وأهل الشام على علي وأهل العراق وربيعة.

فقال له زياد بن خصفة: يا أمير المؤمنين، أستوثق من ابن المعمر بالإيمان، لا يغدر بك، فاستوثق منه، ثم انصرفوا^(١).

عبرة للمعتبرين

أما التافهون الحاكمون بأمرهم لا بأمر الله فهم الذين لا يقيمون وزناً لحق ولا يعرفون للإنسان كرامة، وياخذون الناس على الظنة والشبهة حرصاً على السلطان الأجوف الزائف الزائل القائم على الباطل والمنكر، ولا يستقر لهم قرار إلا بإضطهاد العالمين، والتنكيل بهم.

ولا حرمة لأحد في ظل حكمهم إلا للسفلة الذين يسبحون بحمد الطغاة نفاقاً ورياءً، أما عمالقة الحق والعدل من الحكام أن وجدوا فأنهم لا يعرفون إلا العكس، ولا يستقيم في حسابهم إلا المساواة والإنصاف ونشر الحرية بين الناس، فان تعجبت فأعجب من أمر هؤلاء الرائدون القادة والحكام، فإنك تجدهم في كل عهد من العهود مستهدفين بالمؤامرات والعدوان والحيل والنفاق.

وهل تجد مثلاً لهذه الحقيقة المنكرة أحسن من رائد العدل والحرية والمساوات عدل العادلين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فحين بلغه تخريصات وخيانة خالد بن المعمر أرسل وراءه، وعند حضوره قال له: ((يا خالد بن المعمر، إن كان ما بلغني عنك حقاً، فإني أشهد من حضرني من المسلمين،

(١) وقعة صفين: ٢٨٧، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

أنك آمن، حتى تلحق بالعراق، أو بالحجاز، أو بأرض لا سلطان لمعاوية فيها، وإن كنت مكذوباً عليك، فأبر صدورنا بأيمان نظمئن إليها..))^(١).

واقسم بالله رب العالمين فما عرفت ولا قراءت مثل ذلك لأي حاكم أو قائد غيره، فيا قارئ الكريم هذا هو الحاكم، وإمام المتقين، وسيد الوصيين، ورائد العدل، وواضع سنن حرية الإنسان وكرامته، ولو كان خالداً هذا في مقام آخر يحكم فيه صعلوك من الصعاليك كالحجاج أو معاوية أو عبيد الله بن زياد أو مروان بن الحكم أو اللعين يزيد بن معاوية أو زياد بن أبيه ومن على شاكلتهم لكان هدفاً لسقوك العذاب الأليم وظلم عظيم، فمصيره أما أن يصلب أو يقبر حياً.

قائد الجيش رتب رأيات فيالقه وجحافله

جاء في كتاب صفين وتاريخ الطبري، حين التقى الناس في هذا اليوم وحمل بعضهم على بعض، وتضعضع إستقرار أهل العراق جاء أمير المؤمنين عليه السلام ومعه بنوه، وكأني والله أنظر إليه صلواة الله وسلامه عليه متكئاً على قوسه، ليعيد للناس ذكريات المجد، وأيام الرسالة بنوره السامر، ووقاره الذي يملأ الكون، وكأنه محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله.

وكيف لا وهو الذي يقول: ((لقد كنت من أحمد بمنزلة الضوء من الضوء، كنا ضلالاً تحت العرش قبل خلق البشر، وقبل خلق الطينة التي كان

(١) وقعة صفين: ٢٨٧، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

منها البشر، أشباحاً عالية، لا أجساماً نامية^(١)، وقد قالها رسول الله ﷺ: ((وأنني أخشى ما أخشاه أن تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فوالذي نفس محمد بيده لأن فعلتموها لتجدوني في الفرقة التي تقاتلكم على الحق))^(٢).

أقول جاء أمير المؤمنين عليه السلام ومعه بنوه، يرتب صفوف القوم حتى إنتهى إلى ربيعة فنادى بصوت عالي جهراً: ((لمن هذه الرايات؟

قالوا: هي رايات ربيعة.

فقال: بل هي رايات الله عصم الله أهلها، وصبرهم، وثبت أقدامهم.

ثم قال لشقيق بن ثور السدوسي، وكأنه صاحب راياتهم، يا فتى إلا تدني رايتك هذه ذراعاً.

فقال: بلى والله، وعشرة أذرع ثم مال بها هكذا يرفرفها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: حسبك مكانك^(٣).

وقال نصر: وحدثنا عمرو، قال: حدثني يزيد بن أبي الصلت التيمي، قال: (سمعت أشياخ الحي من بني تيم بن تعلقة يقولون: كانت راية ربيعة كلها كوفيتها وبصريتها مع خالد بن معمر السدوسي من ربيعة البصرة، ثم نافسه في

(١) من خطبته عليه السلام في الإيمان. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٩/٣.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير في أمالي الصدوق: ٣٦٣ ح ٧٦٠، الاحتجاج: ٢٩١/١.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٢٨٨، تاريخ الأمم والملوك: ٢٣/٤، الغارات:

٧٩٢/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٦/٥.

الرأية شقيق بن ثور، من بكر بن وائل من أهل الكوفة، فاصطلحا على أن يوليا الرأية لحضين بن المنذر الرقاشي، وهو من أهل البصرة أيضاً.

وقالوا: هذا فتى له حسب، نعطيه الرأية إلى أن نرى رأينا، وكان الحضين يومئذ شاباً حدث السن^(١).

الحضين يفخر به أمير المؤمنين عليه السلام

وقال نصر، حدثنا عمرو بن شمر، قال: أقبل الحضين بن المنذر يومئذ وهو غلام يزحف برأية ربيعة، وكانت حمراء، فأعجب أمير المؤمنين عليه السلام زحفه وثباته، فقال فيه أبياته المعروفة:

لمن رأية حمراء يخفق ظلها	إذا قيل: قدمها حضين، تقدما
فيدنو بها في الصف حتى يديرها	حمام المنايا تقطر الموت والدماء
تراه إذا ما كان يوم عظيمة	أبي فيه إلا عزة وتكرما
جزى الله قوماً صابروا في لقائهم	لدى البأس حراماً أعف وأكرما
وأحزم صبرا حين تدعى إلى الوغى	إذا كان أصوات الكماة تغمغما
ربيعة أعني إنهم أهل نجدة	وبأس إذا لاقوا خميساً عرمرما
وقد صبرت عك ولحم وحمير	لمذحج حتى لم يفارق دم دما
ونادت جذام يا لمذحج ويلكم	جزى الله شراً أينما كان أظلماً
أما تتقون الله في حرما تكم	وما قرب الرحمن منا وعظماً
أذقنا ابن حرب طعننا وضربنا	بأسيا فنا حتى تولى وأحجماً
وفر ينادي الزبرقان وظالماً	ونادى كلاعا والكريب وأنعماً

(١) الغارات: ٢/ ٧٩١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٢٦.

وعمر وسفيانا وجهما ومالكا
وكرز بن تيهان وعمرو بن جحدر
وحوشب والغاوي شريحا
وصباحا القيني يدعو وأسلما^(١)

هذا ما رواه نصر بن مزاحم رحمته أما الرواة الآخرون فقد رووا أن
الأبيات الستة الأولى لأمير المؤمنين عليه السلام، والبقية للحضين بن المنذر^(٢).

سبحانك لا إله إلا أنت، تعز من تشاء وتذل من تشاء، بيدك الخير وإنك
على كل شيء قدير^(٣).

(١) وقعة صفين: ٢٨٩، الغارات: ٢ / ٧٩٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٢٧.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٢٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، سورة آل عمران ٣: ٢٦.

روابط تاريخية

كل ما امعن النظر لسطور التاريخ ازداد يقيناً بأنه لم يعرف للتاريخ ذاكر
لرابطة يجمع بين شخصين كهذا الذكر الذي يتحدث عن عمق الروابط التي
جمعت بين أبا بكر وعمر.

تلك الروابط التي كانت أبرز عناصرها تعاونهما والرسول لم يقبر بعد،
فوثبوا على سلطانه، وأقرب الخلائق إليه، وأشبههم به مشغول بتجهيزه وغسله
ودفنه، وقد احتجوا على سائر العرب بقربهم من رسول الله ﷺ، وأمير
المؤمنين يبيهم بقوله: ((إذا كانوا قد فلقوا الأنصار بحجة قربهم من رسول
الله ﷺ فنحن أولى بذلك، وإلا فالأنصار على دعواهم، اما والله لقد احتجوا
بالشجرة واضاعوا الثمرة))^(١).

لتركهم مشاورة من هم الصق رحماً بالنبي، وأكثر ملازمة له، وجهاداً
في سبيله، وفضلاً لنشر دعوته، إذا كانوا قد احتجوا على الناس بالصلة
والقربة من رسول الله ﷺ فآل النبي هم الاولى بهذه الحجة عليهم.

أقول: أن تلك الروابط العميقة التي ربطت الشخصين أبا بكر وعمر،
وتعاوننا في السر والعلن، للوصول إلى السلطان قد خلفت اثر معكوس بان في
مستوى الروابط بين ولدهما محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر بن الخطاب.

ولكي أوقفك على عنف الخصومة بين هاتين الشخصيتين أورد لك
الحادثة الآتية، وقبل الدخول في صلب الحادثة لا بد من الرجوع قليلاً إلى

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. نهج البلاغة: ١٥١/١.

الوراء لاستقراء الجرم المشهود الذي أرتكبه عبيد الله بن عمر بن الخطاب متحدياً أوامر الله ورسوله، وما نص عليه كتابه الكريم حيث قتل نفساً مؤمنة بغير نفس، والحادثة هي قتل الهرمزان دون أية إدانة له، مما حمل والده عمر وهو محتضر أن يقول لمن حوله من المسلمين: (واني لأمركم أن تقتصوا من ولدي هذا الذي قتل نفساً مؤمنة بغير نفس)^(١).

وعمر بطبيعة الحال -إذا لا يزال حياً- فإنه ولي الدم وصاحب الأمر من الناحية الشخصية؛ لأنه المصاب، ومن الناحية العامة لأنه صاحب الأمر وخليفة المسلمين، وعليه تقع مسؤولية إقامة حدود الله، وبعد أن إنتقل عمر إلى ربه، وقامت الشورى التي افتاها وسنها، ثم أوصى بأخذ رأي الجهة التي فيها ابن عوف صهر عثمان وتمخضت بفوز عثمان بن عفان بالخلافة بإسناد ابن عوف له^(٢).

وحين ولي هذا الأمر بعد عمر طالبه الصحابة وفي مقدمتهم نفس الرسول وأخاه علياً عليه السلام بتنفيذ وصية عمر، بإقامة الحد الذي فرضه الله ورسوله على عبيد الله، وقتله جزاءً لقتله نفساً مسلمة مؤمنة بغير نفس، ولكن ابن عفان آثر أن يخالف أمر الله ورسوله، ونصوص قرآنه بمحض رأيه، وبوازع من أحاسيسه، وتقديراته المضطربة، ومشورة الصحابة إليه فاطلق عبيد

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦٠ / ٣.

(٢) أنظر تاريخ المدينة: ٩٢٥ / ٣، تاريخ الأمم والملوك: ٢٩٤ / ٣، تجارب الأمم: ٤١٩ / ١، الكامل في التاريخ: ٦٧ / ٣، خلاصة عقبات الأنوار: ٣٢٩ / ٣.

الله وزاد رصيده مخالفات خطرة وهو المسؤول شرعاً عن اقامة حدود الله، فقد سفر عبيد الله إلى الكوفة، أعطاه أرضاً وأسعة فيها^(١).

وهذه التصرفات قد أثار سخط الصحابة حتى الذين أختاروه للخلافة، تشائموا بأن تكون باكورة أعمال هذا الخليفة الجديد المخالفات الصريحة والمكشوفة لأوامر القرآن الكريم.

وقد مرت الأيام على مخالفته هذه وتبعته مخالفات أشد هولاً، وقد مرت عليك معظمها، تلك المخالفات التي أستفزت المسلمين حتى كانت ثورتهم العارمة التي أشعلت أهوالها في كل أمصار الدولة العربية كما مر عليك من مجمل أمرها، والتي إنتهت بمصرع ذلك الخليفة، وزحف الناس، كل الناس إلى المنفذ لأوامر الله الأوحد علماً الذي تمت له بيعة الحشود الزاحفة بشكل لا سابق له في التاريخ، ويعبر عنها أمير المؤمنين بقوله: ((بسطتم يدي فكففتها، ومددتموهما فقبضها، ثم تدالكتم علي تذاك الأبل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطعت النعل، وتسقط الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إياي أن أبتهج بها الصغير، وهدج^(٢) إليها الكبير، وتحامل نحوها العليل، وحسرت^(٣) إليها الكعاب...))^(٤).

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦١ / ٣.

(٢) هدج: أي سير الشيخ ببطى. أنظر الصحاح: ٣٤٩ / ١ مادة هدج.

(٣) حسرت: أي تلهفت. أنظر الصحاح: ٦٢٩ / ٢ مادة حسر.

(٤) نهج البلاغة: ٢ / ٢٢٢.

أقول: حين تمت البيعة لأمر المؤمنين ﷺ على هذا الشكل المنقطع النظير تراءت للقاتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب اشباح الموت، وهيبة القصاص الذي لا مفر منه، فولى هارباً إلى حيث الغدر، فلجا إليه، وكان طبيعياً أن تراه في طليعة جيش القاسطين يوم صفين ليشارك في العدوان على الله وعلى رسوله ووصيه، ومن الطبيعي أيضاً أن تجد بازاءه في معسكر الحق محمد بن أبي بكر رحمه^(١)، ولنتظر الآن ما كان من أمرهما بصفين، وهما أبناء أولئك الحميمين الحبيين.

(١) أنظر الاستيعاب: ٣ / ١٠١١.

مضاعفات يوم صفين

وفي يوم صفين أقبل المابون عبيد الله مع أربعة آلاف مقاتل من طغام^(١) أهل الشام، وفضلات الأحزاب في مسيرة لمهاجمة الإمام المفروض الطاعة، وكان نظيرة الآخر ذو الرآيات التي اطلق عليها أمير المؤمنين بل هي رآيات الله وهي رآيات ربيعة^(٢)، وبعد أن تصاول الفريقان، وتطاحت الفرسان، تضعضعت مواقع ربيعة، ورجع المهاجمون القاسطون خوفاً من التعمق في معسكر أهل العراق، خشية الإلتفاف حولهم، وعزلهم، وتاسيرهم.

ولما يس عبيد الله من أن يجد ما يشفي صدره من ذلك الهجوم أعاد الكره مع من معه من أهل الشام منادياً أياهم: يا أهل الشام هذا الحمى من العراق مشيراً إلى ربيعة، أنهم قتلة عثمان بن عفان، وهم أنصار علي بن أبي طالب، وأن هزمت هذه القبيلة أدركتم ثاركم لعثمان، وهلك علي وأهل العراق فشدد على الناس شدة عظيمة.

فثبتت لهم ربيعة، وصبرت صبراً حسناً، إلا قليلاً من الضعفاء، ويقول نصر بن مزاحم: أن في ربيعة وحدها من عنزه دون غيرها أربعة آلاف مجفف^(٣).

(١) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٣٨٩ / ٤ مادة طغم. الصحاح: ١٩٧٥ / ٥ مادة طغم.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٢٨٨، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٣، الغارات: ٢ / ٧٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٢٦.

(٣) مجفف: وهو ما يجلل به الفرس تقيه السهم. أنظر الصحاح: ٤ / ١٣٣٨ مادة جفف.

وانتشرت الشكوك والظنون في الأثيم خالد بن المعمر بين صفوف أهل العراق كإنتشار النار في الهشيم، وعرف القاصي والداني إنه أتصل بالمشارك معاوية يساومه على بيع آخرته بديناه، وأتفق مع معاوية أن يعطيه خراسان أن هو أنتصر -ومعاوية ممن لا يعرفون الوفاء بعهد- وحاول الفتك بعضد ربيعة وأخل بإقدام بعضهم على أقل تقدير، وكانوا قد اشرفوا على وكر الزنيم ابن حرب، وأوشكوا من أخذ راسه وتطهير الأرض من أدرانته وأرجاسه.

وحين أعادت ربيعة تنظم صفوفها قام فيها خالد بن المعمر خطيباً يهبط عزائم القوم، ويحثهم على الكف والركون، فقام إليه رجال قومه فضر به وأهانوه، وقالوا له: قبح من خطيب قوم، وطرده.

وحين أشد القتال بين ربيعة وحمير، وكثرت القتلى بين الطرفين أحمر الباس في معسكر أمير المؤمنين فخرج منه نحو خمسمائة فارس أقسموا بالله، وبمحمد، وعلي، أن لا يرجعوا إلا باحدى الحسنين أما الظفر أو الشهادة، وكانوا غائصون بالحديد لا يرى منهم إلا الحدق^(١)، وخرج إليهم مثلهم من القاسطين، والتحموا بمعركة لم يرى التاريخ لها مثيلاً، تمخضت عن إستشهاد الأبطال المؤمنين من ربيعة، وقد أتوا على منازلهم عن اخرهم حتى لم يرجع إلى المعسكر مخبراً^(٢).

اللهم أشهد أن هذا أثم وأحد من آثام عدوك ابن آكلة الأكباد.

(١) الحدق: أي الظاهر من سواد العين. أنظر العين: ٣ / ٤١ مادة حدق.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٢٩١، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٢٤، الغارات: ٢ / ٧٩٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٢٨.

محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر

وكما مهدت لهذا الموضوع قبل قليل بحادثة الهرمان، وما تلاها من مضاعفات فكذلك أريد أن أمهد هنا بإيراد صورة من كتاب الشهيد والعبد الصالح محمد بن أبي بكر إلى الغاوي المشرك معاوية، وجوابه إليه، وإليك نسخة من الكتابين لإمعان النظر ملياً فيهما، وخاصة ما تضمنه كتاب الغاوي من أسرار تكشف لك عن المخطط الرهيب الذي استهدف آل محمد بعد إنتقال عميد عم رسول الله ﷺ إلى حضرة القدس وإنقلابهم على أعقابهم كما بقوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، وهذا الكتاب مأخوذ من مصدر لا يرقى إليه الشك أو يدانيه ريب وهو النهج البليغ.

فالرسالة الأولى من المجاهد الصابر الموالى لمحمد وآل محمد، وهو محمد بن أبي بكر إلى المشرك معاوية بن أبي سفيان، فسلام الله على أهل طاعة الله، ومقصد ابن أبي بكر في هذا الكتاب واضحاً وهو أن موالاة أمير المؤمنين عليه السلام هي الأساس في قبول دين الإسلام من عبده يوم القيامة، ونص الكتاب هو:

((فإن الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته، خلق خلقاً بلا عبث ولا ضعف في قوته، ولا حاجة به إلى خلقهم، ولكنه خلقهم عبيداً ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢)، وجعل منهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، ثم

(١) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

(٢) سورة الذاريات ٥١: ٥٦.

اخترهم على علمه فاصطفى وانتجب منهم محمداً ﷺ، فاختصه برسالته، وإختره لوحيه وأثمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصداقاً لما بين يديه من الكتب، ودليلاً على الشرائع.

فدعا إلى سبيل أمره بالحكمة الموعظة الحسنة، فكان أول من أجاب وأناب وصدقه ووافقه فأسلم وسلم أخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام فصدقه بالغيب المكتوم، وأثره على كل حميم، ووقاه كل هول، وواساه بنفسه في كل خوف، فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً في ساعات الأزل بالشدة والضيق، ومقامات الروح سابقاً فلا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت وهو هو السابق المبرز في كل خير، أول الناس إسلاماً، وأصدق الناس نية، وأطيب الناس ذرية، وخير الناس ابن عم.

وأنت اللعين ابن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتجتهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتخالقان في ذلك القبائل، على هذا مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوى ويلجأ إليك من بقية الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق ﷺ، والشاهد لعلي عليه الصلاة والسلام مع فضله وسابقته القديمة، أنصاره الذين ذكرهم الله في القرآن، ففضلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم حوله كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيافهم، ويهرقون دمائهم دونه، يرون الفضل في اتباعه، والشقاق والعصيان في خلافه.

كفيف - يا لك الويل - تعدل نفسك بعلي، وهو وارث رسول الله ﷺ ووصيه وأبو ولده، وأول الناس له اتباعاً وآخرهم به عهداً، يخبره في سره، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه، فتمتع ما استطعت بباطالك، ولتجدن لك ابن العاصي في غوايتك، فكأن أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهي، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا.

وأعلم إنك إنما تكايد ربك الذي قد آمنت كيده، وآيست من رَوْحِهِ، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غروب، وبالله وبإهل بيت رسوله عنك الغناء، والسلام على من اتبع الهدى^(١).

ألا طببت نفساً يا ابن أبي بكر، وطبت عاقبة فنعم المثنوى ونعم القرار، ولا علاج لهؤلاء الظلمة إلا قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(٢).

فأنظر جواب اللعين ابن اللعين المشرك الفاجر الكافر الغاوي معاوية بن صخر ابن آكلة الأكباد، ودقق، وامعن النظر فيما يقول ملياً:

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر.

سلام على أهل طاعة الله^(٣).

أما بعد.

(١) وقعة صفين: ١١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣/١٨٨.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٥٦.

(٣) قول ذلك وهو أول عدو من أعداء الله، من المؤلف.

((فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما أصفى به نبيه، مع كلام الفئة ووضعته، لرأيك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سابقته، وقرابته من نبي الله ونصرته له، ومواساته إياه، في كل خرف وهول، واحتجاجك علي، وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك.

فأحمده إلهاً صرف ذلك الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كنا وأبوك معنا في حياة نبينا، نرى حق ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلما اختار الله لنبيه ما عنده، وأتم له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أول من أبتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعواه إلى أنفسهما، فأبطا عنهما، وتلكأ عليهما، فهما به الهموم، وأرادوا به العظيم-أي القتل- فبايعهما وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا، وانقضى أمرهما.

ثم أقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان، يهتدي بهديهما، ويسير بسيرتهما، فعبته أنت وصاحبك، حتى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي، وبطنتما وظهرتما، وكشفتما له عدأوتكما وغلكما، حتى بلغتما منه مناكما، فخذ حذرک يا ابن أبي بكر، فستری وبال أمرک، وقس شبرک بفترک، تقصر عن أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه، ولا تلين عن قسر قناته ولا يدرك ذو مدى أناته.

أبوك مهّد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوله، وإن يكن جوراً فأبوك أسه ونحن شركاء، فبهديهِ اخذنا، وبفعله اقتدينا،

ورأينا أباك فعل ما فعل، فاحتذينا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدى لك أو دع.

والسلام على من أناب، ورجع عن غوايته وتاب))^(١).

التعليق:

لا يرقى إلى البحث والتعليق فوق كلامه سبحانه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢).

(١) وقعة صفين: ١١٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨٩/٣.

(٢) سورة آل عمران ٣: ١٤٤.

إنموذج من الرجز يوم صفين

هذا رجز أحد القاسطين أعداء الله

لم أرفسانا أشد بديهة	وأمنع منهم يوم تل الجماجم
غداة غدا أهل العراق كأنهم	نعام تلاقى في فجاج المخارم
إذا قلت قد ولوا أنابت كتيبة	مللملة في البيض شمت المقادم
وقالوا لنا: هذا علي فبايعوا	فقلنا ألا لا بالسيوف الصوارم ^(١)

فأنت يا علي أخو ونفس رسول الله بصريح القرآن: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢)، وأنت الذي قال فيه صاحب الجنة والنار في محكم كتابه: ﴿قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٣)، وحين سئل عنهم أجاب: ((علي وفاطمة وولدهما))^(٤).

وأنت هو الأمر الذي أوجب الله على نبيه تبليغه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٥)، وبعد إعلان الولاية الكبرى لأمر المؤمنين نزلت

(١) وقعة صفين: ٢٩٤، الفتوح: ٣ / ٣٨.

(٢) سورة آل عمران ٣: ٦١.

(٣) سورة الشورى ٤٢: ٢٣.

(٤) شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ١ / ١٨٩، مجمع البيان: ٩ / ٤٨.

(٥) سورة المائدة ٥: ٦٧.

الآية: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

وسوف ترى يوم العرض والحساب حين يسئلهم جل جلاله عن مدى تطبيقهم لأوامره هذه هل سينفعهم شعرهم وينقذهم كلامهم، فكلا وألف كلا.

اللهم ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ما دام هناك حق وباطل، جنة ونار، وما كنت معذبهم فيها حتى تبعث رسولا^(٢).

ولنسمع جواب أحد الموالين لمحمد وآل محمد من معسكر الوصي علي بن أبي طالب عليه السلام:

وقفنا لديهم يوم صفين بالقنا	لدن غدوة حتى هوت لغروب
وولى ابن حرب والرماح تنوشه	وقد أرضت الأسياف كل غضوب
نجالدهم طورا وطورا نصدهم	على كل محبوك السراة شبوب
بكل أسيل كالقراط ^(٣) ، إذا بدت	لوائحها بين الكماة، لعوب
نجالد غسانا وتشقى بحرنا	جذام ووتر العبد غير طلوب
فلم أرفسانا أشد حفيظة	إذا غشى الأفاق نفح جنوب
أكر وأحمى بالغطاريف والقنا	وكل حديد الشفرتين قzub ^(١)

(١) سورة المائدة ٥: ٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾، سورة الإسراء ١٧: ١٥.

(٣) القراط: شعلة السراج. الصحاح: ٣/ ١١٥١ مادة قرط.

اليوم التاسع من صفر

في يوم التاسع من صفر المشرك معاوية يرى أشباح الموت بعينه، وبهذا قال سر: (ثم ذهب هذا اليوم بما فيه، فأصبحوا في اليوم التاسع من صفر، وقد حث بوادئ الإنهيار والخسران في معسكر ابن آكلة الأكباد، فقام خطيباً، وأنفاسه يقطعها الحقد والخوف والذل، يستنصر في طغامه^(٢)) وأشاره من الحفاة الجفأة، والسفلة الوغاد، قائلاً لهم: (إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وحضركم ما حضركم، فإذا نهذتم إليهم أن شاء الله).

فقدموا الدارع، وأخروا الحاسر، وصفوا الخيل وأجتبوها، وكونوا كقص الشارب، وأعيرونا جماجمكم ساعة، فإنما هو ظالم أو مظلوم، وقد بلغ الحق مقطعة^(٣).

تعليق:

هذا المجرم السفاح يريد من طغامه وزبانيته أن يعيرونه جماجمهم ساعة، فإنما هو ظالم ومظلوم فأما إعاره جماجمهم أياء ساعة فإنه أمر ليس فيه لله سبحانه قيد شعرة، وإنما هو للشيطان وغوايته، ثم لنفترض أنه أمير يقودهم إلى النصر فهل يعني ذلك غير ملاحقة المؤمنين، وطمس معالم الدين، والتحكم في رقاب المسلمين، والتلذذ بأعراض وأموال العالمين.

(١) وقعة صفين: ٢٩٤.

(٢) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٣٨٩ / ٤ مادة طغم. الصحاح: ١٩٧٥ / ٥ مادة طغم.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣١/٥، وورد الخبر باختلاف يسير في وقعة صفين:

أما قوله ظالم أو مظلوم فقد صدق لعمرى فيها فالمظلوم فيها أمير المؤمنين، ومن تحت قيادته الصادقين الصابرين المجاهدين في سبيل الله ورسوله، وسيعلم الظالمين أي منقلب ينقلبون^(١).

يسارع الظالم إلى النار

الله أكبر هاهم أعداء الله ورسوله يسرعون إلى النار تباعاً، ففي الصباح التالي هجم جيش عدو الله ومن معها بقيادة ذو الكلاع وعبيد الله بن عمر بن الخطاب، وهدفهم ربيعة أيضاً.

فأستنفر لذلك المجاهد بكر بن وائل وممن تبعه فشدوا على العدو كأنهم غمامة سوداء مساندة لميسرة أمير المؤمنين ربيعة، وأنبرى ماجداً من أماجدها وكرماً من كرامها وشجاعاً من شجعانها يسمى خندف فصرع القاسط ذو الكلاع وطرحه أرضاً مهشماً، وبمصرعه ضعفت مقاومة معسكر الكفر، ولم يبق من فلولهم إلا اليسير، وقد التحقوا بعبيد الله بن عمر بن الخطاب^(٢).

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، سورة الشعراء ٢٦:

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٣٣.

أمر غريب

أن من أعرف الناس برسول الله محمد بن عبد الله ﷺ هذا الفاسق المدعو عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وهو من أعرف الناس كذلك بآل البيت ﷺ وصدقهم وطهارتهم من الرجس بإرادة ربهم^(١)، فمع ذلك فأسمعوا كلامه الغريب الخبيث، وقد لاحت بوادر الموت والإنهيار في صفوف القاسطين، وذلك عندما تقدم عبيد الله بإقتراح.

فما أغربه من إقتراح وما أكثر مجافاته لحقائق الأمور، فقد كتب إلى الإمام السبط أبا محمد الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ: (إن لي إليك حاجة فالقني، فلقية الحسن ﷺ، فقال له عبيد الله: أن أباك وتر قريشاً أولاً وآخرأً، وقد شنته الناس، فهل لك في خلعه وأن تتولى أنت هذا الأمر؟)^(٢).

سبحان الله أن طاعة أمير المؤمنين فرضها الله على الناس أجمعين، وفي مقدمة الذين يعرفون حقه ومقامه وعدالة قضيته هم عشيرة رسول الله الأقربين^(٣) الذين دعاهم الله سبحانه في قرآنة الكريم، أما السبطين الحسن والحسين ﷺ فهم ليس عشيرته فقط بل ولدي رسول الله وسيدا شباب أهل الجنة.

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣ / ٥، وورد الخبر باختلاف يسير في وقعة صفين: ٢٩٧.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، سورة الشعراء ٢٦: ٢١٤.

فإذا كان الأمر كذلك أفلا يكون طلب هذا المقعد من الإمام السبط أبا محمد الحسن الزكي كالطلب إلى رسول الله جده العظيم ﷺ بترك أمر الله والتخلي عن رسالته، ومواكبة المشركين.

أما جواب الإمام الحسن عليه السلام لهذا الفاسق هو: ((كلا لا يكون ذلك، ثم لم يكتف بالرفض بطبيعة الحال وإنما زاده قائلاً له: وكأني أنظر إليك يا عبيد الله مقتولاً في يومك هذا أو غدك، أما أن الشيطان قد زين لك وخدعك حتى أخرجك مخلقاً بخلق، ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله سبحانه، ويبطحك لوجهك قتيلاً))^(١).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٣ / ٥، وقعة صفين:

صدق الإمام الحسن عليه السلام

فقد صدق الإمام، وقتل عبيد الله بن عمر فجر ذلك اليوم نفسه، وبذلك قال نصر: (فو الله ما كان إلا بياض ذلك اليوم حتى قتل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وهو في كتيبة رقطاع وكانت تدعى الخضرية، وكانت تضم أربعة آلاف محارب عليهم ثياب خضر.

فمر الحسن عليه السلام فإذا برجل متوسد برجل قتيل، قد ركز رمحه في عينه، وربط فرسه برجله، فقال السبط الإمام الحسن عليه السلام لمن معه: أنظروا من هذا؟ فإذا رجل من همدان، وإذا القتيل هذا الفاسق المدعو عبيد الله بن عمر بن الخطاب قد قتله الهمداني في أول الليل، وبات عليه حتى أصبح؛ ليثبت للناس حجة الإمام الحسن عليه السلام^(١).

وأن أهل البيت لا ينطقون من جزافاً، وأن هو إلا علم إنتقل إليهم من جدهم العظيم رسول رب العالمين جاء به وحي ربه سبحانه، وكأنه مع القتيل سيف أخذه منه قاتله، ولما دارت الأمور لابن آكلة الأكباد أرسل وراء هذا الهمداني الكريم، وأسترجه السيف منه^(٢).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٣٣.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٣٤.

إنموذج من رجز القتيل

أنا عبيد الله ينميني عمر خير قریش من مضى ومن غبر
إلا نبي الله والشيخ الأغر قد أبطأت عن نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر وسارع الحي اليمانون الغرر
والخير في الناس قدما يتدر^(١)

أما قول أباه: (لولا علي لهلك عمر)^(٢)، وقوله: (لا أبقاني الله لمعضلة
ليس لها أبو الحسن)^(٣)، فقد طواهل القتيل من تاريخ أبيه، وأن ما ورد في
القرآن الكريم بحق أمير المؤمنين ﷺ من الفضل لا مزية له عنده، وهذا رجز
الحريث بن جابر الحنفي^(٤)، جواباً على رجز الفاسق القتيل:

قد سارعت في نصرها ربيعه في الحق والحق لهم شريعة
فاكفف فلست تارك الواقعة في العصبة السامعة المطيعة
حتى تذوق كأسها الفظيعة^(٥)

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٤ / ٥.

(٢) الرياض النضرة: ٣ / ١٦١، نظم درر السمطين: ١٣٠.

(٣) مناقب ابن شهر آشوب: ١ / ٣١١.

(٤) الرياض النضرة: ٣ / ١٦١، نظم درر السمطين: ١٣٠.

(٥) هو حريث بن جابر الحنفي البكري أو الجعفي، أحد رواة وأصحاب الإمام علي بن أبي طالب ﷺ. أنظر رجال الطوسي: ٦١، نقد الرجال: ١ / ٤٠٩، مستدركات علم رجال الحديث: ٢ / ٢٢٥.

فذاقها بطعم أمر من العلقم من سيف الهمداني، وما عند الله أفضع وأبقى.

جثة القتيل العيين عبيد الله

أما حال جثة القتيل يظهرها إبراهيم بن ديزيل الهمداني عندما قال: (شدت ربيعة الكوفة، وعليها زياد بن حفصة على عبيد الله بن عمر الخطاب ذلك بنفس اليوم الذي أوعده الإمام الحسن عليه السلام بالقتل، وكان ابن آكلة الأكباد قد أقرع بين الناس، فخرج سهم عبيد الله بن عمر.

وسبحان رب العزة عما يصفون كيف أحكم الله جل جلاله الأمر ليخرج هذا الفاسق إلى أجله ويمشي إلى مصرعه في الخطة التي أخبره عنها ابن حاتم النبين!

وما أن التحم الفريقان حتى تم للهمداني البطش به، وحين ضرب فسطاط^(١) زياد بن خصفة بقي طنّب من الاطناب^(٢) لم يجدوا له وتيرا، فشدوا برجل عبيد الله بعد أن سجدوه، وربطوا الطنب الخالي من الوتد برجله، وأقبلت أسماء بنت عطارذ بن صاحب بن زرارة اليتيمي وسجيرة بنت هانئ بن قبيصة الشيباني حتى وقفوا عليه فبكتاه وصاحتا.

فخرج زياد بن خصفة فقبل له هذه سجيرة بنت هانئ بن قبيصة الشيباني ابنة عمك، فقال لها: ما حاجتك يا بنت أخي؟

(١) فسطاط: بيت من شعر. الصحاح: ٣ / ١١٥٠ مادة فسط.

(٢) الطنب: جبل الخباء والسرادق ونحوهما. العين: ٧ / ٤٣٨ مادة طنّب.

قالت: تدفع زوجي الي.

فقال: نعم، فخذني فجني ببغل فحملته عليه فذكر أن يداه ورجليه خطتا بالأرض عن ظهر البغل^(١).

محاورة في الحق

وهي محاورة بالحق وقعت بين أبناء العشيرة والواحدة حدثنا بها عمرو بن شمر، عن جابر، قال: (لما حمل ذو الكلام ذلك اليوم بفيلقه العظيم من حمير على صفوف أهل العراق ناداهم حمير العراق أبو شجاع الحميري، وكان من ذوي البصائر مع أمير المؤمنين.

فقال: يا معشر حمير تبت أيديكم، أترون معاوية خيراً من علي؟!

أضل الله سعيكم، ثم أنت يا ذا الكلاع فوالله كنا نرى أن لك نية في الدين.

فقال ذو الكلاع: إيها يا أبا شجاع، والله إني لأعلم ما معاوية بأفضل من علي، ولكنني أقاتل على دم عثمان، وما هو إلا وقت وقد صرع فيها ذو الكلاع وخر على وجهه في النار الموصدة، وقاتله هو خندف بن بكر البكري^(٢).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير في تاريخ مدينة دمشق: ٧١ / ٣٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٦ / ٥.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير في وقعة صفين: ٣٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٥.

نقل جثة الفاسق إلى معسكر الكفر

قد رأيت فيما مضى من محاور كيف أخذت سجرية بنت هانئ بن قبيصة الشيباني جثة زوجها القتيل من الزعيم زياد بن خصفة محمولاً على بغل، ورجلاه ويداه تخطان بالأرض^(١)، وإليك رواية تصف كيفية نقل جثة الفاسق الآخر ذو الكلاع، فقد قال نصر: حدثنا عمرو، قال: حدثنا الحارث بن حصيرة: (أن ابن ذي الكلاع حين بلغه مصرع أبيه ارسل إلى الأشعث بن قيس -وهو أحد قادة أمير المؤمنين الذين كانوا يكتبون ابن آكلة الأكباد سراً، وهو الذي سعر النار على أمير المؤمنين يوم التحكيم، وجعدة بنت الأشعث بن قيس هي التي اقتحمت النار بتسميم ابن رسول الله السبط أبا محمد الحسن عليه السلام، وسيرون العذاب الأليم الذي كانوا به يستهزئون وما ربك بظلام للعبيد^(٢) - رسولاً يسأله أن يسلم جثة أبيه.

فقال له الأشعث: أني أخاف أن يتهمني أمير المؤمنين عليه السلام في أمره فأطلبه من سعيد بن قيس فهو في الميمنة، فذهب إلى ابن آكلة الأكباد، وأستأذنه أن يدخل إلى معسكر أمير المؤمنين ليطلب أباه من بين القتلى.

فقال له: أن علياً قد منع أن يدخل منا أحد إلى معسكره، يخاف أن يفسد عليه جنده، فأرسل ابن ذي الكلاع إلى سعيد بن قيس الهمداني يستأذنه في

(١) أنظر تاريخ مدينة دمشق: ٣٨ / ٧١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٣٦.

(٢) أنظر اليمين واليسار في الإسلام: ١٣٨، شرح الأخبار: ٣ / ١٢٤.

ذلك، فقال سعيد: إنا لا نمنعك من دخول العسكر، إن أمير المؤمنين لا يبالي من دخل منكم إلى معسكره، فادخل.

فدخل من قبل الميمنة، فطاف في العسكر فلم يجده، ثم أتى الميسرة وطاف في العسكر فوجده قد ربطت رجله بطنب^(١) من اطناب بعض فساطيط^(٢) العسكر فوقف على باب الفسطاط وقال: السلام عليكم يا أهل البيت. فقليل له: وعليك السلام.

فقال: أتأذنون لنا في طنب من اطناب فسطاطكم؟ ومعه عبد أسود لم يكن معه غيره.

فقالوا: قد أذننا لكم.

قالوا له: معذرة إلى الله وإليكم، أما إنه لولا بغيه علينا ما صنعنا به ما ترون، فنزل ابنه إليه فوجده قد انتفخ، وكان من أعظم الناس خلقاً فلم يستطيعا احتماله.

فقال ابنه: هل من فتى معاون؟

فخرج إليه خندف البكري، فقال: تنحوا عنه.

فقال له ابن ذي الكلاع: ومن يحمله إذا تنحينا؟

(١) الطنب: حبل الخباء والسرادق ونحوهما. العين: ٧ / ٤٣٨ مادة طنب.

(٢) فسطاط: بيت من شعر. الصحاح: ٣ / ١١٥٠ مادة فسط.

قال: يحمله قاتله، فاحتمله خندف حتى رمى به على ظهر بغل، ثم شدّه بالحبال، فانطلقوا به^(١).

ومقابل هذا الموقف النبيل نجد الحبيث ابن آكلة الأكباد مشدود الهمة مسرور القلب بقتل أكبر أعوانه وأنصاره وهو ذو الكلاع، كما هو ظاهر بكلام نصر عندما قال: أن الفاسف ابن آكلة الأكباد حين بلغة مصرع ذو الكلاع قال: (لأنا أشد فرحا بقتل ذي الكلاع مني بفتح مصر لو فتحتها، لأن ذا الكلاع كان يعارضني في أشياء كثيرة كنت أمر بها)^(٢).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٨ / ٥.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٨ / ٥.

أمير المؤمنين ورؤية الحُضَيْن ورؤية رسول الله ﷺ

عزم الحُضَيْن أمره وعقد نيته على الإستشهاد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام لكي يلتحق بالجنة، وقد اشتد الباس وصارت الناس تطحن بعضها بعضاً، وبهذا الوقت نجد الحُضَيْن بن المنذر، يقول: أيها القوم، لقد أعطاني أمير المؤمنين عليه السلام رؤية ربّية، وقال لي باسم الله سر يا حُضَيْن، وأعلم أنه لا تخفق على راسك رؤية مثلها أبداً، فإنها رؤية رسول الله ﷺ.

قال: فجاء أبو عرفاء جبلة بن عطية الذهلي إلى صاحب الرؤية، وقال له: هل لك أن تعطيني الرؤية أحملها فيكون لك ذكرها، ولي أجرها.

فقال الحُضَيْن: وما غنائي يا عم مع ذكرها عن أجرها؟

قال: إنه لا غنى بك عن ذلك، ولكن أعرها عمك ساعة، فما أسرع ما ترجع إليك.

قال الحُضَيْن: فقلت إنه قد استقتل، وإنه يريد أن يموت مجاهداً.

فقلت له: خذها، فأخذها، ثم قال لأصحابه: إن عمل الجنة كره كله وثقيل، وإن عمل النار خف كله وخيىث، إن الجنة لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأوامره، وليس شيء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد، هو أفضل الأعمال ثواباً عند الله، فإذا رأيتُموني قد شددت فشداً، ويحكم أما تشتاقون إلى الجنة أما تحبون أن يغفر الله لكم.

فشد وشدوا معه، وقاتلوا قتالاً شديداً كالبنيان المرصوص، وقاتلوا قتالاً
مريراً حتى سقطت راية رسول الله، وإذا عم الحضين أبو عرفاء شهيداً والراية
تدفع إلى صاحبها الحضين بعد أن أدى عمه الشهيد الذي عليه ونال مبتغاه في
معانقة أهل الجنان، ففضبت ربيعة الثائرة بشهيدها عم الحضين، وشدت شدة
منكرة على القاسطين فحطمت صفوفهم وفرقت حشودهم بين قتيل وجريح
وشريد ومجزأة بن ثور يرجز قائلاً:

أضربهم ولا أرى معاوية الأبرج العين العظيم الحاويه
هوت به في النار أم هاويه جاوره فيها كلاب عاويه
أغوى طغاما لا هدته هادبه^(١)

الماء واللبن والسويق^(٢) واللحم والثريد

ضرب حريث بن جابر قبة حمراء بين صفين جعلها دار سقاية وثريد
لأهل العراق يسقيهم الماء واللبن، ويطعمهم السويق واللحم والثريد، فمن
شاء أكل ومن شاء شرب، وفي ذلك يقول شاعرهم:

فلو كان بالدهنا حريث بن جابر لأصبح بحرا بالمفازة جاريا^(٣)

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣٩ / ٥.

(٢) السويق: ما يتخذ من الخطة والشعير. لسان العرب: ١٠ / ١٧٠ مادة سوق.

(٣) أنظر وقعة صفين: ٣٠١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٠ / ٥.

حقد الزنيم ابن العاهرة هند

وقد دارت الأمور بإرادة الرحمن إلى معسكر الشيطان، لكي يزداد أهله أثاماً إلى أثامهم، وضلالاً إلى ضلالهم، ومروقاً إلى مروقهم، وتم الأمر لابن أكلة الأكباد بعد إنتقال أمير المؤمنين إلى الفردوس الأعلى، وكتب هذا الفاسق إلى عامله زياد بن أبيه: (أن أعزل حريث بن جابر عن ولاية همدان، فإنه ليضيق صدري حين أذكر مواقفه في صفين.

فأجابه زياد: خفظ عليك أيها الأمير، فأن حريثاً قد بلغ من الشرف لا تزيده الولاية ولا ينقصه العزل)^(١).

ليلة الهرير

وما أدراك ما ليلة الهرير، هي ليلة التحم الناس سعيدها وشقيها حتى لم تعد تعرف هوية المتحاربين، وقد تضاربوا بالسيوف حتى تقطعت وتكسرت وصارت كالمناجل، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تقصفت^(٢)، وتناثرت استنثها، ثم جثوا على الركب فتناثروا بالتراب يحث بعضهم التراب في وجه بعض ثم تقاذفوا بالصخر والحجارة، ويا ويلك يا معاوية.

(١) أنظر ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ١/ ٤٥٢، التذكرة الحمدونية: ٢/ ٢٦ ح ٣١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٤١.

(٢) قصفت: أي تكسرت. أنظر العين: ٥/ ٦٦ مادة قصف.

ثم تجاوزوا فكان الرجل من أهل العراق يمر على أهل الشام، فيقول: كيف أخذ إلى رآيات بني فلان، فيقول: ها هنا لا حفظك الله ولا عافاك^(١).

أسود الله تحديق بولي

قال ابن آكلة الأكباد، وهو من الهزيمة قاب قوسين أو أدنى لعمر بن العاص: (أما ترى يا أبا عبد الله ما قد دفعنا فيه، كيف ترى أهل العراق غداً صانعين إنا لمعرض خطر عظيم؟

فقال له عمرو: إن أصبحت غداً ربعة وهم متعطفين حول علي تعطف الإبل حول فحلها، لقيت منهم جلاداً صادقاً، وبأساً شديداً، وكانت التي لا يتعزى لها.

فقال له معاوية: أيجوز أنك تخوفنا يا أبا عبد الله؟

قال: إنك سألتني فأجبتك، فلما أصبحوا في اليوم العاشر أصبحوا وربعة محدقة بعلي عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها^(٢).

(١) أنظر وقعة صفين: ٣٠٤، الفتوح: ٣ / ١٣١.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٣٠٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ /

ولي الله بين رأيات ربيعة

قال نصر، حدثني عمرو، قال: لما أصبح علي عليه السلام صباحه جاء فوقف بين رأيات ربيعة، فقال عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبة: (يا معشر ربيعة حاموا عن علي منذ اليوم^(١))، فإن أصيب فيكم افتضحتم، ألا ترونه قائماً تحت رأياتكم.

فقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة، ليس لكم عذر عند العرب إن أصيب علي وفيكم رجل حي فامنعوه اليوم واصدقوا عدوكم اللقاء، فإنه حمد الحياة تكسبون^(٢).

فبخ بخ لك يا شقيق بن ثور فما هي إلا رحمة ربك العلي الأعلى ورضوانه.

سبعة آلاف سيف يبايع على الموت

الله أكبر سبعة آلاف سيف يبايع علياً على الموت، فبعد أن تكلم من تكلم أحشدت في الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله وولاية ولي الله سبعة آلاف سيف، أقسموا جميعاً بالله ورسوله واليوم الآخر وولاية علي خليفة الحق، أن لا ينظر رجل منهم خلفه حتى يحيطون بسرادق معاوية بن هند.

وبعد أن أقسموا أمام الله، وأميرهم قائد الميامين وضرغام الغر المحجلين حملوا حملة رجل واحد، وإن دفعوا كالسهم يشقون الصفوف نحو سرادق

(١) رحمك الله مع الأبرار الصاغين من عباده، من المؤلف.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٢ / ٥.

الزنين بن آكلة الأكباد، ولما نظر إليهم كالغمامة السوداء مندفعون نحوه وبين سيوفهم المنايا، أرتعدت فرائسه، وبذلك روى نصر، حدثني عمرو، حدثني ابن أخي عتاب بن لقيط البكري من بني قيس بن ثعلبة: (يا معشر ربيعة، أن علياً إنتهى إلى رأيات ربيعة، فإن أصيب علي فيكم أفتضحتم، وقد لجأ إلى رأياتكم).

وقال لهم شقيق بن ثور: يا معشر ربيعة، ليس لكم عذر في العرب إن أصيب علي فيكم ومنكم رجل حي، إن منعموه فحمد الحياة ألبستموه^(١).

فقاتلوا قتالاً شديداً لم يكن قبله مثله ففي ذلك تعاقدوا وتواصوا، ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يردا سرادق معاوية، فلما نظر إليهم معاوية قد أقبلوا قال:

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت كتائب منهم كالجبال تجالد^(٢)

والتفت إلى مستشاره ابن العاص، وقال له: (يا عمرو ما ترى مما دهمنا؟

قال: أرى إلا تحنث^(٣) أخوالي اليوم)^(٤).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٤٢.

(٢) وقعة صفين: ٣٠٦.

(٣) تحنث: أي قاموا بذنب وأثم عظيم. أنظر لسان العرب: ٢ / ١٣٨ مادة حنث.

(٤) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٣٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ /

فرار الزنيم معاوية

لما أقبلت فيالق الموت، يعلوها ذو الفقار، فر ابن آكلة الأكباد تاركاً سرادقه ورجاله، وخرج هائجاً على وجهه لائذاً ببعض مضايق المعسكر، متخفياً في خلف وبين الناس، وهو يطلب إليهم كتمان أمره.

وقد إنتفضت ربيعة الموت على سرادق معاوية، وأخذت كل ما فيها إلا جثته النجسة، فقد غابت عن المكان إلى مؤخرة المعسكر المهشم، فراراً من الموت^(١).

الخيانة الواقعية

بدات تتحطم مقاومة جيش معاوية، وتسري فيه روح الهزيمة سريان النار في الهشيم، وإحتلت فيالق الموت من ربيعة فسطاط^(٢) ابن آكلة الأكباد، وأصبح الموت الزئام منه قاب قوسين أو أدنى، فبعث الزنيم رسولا من مخبئه وملجاءه إلى خالد بن العمر المهتم بمطالبته آياه يعده بولاية خراسان أن أوقف هجومه، وتركه حياً.

فخان هذا المجرم الأثم بعد أن شارفت ربيعة على النصر النهائي، وقاربت على تخلص العالمين من إبليس هذه الأمة، وأخذ راسة وتقديمه إلى

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٣٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٤٢.

(٢) فسطاط: بيت من شعر. الصحاح: ٣/ ١١٥٠ مادة فسط.

الخليفة الحق، وإنهاء الحرب على النمط الذي إنتهت إليه حرب الجمل بعد سقوط راسي طلحة والزبير.

فأوقف هذا الخائن هجومه الصاعق، ولم يتمه، وقال لقومه ربيعة: لقد بررتكم بإيمانكم وملكتكم سرادق معاوية، فكفوا عن القتال^(١).

موت الخائن وولاية خراسان

ومحورنا هذا هو يموت هذا الخائن الاثيم المدعو خالد بن المعمر قبل حصوله على ولاية خراسان، ونواله مبتغاه.

فقد نقلت عن كتاب صفين أيضاً: أن الأمور حين تم إنحيازها نحو الدنيا، وأستلم شيطان هذه الأمة ابن آكلة الأكباد الأمور، وتنحى الإمام السبط أبا محمد الحسن بن رسول الله عن الخلافة إضطراراً؛ لتخلي أصحابه عنه، بعث إليه ليبر بالوعد المبطل، وأعطاه ولاية خراسان، وحين توجه إليها مات في طريقه، وقد تربت يد البائع وخسرت يد المبتاع، فلا خراسان في الدنيا وفي الآخرة هم وقود النار^(٢).

(١) أنظر وقعة صفين: ٣٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٤٢.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٣٠٦.

الخطبة العسكرية العلوية المذهلة

قال نصر: في حديث عمرو بن سعد: (أن أمير المؤمنين عليه السلام صلى بقومه هذا اليوم صلاة الغداة، ثم رحف بهم، فلما أبصروه خصومه استقبلوه بزحوفهم، فاندفع من جيش أمير المؤمنين نحو ألف فارس كالسهم، وغاصوا بمعسكر الهواشم، وتم تطويقهم.

وقد انفردوا تماماً عن معسكر أمير المؤمنين، فقام بأبي وأمي مبدع قواعد الحروب، وخالق أنظمتها وخططها، ونادى بأعلى صوته الكريم: ((ألا رجل يشري نفسه لله، ويبيع ديناه بأخرته؟

فأتاه رجل من جعف يقال له عبد العزيز بن الحارث على فرس أدهم كأنه غراب، مقنعا في الحديد، لا يرى منه إلا عيناه، فقال: يا أمير المؤمنين، مرني بأمر، فوالله ما تأمرني بشئ إلا صنعته.

فقال علي عليه السلام:

سمحت بأمر لا يطاق حفيظة	وصدقا، وإخوان الحفاظ قليل
جزاك إله الناس خيرا فإنه	لعمرك فضل ما هناك جزيل

ثم قال عليه السلام: يا أبا الحارث، شد الله ركنك، احمل على أهل الشام حتى تأتي أصحابك فتقول لهم: أن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام، ويقول لكم: هللووا وكبروا من ناحيتكم، ونهلل نحن ونكبر من هاهنا، واحملوا من جانبكم، ونحمل نحن من جانبنا على أهل الشام.

فضرب الجعفي فرسه، حتى إذا قام على سناكه، حمل على أهل الشام المحيطين بأصحاب علي عليه السلام فطاعنهم ساعة وقتلهم، فأنفروا له حتى أتى أصحابه، فلما رأوه استبشروا به وفرحوا، وقالوا: ما فعل أمير المؤمنين؟

قال: صالح، يقرئكم السلام، ويقول لكم: هللو وكبروا، واحملوا حملة رجل واحد من ذلك الجانب))، فهللوا وكبروا وهلل أمير المؤمنين عليه السلام وكبر هو وأصحابه، وحمل باتجاه ذوي التكبير الذي هز الأرض، وأسمع أهل السماء، وأفزع أهل الشام من هذه المفاجئة المفزعة المذهلة واستولى عليهم الجزع والهلع.

فانفروا عنهم صاغرين مخذولين باذن الله ورحمة منه، فالتحموا دون أن يصيب أحد منهم مكروه بفيالق القائد المظفر أبا الحسين، وقد خسر أهل الشام في هذه المعركة ذات الحدين بنحو سبعمائة فارس^(١).

(١) أنظر وقعة صفين: ٣٠٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٤٣.

أمير المؤمنين عليه السلام يسئل الناس

وقد عمت الفرحة فيالق علي أمير المؤمنين بعودة الفيلق المحاصر سالماً،
ونادى أبو الحسن عليه السلام عليها: ((من أعظم الناس اليوم غناء؟
فقالوا: أنت يا أمير المؤمنين.
فقال: كلا، ولكنه الجعفي))^(١).

القبائل العراقية تشتكي لأمير المؤمنين عليه السلام

القبائل العراقية الموالية لأمير المؤمنين عليه السلام تشكي إحتكار ربيعة الجهاد
لنفسها، وتطلب إليه توزيعه على القبائل الأخرى.

وأن ذلك ذلك على شيء فيدلك على غير الصدق في القريحة والنية
الصادقة في الفداء والوفاء والإخلاص في الجهاد في سبيل الله ورسوله ووليه،
ولقد كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول كثيراً على ربيعة لما يتوسمه فيهم من روح
التضحية والفداء حتى صار سلام الله عليه يدخرهم للملمات والمواطن
الحرجة، مما أثار حفيظة القبائل الأخرى بشعورها بالحرمان من الجهاد، وما
يترتب عليه من فخار وسؤدد شملت به ربيعة.

فاجتمع رؤساء القبائل الأخرى، وعقدوا مؤتمر فيما بينهم، فقرروا فيه
عرض شكواهم أو رأيهم على أمير المؤمنين عليه السلام بأن يعفي ربيعة بعض الوقت
من القتال، ويوزعه عليهم بالتعاقب لينل كل منهم مهمة من فخار يزين

(١) وقعة صفين: ٣٠٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٤٣.

دنياهم ويسعد آخرتهم، وقرروا إيفاد كل من أبو الطفيل عامل بن وائلة الكناني، وعمير بن عطار بن حاجب بن زرارة التميمي، وقبيصة بن جابر الأسدي، وعبد الله بن الطفيل العامري؛ لمواجهة أمير المؤمنين، وعرض ما اتفقوا عليه، وحين وأجهوه قالوا له: إنا والله ما نحسد قوماً خصهم الله منك بخير إن أحمده وشكروه، وإن هذا الحي من ربيعة قد ظنوا أنهم أولى بك منا، وإنك لهم دوننا، فاعفهم عن القتال أياماً، وأجعل لكل أمرئ منا يوماً يقاتل فيه، فإننا إذا اجتمعنا أشتبه عليك بلاؤنا.

فقال علي: ((أعطيتم ما طلبتم يوم الأربعاء))، وأمر ربيعة أن تكف عن القتال، وكانت بإزاء اليمن من صفوف أهل الشام^(١).

كثانة تتقدم صفوف المقاتلين

وبعد أن وافق أمير المؤمنين على توزيع الواجبات الحربية على القبائل المنطوية تحت لواء الحق، تقدمت كثانة تحت لواء زعيمها أبو الطفيل عامل بن وائلة، وقد عدت كثانة من ذوات الباس الشديد، وكان صاحب رأيهم الزعيم أبو الطفيل عامر بن وائلة يتكلم ويرجز:

والله يجزيها به جنانه	قد ضاربت في حربها كثانه
أو غلب الجبن عليه شانه	من أفرغ الصبر عليه زانه
غدا يعض من عصى بنانه	أو كفر الله فقد أهانه

(١) انظر وقعة صفين: ٣٠٩، الفتوح: ٩٩/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٤٤، بحار الأنوار: ٣٢/٤٨٤ ح ٤١٩.

فقاتلوا قتالاً شديداً^(١).

زعيم كنانة يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام

وبعد أن فرغت كنانة من جهادها، وقتلت من قتلت، وأستشهد منها من أستشهد، جاء زعيمها أبو الطفيل إلى أمير المؤمنين، وقال له: (يا أمير المؤمنين، إنك أنبأتنا أن أشرف القتل الشهادة، وأحظى الأمر الصبر، وقد والله صبرنا حتى أصبنا، فقتلنا شهيد، وحيناً سعيد.

فليطلب من بقي ثأر من مضى، فإننا وإن كنا ذهب صفونا، وبقي كدرنا، فإن لنا ديناً لا يميل به الهوى، ويقينا لا ترحمه الشبهة)، فأثنى علي عليه السلام عليه خيراً^(٢).

مضر وتميم بعد كنانة

وحين جاء دور مضر الكوفة قام رئيسها محمد بن عطار، وقال: يا قوم، إني أتبع آثار أبي الطفيل، فاتبعوا آثار كنانة، ثم قدم رأيته، وارتجز بقوله:

قد صابرت في حربها تميم	إن تيمماً حقهاً عظيماً
لها حديث ولها قديم	إن الكريم نسله كريم
دين قويم وهوى سليم	إن لم تردهم رايتي فلو موموا

(١) أنظر وقعة صفين: ٣١٠، الفتوح: ١٠٠/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٤٤.

(٢) وقعة صفين: ٣١٠، الفتوح: ١٠٠/٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٤٥.

فاستبسل رضوان الله تعالى عليه واستمات حتى خضب رأيته، وقاتل أصحابه قتالاً شديداً حتى أمسوا، وإنصرف عمير إلى علي عليه السلام وعليه سلاحه، فقال: (يا أمير المؤمنين، قد كان ظني بالناس حسناً، وقد رأيت منهم فوق ظني بهم، فقد قاتلوا من كل جهة وبلغوا من عفوهم جهد عدوهم، وهم لهم إن شاء الله) ^(١).

بني أسد بعد مضر وتميم

وغدا في اليوم الثالث قبضة بن جابر الأسدي من بني أسد، وقال لأصحابه: يا بني أسد، أما أنا فلا أقصر دون صاحبي، وأما أنتم فذاك إليكم، ثم تقدم برأيته وقال:

قد حافظت في حربها بنو أسد	ما مثلها تحت العجاج من أحد
أقرب من يمن وأنأى من نكد	كيما يارزلي ثبيراً واحداً
لسنا بأنكاس ولا بيض البلد	لكننا أمجد من حي معد
كنت ترانا في العجاج كالأسد	يا ليت روحي قد أبانت عن جسد ^(٢)

(١) أنظر وقعة صفين: ٣١١، الفتوح: ١٠٠ / ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٥ / ٥.

(٢) وقعة صفين: ٣١١، الفتوح: ١٠١ / ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٥ / ٥.

زهو وفخر

وبعد أن أدت مضر ما عليها ووجدت نفسها على الصعيد الذي تستوي عليه ريعة، قال زعيمها أبو الطفيل عامر بن واثلة الكناني مفاخرًا:

حامت كنانة في حربها	وحامت تميم وحامت أسد
وحامت هوازن يوم اللقا	فما خام منا ومنهم أحد
لقينا الفوارس يوم الخميس	والعيد والسبت ثم الاحد
لقينا قبائل أنسابهم	إلى حضرموت وأهل الجند
فأمدادهم خلف آذانهم	وليس لنا من سوانا مدد
فلما تنادوا بأبائهم	دعونا معدا ونعم المعد
فظلنا نفلق هاماتهم	ولم نك فيها بيض البلد
ونعم الفوارس يوم اللقا	فقل في عديد وقل في عدد
وقل في طعان كفرغ الدلاء	وضرب عظيم كنار الوقد
ولكن عصفنا بهم عصفه	وفى الحرب يمن وفيها نكد
طحنا الفوارس وسط العجاج	وسقنا الزعانف سوق النقد
وقلنا على لنا والد	ونحن له طاعة كالولد ^(١)

أما بعض الذين خلفتهم الضرورة عن الجهاد بين يدي أمير المؤمنين يحترقون شوقاً، ويتضورون ألماً لعدم مشاركتهم في الحرب المقدسة، وأعطيكُم مثلاً منهم عقبة بن مسعود عامل أمير المؤمنين على الكوفة يكتب إلى الجبهة

(١) وقعة صفين: ٣١٢، الفتوح: ٣/ ١٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٤٦.

يعرض تحرقه للقاء العدو، ويوجه خطابه إلى رفيق له، هو سليمان بن صرد الخزاعي، وإليك نسخة من كتابه:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من عقبة بن مسعود عامل أمير المؤمنين عليه السلام على الكوفة، إلى سليمان بن صرد الخزاعي سلام الله عليكم^(١): ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدَأَ^(٢)﴾، فبالله عليكم هلا أمعنتم النظر مرتين أو ثلاث في مدى إنطباق هذه الآية الكريمة على طبيعة الظرف، وقيمة المقام الذي تجسدت صورة في صفين بين معسكر الحق ومعسكر الباطل، ولقد والله لأرى عاقبة ابن مسعود في اختياره هذه الآية الكريمة لأصحابه وهم في موطنهم ذاك، فإنه فصل توسع وأختصر؛ فأوجز وأغنى نفسه عن مئات الصفحات، ويتم رسالته بقوله: عليك بالجهاد والصبر مع أمير المؤمنين والسلام^(٣).

(١) رحم الله عقبة بن مسعود عامل أمير المؤمنين على الكوفة، أنظر إلى الآية القرآنية التي أستشهد بها وهو يريد أن يلتحق بجهة القتال، ويكتب إلى رفيقه سليمان بن صرد الخزاعي يوصيه بالإخلاص لأمر المؤمنين، من المؤلف.

(٢) سورة الكهف ١٨: ٢٠.

(٣) أنظر وقعة صفين: ٣١٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٤٧.

خطاب ولي الله في موطن من مواطن صفين

قال نصر: وحدثنا عمرو بن سعد، وعمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر، قال: قام أمير المؤمنين فخطب في الناس، وقال: ((الحمد لله على نعمه الفاضلة على جميع من خلق، من البر والفاجر، وعلى حججه البالغة على خلقه من أطاعه فيهم ومن عصاه، إن يرحم بفضله ومنه، وإن عذب فيما كسبت أيديهم، وإن الله ليس بظلام للعبيد.

أحمدته على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وأستعينه على ما نابنا من أمر الدنيا والآخرة، وأتوكل عليه وكفى بالله وكيلًا، ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ارتضاه لذلك وكان أهله، واصطفاه لتبليغ رسالته، وجعله رحمة منه على خلقه، فكان علمه فيه رؤوفاً رحيماً، أكرم خلق الله حسبا، وأجملهم منظراً، وأسخاهم نفساً، وأبرهم لوالداً، وأوصلهم لرحم، وأفضلهم علماً، وأثقلهم حملاً، وأوفاهم لعهد، وآمنهم على عقد، لم يتعلق عليه مسلم ولا كافر بمظلمة قط، بل كان يظلم فيغفر، ويقدر فيصنح حتى مضى ﷺ مطيعاً لله صابراً على ما أصابه، مجاهداً في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين ﷺ.

فكان ذهابه أعظم المصيبة على أهل الأرض: البر والفاجر، ثم ترك فيكم كتاب الله يأمركم بطاعة الله وينهاكم عن معصيته، وقد عهد إلى رسول الله عهداً فلست أحيد عنه، وقد حضرتم عدوكم، وعلمتم أن رئيسهم منافق، يدعوهم إلى النار، وابن عم نبيكم معكم، وبين أظهركم، يدعوكم إلى الجنة وإلى طاعة ربكم، والعمل بسنة نبيكم، ولا سواء من صلى قبل كل ذكر، لم

يسبقني بصلاة مع رسول الله أحد، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق وابن طليق.

والله إنا على الحق وإنهم على الباطل، فلا يجتمعن على باطلهم وتتفرقوا عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقكم، ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، فإن لم تفعلوا يعذبهم بأيدي غيركم.

فقام أصحابه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انهض بنا إلى عدونا وعدوك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلا، بل نموت معك، ونحيا معك.

فقال لهم: والذي نفسي بيده، لنظر إلى النبي ﷺ، أضرب بين يديه بسيفي هذا، فقال: ((لا سيف إلا ذا الفقار ولا فتى إلا علي))، وقال لي: ((يا علي أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وموتك وحياتك يا علي معي)).

والله ما كذب ولا كذبت، ولا ضل ولا ضللت، ولا ضل بي ولا نسيت ما عهد إلي، وإني على بينة من ربي وعلى الطريق الواضح ألفظه لفظا.

ثم نهض إلى القوم، فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق الأحمر، وما كانت صلاة القوم في ذلك اليوم إلا تكبيرا^(٢).

(١) سورة التوبة ٩: ١٤.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٣١٣، أمالي الصدوق: ٤٩٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٤٧.

شعار علي عليه السلام

حمل أمير المؤمنين شعاراً وهو لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم حين يستنفذ كل وسائل الهداية والنصح وتذهب مع المنافقين والفاسقين والكافرين هباءً، فكان هناك كافر من كفار معسكر الشام يقتل كل عراقي يبرز له، وأخيراً يطلب إلى أمير المؤمنين أن يبارزه فقاتله الله ما اكفره.

وهو تحدث به عمرو بن شمر، عن جابر، عن الشعبي، عن صعصعة بن صوحان، قال: (برز في بعض أيام صفين رجل من حمير، من آل ذي يزن، اسمه كريب وقيل كريث بن الصباح، وليس في الشام يومئذ رجل أشهر بالبأس والنجدة منه، فنأى: من يبارز؟

فخرج إليه المرتفع بن الوضاح الزبيدي، فقتله، ثم نادى: من يبارز؟

فخرج إليه الحارث بن الجلاح فقتله، ثم أعادها ثالثاً؟

فخرج إليه عابد بن سروق الهمداني، فقتله، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض، وقام عليها بغياً واعتداءً، ونادى من يبارز؟

فخرج إليه أسد الله الغالب علي بن أبي طالب عليه السلام، ونادى ناصحاً قبل أن يقتله، قائلاً له: ((ويحك يا كريب، أني أحذرك الله وبأسه ونقمته، وأدعوك إلى سنة الله وسنة رسوله، ويحك لا يدخلنك معاوية النار)).

فكان جوابه على هذه النعمة الكريمة، وهذه الهداية الرحيمة، جواب الشياطين إنا بالله عائدون، أجل هو جواب من عميت بصائرهم، وماتت

قلوبهم، واقفل على سمعهم، وأبى إلا الدخول لنار جهنم أذ قال لأمر المؤمنين: ما أكثر ما قد سمعت منك هذه المقالة، ولا حاجة لنا فيها، أقدم إذا شئت من يشتري سيفي وهذا أثره^(١).

فقال ولي الله: ((لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم))، ثم مشى إليه فلم يمهله إذ ضربه ضربة ضربة سمعها آخر من في المعسكر، فخر فيها قتيلاً مخرج بدمه، ثم نادى: من يبرز؟

فقام إليه القاسط الحارث بن وداعة الحميري، فقتله والحقه بصاحبه، ثم نادى: من يبرز؟

فقام إليه القاسط الثالث المطاع بن مطلب العنسفي؛ فالحقه بأصحابه إلى النار، ثم نادى: من يبرز؟

فلم يبرز إليه أحد، فنادى: ((يا معشر المسلمين: «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»^(٢))).

ويحك يا معاوية هلم إلي فبارزني، ولا يقتلن الناس فيما بيننا))، فقال عمرو بن العاص: اغتشمه منتهزاً، قد قتل ثلاثة من أبطال العرب، وإنني أطمع

(١) يعني مهدياً أبو الشجعان وفاق الهام بقتله، من المؤلف.

(٢) سورة البقرة ٢: ١٩٤.

أن يظفرك الله به، فقال معاوية: ويحك يا عمرو، والله إن تريد إلا أن أقتل فتصيب الخلافة بعدي، أذهب إليك، فليس مثلي يخدع^(١).

خطابان

وهما خطاب القاسط ابن العاص لأهل الشام، وخطاب عبد الله بن العباس لأهل العراق، فبعد أن خطب القاسط ابن العاص ليحرص أهل الشام على حرب الإسلام باسم الاسلام، وحرب علي باسم محمد، وحرب القرآن باسم القرآن.

وما أسهل أن يثير مشاعر هؤلاء الاوباش الطغام^(٢)، وهم قوم لا يعرفون التفريق بين الناقة والجمال، وهم غوغاء^(٣) كما وصفهم أمير المؤمنين أجمل وصف، حين قال عندما جاءته طائفة منهم بمشكلة يريدون حلها: ((لا مرجبا بوجوه لا ترى إلا عند كل سوءة))^(٤).

وقال فيهم في مواطن أخرى: ((هم الذين إذا اجتمعوا ضروا، وإذا تفرقوا نفعوا))^(٥)، وذلك بدعوتهم إلى اعمالهم التي بها ينتفعون ثم يعتدون بها على غيرهم.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير الفتوح: ١١٣ / ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٤٩.

(٢) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٣٨٩ / ٤ مادة طغم. الصحاح: ١٩٧٥ / ٥ مادة طغم.

(٣) غوغاء: هي تسمية تطلق على سفلت الناس. أنظر العين: ٤ / ٤٥٧ مادة غوغ.

(٤) تهذيب الأحكام: ١٥٠ / ١٠ ح ٦٠٣، نهج البلاغة: ٤ / ٣٦.

(٥) نهج البلاغة: ٤ / ٤٦.

أقول: وبعد أن خطب ذلك الفاسق في أهل الشام وهو يحرضهم ليعتدوا على الله ورسوله ووصيه انبرى عبد الله بن العباس خطيباً في أهل العراق، تمول فيهم: (الحمد لله رب العالمين، الذي دحا تحتنا سبعاً، وسمك فوقنا سبعاً، ثم خلق فيما بينهن خلقاً، وأنزل لنا منهن رزقاً، ثم جعل كل شيء قدراً يبلى ويفنى غير وجهه الحي القيوم، الذي يحيا ويبقى).

ثم إن الله بعث أنبياء ورسلاً، فجعلهم حججاً على عباده، عذراً أو نذراً، لا يطاع إلا بعلمه وإذنه، يمين بالطاعة على من يشاء من عباده، ثم يثيب عليها، ويعصى بعلم منه، فيعفو ويغفر بحلمه، لا يقدر قدره، ولا يبلغ شيء مكانه.

أحصى كل شئ عدداً، وأحاط بكل شيء علماً، ثم إنني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، إمام الهدى والنبي المصطفى، وقد ساقنا قدر الله إلى ما ترون، حتى كان مما اضطرب من حبل هذه الأمة، وانتشر من أمرها.

أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام الناس أعواناً على علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله وصهره، وأول ذكر صلى معه، بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كل مشاهدته التي فيها الفضل ومعاوية مشرك كان يعبد الاصنام، واعلموا والله الذي ملك الملك وحده فبان به وكان أهله، لقد قاتل علي بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ، وعلي يقول: صدق الله ورسوله.

ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله، فما معاوية في هذه بأبر ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في قتالكم، فعليكم بتقوى الله والجد والحزم والصبر، وإنكم لعلى الحق، وإن القوم لعلى الباطل، فلا يكونن أولى بالجد في باطلهم منكم في حقكم.

أما والله، إنا لنعلم أن الله سيعذبهم بأيديكم أو بأيدي غيركم، اللهم ربنا أعنا ولا تتخذنا، وأنصرنا على عدونا ولا تخل عنا، وافتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم^(١).

خطاب عمار بن ياسر

خطب المجاهد الكبير، وحبيب رسول رب العالمين، والمدافع عن أمير المؤمنين الصابر ابن الصابرين عمار بن ياسر معفراً للهمم، مبيناً للحق كما هو ظاهراً برواية نصر عن عمرو، قال: حدثنا عبد الرحمن بن جندب، عن جندب بن عبد الله، قال: قال عمار بن ياسر رضي الله عنه: (انهضوا معي عباد الله إلى قوم يزعمون أنهم يطلبون بدم ظالم، إنما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالاحسان).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير وقعة صفين: ٣ / ٣١٨، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

فقال: هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم، ولو درس هذا الدين، لم قتلتموه؟ فقلنا: لاحدائه^(١).

فقالوا: إنه لم يحدث شيئاً، وذلك لأنه مكنهم من الدنيا، فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدمت الجبال، والله ما أظنهم يطلبون بدم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحلوها، واستمروها، وعلموا أن صاحب الحق لو وليهم لحال بينهم وبين ما يأكلون ويرعون منها.

إن القوم لم يكن لهم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، ولولاها ما بايعهم من الناس رجل، اللهم إن تنصرنا فطالما نصرت، وإن تجعل لهم الأمر فادخر لهم بما أحدثوا لعبادك العذاب الأليم^(٢).

ثم مضى، ومضى معه أصحابه، فدنا من عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو، بعث دينك بمصر، فتباً لك! وطالما بغيت للإسلام عوجاً، ثم قال: اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت، اللهم إنك تعلم أنى لو أعلم أن رضاك أن أضع ظبة سيفي في بطني ثم أنحني عليه حتى يخرج من ظهري لفعلت، اللهم إني أعلم مما علمتني أنى لا

(١) أي إنه أحدث سنناً وبدعاً باطلة ما نزل لها الله، ولا أمر بها رسوله، من المؤلف.

(٢) وهذا هو الذي اختاره جلت عزته ليزيدهم اثماً إلى آثامهم وظلماً إلى ظلمهم وضلال إلى ضلالهم، ولينكسهم على رؤوسهم في نار ذات اجيج وذات صفير، من المؤلف.

أعمل عملاً صالحاً هذا اليوم، هو أَرْضَى من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً هو أَرْضَى لك منه لفعلته^(١).

تعليق:

هو الذي تعالى سلطانه، وإفرد بربوبيته، وتجلي بعزته، وجعل الحمد مفتاحاً لذكره، وسبب للمزيد من فضله، ودليلاً على الاء وعظمته، فلو جعلنا من جميع خلائق عزته جنأ وأنساً كتاباً ومن بحاره وأنهاره مداداً ومن أوراق شجره قرطاساً لإحصاء نعمه على خلائقه لعجزت على ذلك، ومن تلك النعم التي جل عنها العد والحساب هدايته لعبيده إلى سواء السبيل من إيمانه ومعتقده في أنبياء وملائكته وكتبه ورسله وأوصيائه.

وليس عندي أكمل مثلاً إلا أولئك الذين فازوا بنعمة ربهم واهتدوا بهدي محمد وعلي عليهم صلوات الرحمن وجاهدوا بين يديهما، لمحاربة الشرك والفسق والنفاق ونكث العهد.

أقول: ليس عندي أكمل مثال لأولئك الصالحين أكثر من الذي جاهدوا في سبيل الله حق جهاده، وأشتروا أنفسهم إبتغاء مرضاة الله عز وجل، أولئك الذين بكاهم رسول الله ووصيه صلوات الله عليهما كعمار، ورفاقه الصالحين الذين كانوا أحب الخلائق أجمعين إليهما^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٥٢ / ٥.

(٢) أنظر مستدرك الوسائل: ٢ / ١٧٩ ح ١٧٤١، الأنوار العلوية: ٢٣٧.

أمير المؤمنين عليه السلام وبني محارب

وروي ابن ديزيل، عن سيف الضبي، قال: سمعت الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة المحاربي يروي، عن أبيه، عن جده شريك، قال: (كان الناس من أهل العراق وأهل الشام يقتتلون أيام صفين، ويتزايلون فلا يستطيع الرجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر^(١) الغبار عنه، فاقتتلوا يوماً، وتزايلا وأسفر الغبار، فإذا علي تحت رايتنا -يعنى بني محارب- فقال: ((هل من ماء؟

فأتيته بإداوة^(٢) فخنتها له^(٣) ليشرب، فقال: لا، إنا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية))، ثم علق سيفه، وإنه لمخضب بالدم من ظبته إلى قائمه، فصبيت له على يديه فغسلهما حتى أنقاهما^(٤)، ثم شرب بيديه الشريفتين حتى إذا روى رفع رأسه، ثم قال: ((أين مضر؟

فقلت: أنت فيهم يا أمير المؤمنين.

فقال: من أنتم بارك الله فيكم؟)).

فقلنا: نحن بنو محارب، فعرف موقفه، ثم رجع إلى موضعه^(٥).

(١) يسفر: أي يزول. أنظر العين: ٧ / ٢٤٦ مادة سفر.

(٢) إداوة: إناء صغير من جلد يتخذُ للماء. لسان العرب: ١٤ / ٢٥ مادة أدا.

(٣) فخنتها له: أي عطفت إناء الماء لكي يشرب. أنظر العين: ٤ / ٢٤٨ مادة خنت.

(٤) رحم الله شريكا، وأي نعمة نالها هذا أكثر من خدمة أمير المؤمنين عليه السلام بصب الماء على يديه الكريمتين، من المؤلف.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٥٤.

عمار بن ياسر والآية الكريمة

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾^(١)، كانت هذه الآية الكريمة الشاهد الذي أدلى به أمير المؤمنين في صفين على كفر معاوية وأصحابه، وأن أقتال الفئتين هما المؤمنة التي إنطوت تحت لواءه، وجاهدت تحت قيادته، والكافرة بقيادة ابن قائد الشرك وأكلة الأكباد.

أقول: أن أقتال هاتين الفئتين إنما شاءه العلي الأعلى ليمحص الناس أعمالهم فيعاقب الكافر على كفره، ويثيب المؤمن على إيمانه وصدقه.

وهو ما جاء في يوم من أيام صفين، برواية نصر بن مزاحم، قال: حدثني يحيى بن يعلى، قال: حدثني صباح المزني، عن الحارث بن حصن، عن زيد بن أبي رجاء، عن أسماء بن حكيم الفزاري، قال: (كنا بصفين مع أمير المؤمنين تحت رؤية عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، والوقت كان الضحى من النهار، وقد استظللنا برداء أحمر، إذ أقبل رجل يستقري الصف حتى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمار بن ياسر؟

فقال عمار بن ياسر: أنا عمار.

قال: أبو اليقظان؟

(١) سورة البقرة ٢: ٢٥٣.

قال: نعم.

قال: إن لي حاجة إليك، فأنتقل بها علانية أو سراً؟

قال: اختر لنفسك، أيهما شئت.

قال: لا، بل علانية.

قال عمار: فأنتقل.

قال: إني خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم، وأنهم على الباطل، فلم أزل على ذلك مستبصراً، حتى ليأتي هذه صباح، فقد رأيت في منامي منادياً قد تقدم فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونادى بالصلاة، فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، ورسولنا واحداً.

فأدركني الشك في ليلتي هذه، فبت بليلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت، فأتيت أمير المؤمنين فذكرت ذلك له فقال: ((هل لقيت عمار بن ياسر؟

قلت: لا.

قال: فאלقه فانظر ما يقول لك فاتبعه)).

فجئتكَ لذلك، قال له عمار: هل تعرف صاحب الرؤية السوداء المقابلة لي، فإنها رؤية عمرو بن العاص، قاتلتها مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات، وهذه الرابعة ما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن.

ثم قال: أشهدت بدمراً وأحداً وحنينا أو شهدها لك أب فيخبرك عنها؟
قال: لا.

قال عمار: فإن مراكزنا على مراكز آيات رسول الله ﷺ يوم بدر، ويوم أحد، ويوم حنين، وإن هؤلاء على مراكز آيات المشركين من الأحزاب.

ثم قال عمار: هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معاوية يريد قتالنا مفارقاً للذي نحن عليه، كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته.

والله لدمائهم جميعاً أحل من دم عصفور، أفترى دم عصفور حراماً؟
قال: لا، بل حلال.

قال: فإنهم كذلك حلال دماؤهم، أتراني بينت لك؟
قال: قد بينت لي.

قال عمار: فاختر أي ذلك أحببت؟

فأنصرف الرجل ثم دعاه عمار بن ياسر، فقال: أما إنهم سيضربوننا بأسيا فهم حتى يرتاب المبتلون منكم فيقولون: لو لم يكونوا على حق ما

ظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقضي عين ذباب، والله لو ضربونا بأسيا فهم حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أنا على حق وهم على باطل^(١).

أما الآية الكريمة، فقد قال نصر: حدثنا يحيى بن يعلى، عن الأصمغ بن نباته، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين، فقال: يا أمير المؤمنين هؤلاء القوم الذين نقاتلهم الدعوة واحدة والرسول واحد والصلاة واحدة والحج واحد، فماذا نسميهم؟

قال عليه السلام: ((سمهم بما سماهم الله في كتابه.

قال: ما كل في كتاب الله أعلمه.

قال عليه السلام: أما سمعت الله يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ^(٢)﴾، فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله، وبالكتاب، وبالنبي، وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا وشاء الله قتالهم بمشيئته وارادته^(٣).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٣٢١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٥٦.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٥٣.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. وقعة صفين: ٣٢٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/٢٥٨.

تسلسل وقائع صفين بفقرات

وقد إنتهت معركة الجمل على النمط التي إنتهت إليه معركة بدر الكبرى، حيث إنتصر فيها الإيمان على الكفر، ورجعت قائدة الجيوش إلى أمر ربها وهو إن تستقر عائشة في بيتها، لقوله تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنَّ اِتَّقِيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١)، فارجع بها إلى دارها الحرس الذي جهزهم لحياتها وإيصالها أمير المؤمنين بعد عصيانها نبيها بخروجها من دارها، ثم عصيانها إمام زمانها وخروجها لحربه بدلاً من طاعته^(٢).

أقول: وبعد أن إنتهت هذا المعركة بفوز الإيمان على الكفر نزل أمير المؤمنين عليه السلام رحبة الكوفة وكتب إلى المشرك معاوية يأمره بإعتزال الولاية، والإمثال، والطاعة، وبدلاً من أن يمثل هذا الزنيم والقاتل الأثيم لأوامر إمام زمانه، وخليفة رسوله، ويعتزل؛ أعلن العصيان المسلح، وجهز الجيوش، وأجلهم من طغام^(٣) أهل الشام، ورعاها الذين لا يتخرجون الكفر، ولا يفرقون بين الناقة والجمل.

وكل هذا كان لإبتغاء المادة الفانية، وعرض الحياة الدنيا، ولم يجد رائد العدل ووصي النبي صلون الله عليهما بدأ من التحرك بمحافله الظافرة نحو

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٢-٣٣.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣١/١، وقعة الجمل: ٧٥، بحار الأنوار: ٣٢/١٥، الغدير: ٣٢٧.

(٣) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٤/ ٣٨٩ مادة طغم. الصحاح: ٥/ ١٩٧٥ مادة طغم.

هذا العاهر المسافح بعد أن أستعمل كل وسائل الهداية والاصلاح بين عذراً ونذراً، وقد توسع صدره الكريم إلى حد أستثقل فيه أصحابه، وأعتدوه تباطئاً في محاربة هذا المبطل والحبيث، وكان جيشة يعد من تسعون ألفاً منهم مائة وثلاثون بديراً جاهدوا مع رسول الله ﷺ، وتسعون رجل من الذين بايعوا النبي تحت الشجرة في بيعة الرضوان.

أولئك كانوا البقية الباقية من أصحاب رسول الله ﷺ والذين أمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام، ولزوم طاعته بأمر الله النازل في قرآنة وعلى رسوله والجهاد بين يديه، فهؤلاء الأبطال يقودهم نفس الرسول وأخاه وابن عمه وصهره وأب أولاده إلى صفين ليحارب الكفر كما قاد رفاقاً لهم من قبل رسول الله إلى بدر ليحارب الشرك^(١).

وقالها رسول الله مراراً: ((يا علي ستحارب بعدي الناكثون، والقاسطون، والمارقون، على تأويل القرآن كما حاربت على تنزله))^(٢)، وفي يوم صلح الحديبية لم يرض المشركون بتسمية محمد بالرسالة، فامر علياً أن يشطبها فأبى عليه نفسه الكريمة، فاعطاها للنبي ليشطبها بنفسه، فقال له: ((يا علي أن لك مثلها ستقبلها وأنت مضطهد))^(٣)، وفعلاً وقعت يوم التحكيم.

(١) أنظر وقعة صفين: ٥١٤، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار: ١/ ٣٥٩، مناقب ابن

شهر آشوب: ٢/ ٣٦٦، فتح الباري: ٨/ ٤٥١.

(٢) ورد الحديث باختلاف يسير. الخصال: ٣٠٥١ ح ٣٠، كتاب سليم بن قيس: ١٦٦.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير في مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٣٦٦.

وقالها رسول الله ﷺ مراراً أيضاً: ((وأنى أخشى ما أخشاه أن تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فوالذي نفس محمد بيده لاني فعلتموها لتجدوني في الفرقة التي تقاتلكم على الحق))^(١)، ومن كلامه الشريف هذا يمكنك أن تجزم بأن الحرب التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين عليه السلام، والناكثون، والقاسطون، والمارقون، هي إمتداداً لحرب التي دارت رحاها بين النبي والمشركون في بدر وأحد وحنين والغزوات الأخرى، ولا باس من إعادة تسلسل الأحداث في صفين بفقرات:

أولاً: لقد سبق طعام أهل الشام أمير المؤمنين وجيشة إلى ماء الفرات، وبوازع من كفرهم وسطوتهم وخبث طباعهم، ومالي صدورهم بالضغائن والأحقاد على محمد وآل محمد، فتخيل هولاء الأوباش أنهم ملكوا وسيلة الفتك بأهل العراق، وظنوا أنهم ملكوا القدرة على إخضاعهم بمنع الماء عنهم، وجهلوا أو تجاهلوا أن في معسكر أمير المؤمنين رجال لا يخفلون بالحرب بل هم يفدون عنه لينالوا ظفراً بالشهادة في سبيل الله ورسوله ووصيه، ثم هي اللجنة من وراء ذلك^(٢).

وكيف يدخل إلى روع إنسان أن مجاهدون هذا شأنهم، وهذه عقيدتهم بإمامهم أنهم سيتحملون العطش صاغرون؟

(١) ورد الحديث باختلاف يسير في أمالي الصدوق: ٣٦٣ ح ٧٦٠، الاحتجاج: ١ / ٢٩١.

(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣ / ١.

ثانياً: وحين واجه العراقيون هذا التمر^(١) على الأداب العسكرية، وقواعد الفروسية، والأخلاق الإنسانية الأصيلة من هولاء الجفأة الجفات اللثام، طلبوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام الإسراع بإصدار الأوامر لحل الأزمة، وقد بدء الناس يشكون العطش ودوابهم تشكوا الحرمان من الماء، فبعث عليه السلام على سليقته الكريمة، وطباعة السمحة إليهم من يصلح رأيهم إثارة للعاقبة، ويفسحوا المجال لجيشه باستعمال الماء أسوة بجيشهم.

ولكن متى يكون للمنطق الكريم مفهوماً لدى اللثام الأقزام، فبدلاً من أن يذعنوا للحق زادوا عناداً إلى عنادهم وإصراراً إلى إصرارهم، فأمر حينئذ أمير المؤمنين أصحابه بتجريد السيف، وامتشاق الحسام، ليكلموا هولاء الجفأة باللغة التي يفهموها، وقال لهم عليه الصلاة والسلام مخاطباً: ((ارووا السيوف من الدماء تروون من الماء))، فأنبرى المساعد الأول لأمير المؤمنين الزعيم القائد مالك بن الحارث الأشتر، وتقدم الصفوف مرتجزاً:

ميعادنا الآن بياض الصبح لا يصلح الزاد بغير ملح

ثم تقدم الاشعث بن قيس مرتجزاً:

لأوردن خيلي الفراتا شعث النواصي أو يقال فاتا

(١) التمر: أي الغضب. أنظر العين: ٨ / ٢٧٠ مادة غمر.

وتقدمت فجر تلك الليلة فيالق الموت مندفة كالسهم حتى بعثروا صفوف القاسطين، وأوسعوهم قتلاً وتجرىماً وتشريداً، حتى ازاحوهم عن ماء وانوفهم راغمة، وتركوه لجيش أمير المؤمنين ﷺ وهم صاغرين^(١).

ثالثاً: وبعد أن أمتلك أكرم الخلق وأخا رسول الله المشرعة أمر زعماء جيشه بإفراح المجال للكافرين باستعمال الماء اسوة لهم، وأن لا يعاملوهم بمثل ما عاملوهم به حين كان الماء بيدهم، وهكذا يسجل التاريخ مرة أخرى ويخطط للأجيال بعد المسافة بين عظيم وصعلوك، وبين جبار وقزم، وبينه شجاع وجبان، وبين فارس ومحتال، وبين طاهر وعاهر^(٢).

رابعاً: كان القادة الهاشميون على ميمنة معسكر أمير المؤمنين ﷺ يتقدمهم سيدا شباب أهل الجنة الإمامان الحسن والحسين ﷺ، وعبد الله بن جعفر، ومسلم بن عقيل ﷺ.

وبقية الهاشميون قادوا الميسرة، يتقدمهم شبيل أسد الله محمد بن الحنفية، ومحمد بن أبي بكر، وهاشم بن عتبة المرقال، وعلى القلب عبد الله بن العباس، والعباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، والزعيم الأشتر، والأشعث بن قيس.

وعلى الجناح سعد بن قيس الهمداني، وعبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ورفاعة بن شداد البجلي، وعدي بن حاتم الطائي.

(١) أنظر الفتوح: ٩ / ٣، مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥١ / ٢، الأنوار العلوية: ٢٢٤.

(٢) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥٢ / ٢، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٧٣ ح ٤٧٢، الأنوار العلوية: ٢٢٥.

وعلى الكمين المجاهد ابن المجاهد والصابر ابن الصابرين حبيب رسول رب العالمين ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام عمار بن ياسر وسمية الذين بشرهم رسول الله ﷺ بجنت نعيم، يوم قال وهم يعذبون بمكة: ((صبراً يا آل ياسر فإن موعدكم الجنة))^(١)، وعمر بن الحمق الخزاعي، وعامر بن وائل الكنان، وقبيصة بن جابر الأسدي.

وكان ترتيب الجيش العلوي على غرار الجيش الحمدي يوم بدر، وكان الخصم أمام الجيش العلوي اللعين معاوية ابن آكلة الأكباد كما كان الخصم أمام الجيش الحمدي أبوه اللعين أبا سفيان، فهم نطفة خبيثة بعضها من بعض^(٢).

خامساً: أما جيش الكفر الذي يقوده اللعين ابن اللعين معاوية فكان على الترتيب الآتي:

الميمنة القاسطين كل من ذو الكلاع الحميري، وحوشب ذا الظليم، وعلى المسيرة اللقيط ابن العاص، والزنيم حبيب بن مسلمة، وعلى القلب المشركون الضحاك بن قيس الفهري وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد قاتل العبد الصالح مالك بن نويرة ظلماً وعدواناً والداخل بزوجته يوم مقتله إعتداءً وبغياً.

(١) المستدرک: ٣ / ٣٨٣، المناقب للخوارزمي: ٢٣٤.

(٢) أنظر الفتوح: ٣ / ٢٤، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٥٢، بحار الأنوار: ٣٢ / ٥٧٣ ح ٤٧٢.

وعلى الساقة بسر بن أبي أرطأة الفهري، وعلى الجناح عبد الله بن مسعدة الفزاري وهمام بن قبيصة النمري، وعلى الكمين أبا الأعور السلمي وحابس بن سعد الطائي^(١).

سادساً: أمير المؤمنين عليه السلام يطلب إلى قائد معسكر الكفر معاوية المبارزة، ويشير عليه بقبولها مستشارة عمرو بن العاص، إلا أنه علم بالموت المحقق ففهر وأنهن^(٢).

سابعاً: خرج فارساً محملاً بالحديد من رأسه إلى أخمس قدمه لا يرى منه إلا عيناه، ويده رماً يضرب به رؤوس الجند وخيولهم، ويقول لهم: (سوا صفوفكم رحمكم الله)، وبعد إن إنتهى من تنظيم الجيش ورتبه أعطى ظهره لأهل الشام ووجهه لأهل العراق، ثم حمد الله واثنى عليه، وقال: (الحمد لله الذي جعل فينا ابن عم نبيه، أقدمهم هجرة، وأولهم إسلاماً، سيف من سيوف الله صبه الله على اعداءه، فأنظر إذا حمي الوطيس، وثار القتال، وتكسرت المران^(٣))، وجالت الخيل فلا أسمع إلا همهمة فاتبعوني، وكونوا في أثري، ثم صاح الله أكبر يا علي)، وبرز والناس وراءه ملتحمون فيه حتى زلزلوا مواقع العدو، وحطموا نظامها، وأذعروهم صاغرين فارون عن المشرعة، وتسود صفوفهم المبعثرة بالفوضى والهلع.

(١) أنظر وقعة صفين: ٢١٣، الفتوح: ٣/ ٢٤، تاريخ مدينة دمشق: ١٠٣/ ٥٨، مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٣٥٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٩/ ٤.

(٢) أنظر الفتوح: ٣/ ١١٣، مطالب السؤل: ٢٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥/ ٢٤٩، كشف الغمة في معرفة الائمة: ٢٤٨/ ١، كشف اليقين: ١٥٧.

(٣) المران: أي الرماح الصلبة. أنظر العين: ٨/ ٢٧١ مادة مرن.

وهذا الفارس المغوار هو الشخص الذي كان لعلي كما كان علياً
 محمد ﷺ^(١) هو الزعيم القائد الملهم مالك بن الحارث الأشتر رضوان الله
 وسلامه عليه^(٢).

ثامناً: زعماء الايمان قابلوا زعماء الكفر على الترتيب التالي:

اليوم	زعيم الايمان	زعيم الكفر
الأربعاء	الأشتر	حبيب بن مسلمة
الخميس	الشهيد المرقال	أبو الأعور السلمي
الجمعة	عمار بن ياسر	عمرو بن العاص
السبت	محمد بن الحنفية	عبيد الله بن عمر بن الخطاب
الأحد	عبد الله بن العباس	الوليد بن عقبة
الاثنين	سعد بن قيس	ذي الكلاع

إلى تمام الأربعين حيث انتهت بليلة الهرير، وفيها عم الصراع والضراب،
 وقيل الكثير من الرجز من الطرفين، ولنذكر بعضها فمناها رجز مولى القتيل
 عثمان بن عفان المدعو أحمر:

أن الكتيبة عند كل تصادم تبكي فوارسها على عثمان

(١) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام بعد موت مالك: ((كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله
 ﷺ)). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١٤/٢.
 (٢) أنظر الفتوح: ١٥٧ / ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٠٧ / ٢.

فأجابه كيسان مولى علي عليه السلام:

عثمان ويحك قد مضى لسبيله فاثبت لحد مهند وسانان

وبعد أن تبارزا أستشهد مولى أمير المؤمنين أذ قتله مولى عثمان، فقال أمير المؤمنين عليه السلام وكان قد غضب لمقتله: ((قتلني الله أن لم أقتلك))، ثم حمل عليه واللعين القاتل لا يعرفه، وقدم أمير المؤمنين على أن يهرسه هرساً ويطحنه طحناً، فمد إليه يده الكريمة، وأخذه من على فرسه حاملاً إياه في الهواء ورمى به الأرض فهرسه هرسه وطحنه طحناً حتى لم تعد تعرف هويته، وصار يرجز أرواحنا له الفداء، ويقول:

لهف نفسي وقليل ما أسر ما أصاب الناس من خير وشر
لم أرد في الدهر يوماً حربهم وهم الساعون في الشر الشمر

وهذا الرجز القصير يصور تماماً ما أنطوت عليه نفس رائد الإنسانية، ورائد العدل ورائد المحبة^(١).

تاسعاً: كان لمعاوية غلام يدعى حريث وكان فارساً شجاعاً يدخره للملمات، وكثيراً ما أوصاه أن يصارع من يشاء إلا أبو الحسن، فطالما حذره منه ولكن هذا المشرك وقد خرج إلى الميدان فقبض عليه أمير المؤمنين عليه السلام

(١) أنظر الفتوح: ٢٩ / ٣، مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥٣ / ٢.

فحبسه في الهواء مقضياً عليه من هول الصدمة فمات قبل أن يضرب به الأرض، وهنا أرتج عليه السلام قائلاً:

ألا احذروا في حربكم أبا الحسن فلا تروموه فمذا من الغبن
فإنه يدقكم دق الطحن ولا يخاف في الهياج من ومن^(١)

عاشراً: أما أحصاء قتلى أمير المؤمنين في ساعة واحدة يمكن معرفته من عزم أمير المؤمنين على أن يهشم كل من يبرز إليه بضربه ضربة واحدة من ذي فقاره فيقطعهم قطعاً أو يقدمهم قدماً^(٢) حتى قتل ثلاثين رجلاً من صناديد والضلال والفجور في ساعة من الزمن، وبعد أن شرع بصرع هولاء الجفأة نادى بأعلى صوته الكريم: ((يا معاوية هلم إلي وبارز في لنكفين الناس شر القتال))؛ فأحجم لعنه الله وهرب إلى مؤخرة المعسكر متخفياً لكي لا يفتضح أمره عند جلاوزته^(٣).

حادية عشر: كان مالك بن الحارث الأشتر سلام الله عليه كما كان أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ^(٤)، فكان يرى فيه أعداء الله شبح الموت، وما برز أحداً له إلا قتله^(٥).

(١) أنظر الفتوح: ٣ / ٣٠، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٥٣، الأنوار العلوية: ٢٢٧.

(٢) قدأ: أي يشقون طويلاً. أنظر الصحاح: ٢ / ٥٢٢ مادة قدد.

(٣) أنظر وقعة صفين: ٣١٦، الفتوح: ٣ / ١١٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢٥٠.

(٤) إشارة إلى قول الإمام علي عليه السلام بعد موت مالك: ((كان الأشتر لي كما كنت لرسول الله ﷺ)). شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢١٤.

ثانية عشر: إلا سلام عليك يا همدان أي شرف في هذه الدنيا تنالين، وقد قال فيهم ولي الله:

جزى الله همدان الجنان فإنها سماه العدا في كل يوم زحام
فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وبهذا الشرف الباذخ أرتفعت إلى صعيده ومستواه ربعة، ومن حذى حذوها في صدق القريحة والجهاد والصبر^(٢).

ثانية عشر: أما قادة معسكر الكفر أئخذوا من كشف عوراتهم وسيلة لإنقاذ حياتهم من ضربات علي بن أبي طالب عليه السلام لعلمهم بتركه إياهم أحياء، وهذا التصرف ترفعا من الأجهزة على جناء وصعاليك من هذا النوع، وفي طليعة هؤلاء الكافران عمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطاة، وفي ذلك يقول أحد شعراء أمير المؤمنين:

أفي كل يوم فارس ذو كريهة له عورة وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه علي سناناه ويضحك منها في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فنكس رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا نشدتكما لا تلقيا الليث ثانيه
ولا تحمدا إلا الخنا وخصاكما هما كانتا واللّه للنفس واقيه
ولو لا هما لم تنجوا من سناناه تلك بما فيها عن العود ناهيه^(١)

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٥٤.

(٢) أنظر وقعة صفين: ٢٧٤، الفتوح: ٣ / ٣٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢١٧.

ثالثة عشر: جيش الإيمان الذي يقوده وصي رسول الله يضرب الطبول من الجهات الأربعة التي تلف معسكر الكفر فيشيع ذلك الذعر والرعب في صفوفه، وبين أصوات الطبول المفزعة تدوي حناجر المؤمنين دويًا يشق الفضاء ينادون: (علي المنصور، هدمنا الشرك كما هدمناه يوم بدر)، وأمير المؤمنين يرفع رأسه الشريف إلى السماء ساعة بعد ساعة، ويناجي ربه، ويقول: ((اللهم إليك نقلت الأقدام، وأفضت القلوب، ورفعت الأيدي، وشخصت الأبصار، نشكو إليك غيبة نبينا وكثرة عدونا، وتشتت أهوائنا، ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾^(١))).

فياله من موطن رهيب، ومشهد مثير، وموقف جليل، والله لكأنني أنظر إلى هذا الموطن الرهيب، وكأنني أهتز بهذا المشهد المثير، وكأنني اشارك هذا الحشد الكريم، وأنظر إلى رآيات أمير المؤمنين عليه السلام بل قل رآيات رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأجد نفسي أنتظر مع المنتظرين وأتوق مع المتوقين للظفر بأحدى الحسينين أما الظفر بهدم الشرك وسحق الكفر، أو شهادة كريمة بين يدي أشرف الخلائق أجمعين بعد غياب النبي الأكرم.

وأي مشهد يشدك إلى الزهو والبذل والفداء أكثر من هذا المشهد، فعلي يلف بحنانه وشجاعته المجتمع بأسره، ودوي حناجر الألوف من المجاهدين المؤمنين بالله ورسوله ووصيه واليوم الآخر باسم علي يهزك ويصل إلى

(١) أنظر وقعة صفين: ٤٦٢، الفتوح: ٣/ ١٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/ ٣١٦.

(٢) سورة الأعراف: ٧: ٨٩

أعماقك أن شئت أو أبيت، وأصوات الطبول المربعة المثيرة تسوقك بشعورك إلى أقتحام السيوف والرماح، ووراء كل ذلك صدقاً في الجهاد والإستبسال فما أروعك أيها الموطن الجليل، وما أروعك أيها الموطن الرهيب، ويا ليتنا والله ظللتنا تلك السيوف، والتوينا حول تلك الرماح لندوي إلى اعنان السماء مع المدوين، وننادي مع المنادين لبيك يا علي^(١).

رابعة عشر: وفي أعماق هذا الضجيج، ومن ظلام العجة الرهيبة، وتحت ظلال السيوف، وهممة الناس، وصهيل الخيل، أنشد أمير المؤمنين وهو يلوج في فقاره، ويقول:

الليل داج والكباش تنتطح نطاح أسد ما أراها تصطح
أسد عرين في اللقاء قد مرح منها قيام وفريق منبطح
فمن نجا برأسه فقد ربح^(٢)

وكان يغوص أبا الحسنين وسط العجاجة، فيقتل وحده تلك الليلة خمسمائة وثلاثة وعشرون قاسطاً من صناديدهم وشجعانهم، وخسبت هذه القتل على تكبيراته عليه السلام أذ كان كل ما قتل كافراً كبيراً لله سبحانه، فحسب الناس تكبيراته، فأجمعوا إنها بلغت خمسمائة وثلاثة وعشرون تكبيرة، وعند

(١) أنظر وقعة صفين: ٢٣٠، الفتوح: ٣/ ١٨٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢١٠.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب: ٢/ ٣٦٣.

طلوع الفجر وقفوا على قتلاه سلام الله عليه ووجدوا أنه كان أما يقدمهم قدماً أو يقطعهم قطعاً^(١).

وكان نداء ولي الله حين يغوص في المعركة: ((اللهم إليك نقلت الأقدام، وإليك أفضت القلوب، ورفعت الأيدي، ومدت الأعناق، وطلبت الحوائج، وشخصت الأبصار.

اللهم أفتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين^(٢)))^(٣)، سيروا على بركة الله ثم يلحقها بكلمة لا إله إلا الله والله أكبر.

فو الذي خلق الخلق، وبسط الرزق، وجعل محمداً نبياً بالحق، ما سمعني برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب يديه في يوم وأحد ما أصاب أمير المؤمنين، وإنه قتل في ذكره العادون زيادة على خمسمائة من أبطال العرب، يخرج سيفه منحني، ويقول: ((معذرة إلى الله تعالى وإليكم من هذا^(٤)))، فقد هممت أن أفلقه ولكن يحجزني عنه أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وأنا أقاتل به دونه^(٥).

(١) أنظر مناقب ابن شهر آشوب: ٣٥٥ / ١.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾، سورة الأعراف ٧: ٨٩.

(٣) وقعة صفين: ٢٣٠، الفتوح: ٣ / ١٨١، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٦٣.

(٤) ويعني سيفه الكريم، من المؤلف.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢١١.

الخامسة عشر: يعتذر أمير المؤمنين إلى الله وإلى الناس من هذه اللحظات التي يتأخر فيها ذو الفقار عن حز رقابهم حين يأخذه أعوانه منه ليقدموه له ويعدلون قائمه، وهذه هي اللحظات التي يتعطل فيها ذو الفقار عن رقاب الكافرين، ويتوجع بها أمير المؤمنين ﷺ والتي يعزم فيها أن يعلقه لولا ما سمعه من الرسول الأكرم فيه عن جبرائيل: ((لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وأنا أقاتل به دونه))^(١).

وبذلك روى أصحابه قائلين: (كنا نأخذ منه فنقومه له ثم يتناوله من أيدينا؛ فيقتحم به عرض الصفوف، ففلا والله ما ليث بأشد نكاية منه في عدوه)^(٢).

السادسة عشر: أمير المؤمنين يقيم بعمامة رسول الله ﷺ، ويركب بغلته، وينادي الناس كما ناداهم محمد ﷺ: ((أيها الناس، من يشري نفسه لله))، فأنبرى معه اثني عشر ألف كرجل واحد فلم يبق لأهل الشام صف إلا أزالوه حتى أفضوا إلى معاوية، فدعا معاوية بفرسه ليفر كما فر أسلافاً له يوم أحد، وحين استولت فيالق الموت بقيادة قائد الغر المحجلين على فسطاط هذا الشيطان كان قد فر منه^(٣).

وعن هذا الموقف يقول ابن آكلة الأكباد: (بعد أن دارت الأمور عليه، ولما رايت الموت بعيني وافد علياً وجيشه محيطون صفوفنا مجندين صناديدنا،

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١١ / ٢.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢١١ / ٢.

(٣) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٢٣ / ٢.

متبعين فلولنا، فركبت فرسي ومعى عمرو بن العاص وفررنا إلى آخر المعسكر بمحل أمين، وطلبت إلى عمرو أن يتدبر الأمر، وإلا فهي النهاية) فالمصير أما مقتولان أو ماسوران^(١).

السابعة عشر: رفع المصاحف وما أدراك ما رفع المصاحف، فقد رفعوا خمسمائة مصحف وقلوبهم لها شائنة والستتهم بها داعية، فقال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: ((اللهم إنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنك أنت الحكم الحق المبين))^(٢).

الثامنة عشر: أن رفع المصاحف هي بداية الإنتكاس وقوع الفتنة، وكانت بظهور عشرون ألفاً من معسكر أمير المؤمنين من مיתי القلوب يتقدمهم معسر بن فدكي، وزيد بن حصين الطائي، والأشعث بن قيس الكندي ياتون إلى أمير المؤمنين.

وأنهم جميعاً يعلمون إنه القرآن الناطق، ويطلبون إليه النزول إلى حكم المصاحف التي رفعت مكيدة وبغياً، مدافين عن دعوى القوم، فقال لهم: ((ويحكم إنها مكيدة وخدعة اقدموا عليها حين قاربتم النصر، ولا أرى إلا الحرب قد أوشكت أن تضيع أوزارها))، فقالوا: أن لم تفعل قتلناك أو سلمناك إلى القوم، قال: ((ويحكم إنكم مخدعون، وأنا كتاب الله أمركم

(١) أنظر وقعة صفين: ٣٩٥، الفتوح: ٣ / ١٨٨، تجارب الأمم: ١ / ٥٢٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٢٣.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٢٣.

بقتالهم، وأن عصيتهموني فأعملوا ما بدى لكم))، فقالوا: أبعث إلى مالك الأشر، فإنه ماض في القتال.

بعث إليه يزيد بن هانئ السبقي يدعوه، فقال له الأشر: (أني قد رجوت أن يفتح الله فلا تعجلن، وشدد في القتال)، فقالوا للأمير المؤمنين: حرضته على الحرب، فأبعث إليه، وإلا والله عزلناك وقتلناك، فقال له: ((يا هانيء عد إليه وقل له أن الفتنة قد وقعت))^(١).

التاسعة عشر: رجع الأشر سلام الله عليه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وقد شارف على النصر المؤزر بالقضاء على فتنة ابن آكلة الأكباد، وتذليل الأمور بأطراف الدولة للخليفة الحق، ووجد العصاة قد خالفوا الجماعة وشقوا عصا الطاعة في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، فقام فيهم خطيباً: (يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم، وعلموا إنكم لهم قاهرون رفعوا لكم المصاحف خديعة ومكرا).

فقالوا: قاتلناهم في الله.

فقال: أمهلوني ساعة وأحسست بالفتح وأيقنت بالظفر.

قالوا: لا.

قال: أمهلوني عدوة فرسي.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير في تجارب الأمم: ١ / ٥٣٨، مناقب ابن شهر آشوب: ٤ / ٣٦٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢١٧.

قالوا: إنا لسنا نطيعك ولا لصاحبك، ونحن نرى المصاحف على رؤس الرماح ندعى إليها.

فقال: خدعتم والله، فانخدعتم ودعيتم إلى وضع الحرب فأجبتكم^(١)، فلم يرجعوا عن رأيهم؛ فوقف القتال، ووضعت الحرب أوزارها على مضضٍ من المؤمنين.

عشرون: أمير المؤمنين يبعث إلى الكافر ابن آكلة الأكباد يسئله عن رفع المصاحف، فأجابه: أن ذلك للدعاء إلى العمل بمضمونه، وأن نقيم حكمان ينظران في هذا الأمر، وقال: أن الحق يقر.

فأبتسم أمير المؤمنين ضاحكاً متعجباً من مشرك يدعو للتحكيم بالقرآن وهو الذي ما آمن به طرفة عين، فقد حاربه أبوه وهو من بعده، وقد عملوا كل ما يسعهم العمل، وكادوا ما وسعهم الكيد؛ لتقويضه ومحو اسم النبي الذي بعثه الله ليتلوهم عليهم، ويأمرهم بالعمل به، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((أنه العجب العجيب أن يدعوني ابن أبي سفيان للعمل بكتاب الله وهو يحاربه اليوم كما حاربه أباه بالأمس، وهو يعلم أنني كتاب الله الناطق، ولكنها خدعة دبرها المنافق ابن العاص، ولا أراه إلا مختاراً لهذه المهمة، فأختاروا من يصلح للمامرة)).

فقال الخائن المنقلب على عقبيه الأشعث بن قيس الذي وصلتته أمور معاوية ومواعيده: (لا والله لا يحكم فينا مضرين حتى تقوم الساعة)، وقد

(١) مناقب ابن شهر آشوب: ٣٦٤ / ٢.

أختار الظالمين من القوم إضافة إلى الذين عمي على قلوبهم أبا موسى لاشعري لكي يعلن عن خبثة وما طوته نفسه لهذا الأمر الخطير^(١).

واحد وعشرون: أمير المؤمنين يرفض أبا موسى الأشعري كما رفض التحكيم المزيف، ولكن العصاة من أهل الشقاق والنفاق أبوا إلا المخالفة، وأبوا إلا مشاركة أبو موسى، فتركم يتخبطون بما أجرموه^(٢).

وما أشبه الليلة بالبارحة، وما أشبه صلح الحديبية بصلح صفين، فالمشركون يوم الحديبية يرفضون قبول تسمية محمد بن عبد الله ﷺ رسول الله، واليوم أبناؤهم يرفضون تسمية علي بن أبي طالب عليه السلام أمير المؤمنين رغم نزول الأمرة به من رب العالمين، وإجماع الأمة علي مبايعته^(٣).

فقالها رسول الله ﷺ حين كتب أبا الحسنين عليه الصلاة والسلام بنود معاهدة الحديبية: ((هذا اتفق عليه محمد بن عبد الله رسول الله، وكذا))، فرفض المشركون ذلك، فأمر رسول الله ﷺ علياً بمحوها فلم تطاوعه نفسه ويده الكريمة على محوها، فاعطاها للنبي ليمحوها بيده، وقال: ((يا علي، أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد))، وهو الذي وقع يوم التحكيم.

أذ رجع ابن النابغة عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين، وقال له: أن معاوية يرفض الكتاب أذ جاء فيه هذا ما اتفق عليه أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٢٩.

(٢) أنظر مروج الذهب: ٢ / ٤٠٢.

(٣) أنظر نهج البلاغة: ١ / ١٨٢، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٦٦.

طالب ومعاوية بن أبي سفيان، ويقول: نكتفي بذكر الاسمين، فقال أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب عمرو: ((ومتى كنتم مسلمون وللشرك تاركون؟!))

الستم أبناءهم حين صالحوا رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ورفضوا تسميته بالرسالة، فأمرني بمحوها فاييت وأعطيته الكتاب ليمحوها بنفسه ﷺ، وقال لي: أن لك مثلها ستعطيها وأنت مضطهد))، وهنا تحرك عصبه من المؤمنين، وقالوا: يا أمير المؤمنين أمرنا بأمرك، وأن شئت أن نأخذ راسه أخذناه.

وتوسطه سهل بن حنيف قائلاً: لقد راينا صلح الحديبية، وما راينا قتالاً رافقه^(١).

أثنان وعشرون: ومن أراد أن يعرف صورة التحكيم فليسمع ما روي عن نصر بن مزاحم عن ابن إسحاق الشيباني، قال: (قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة في صحيفة صفراء عليها خاتمان: خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها وعلى الخاتمان محمد رسول الله.

وسئل الناس أمير المؤمنين أتقر بان معاوية وضربه مؤمنون؟

قال: ((معاذ الله، لا أقر بذلك لمعاوية، ولا لأصحابه، وليكتبوا ما يشاؤون ويقررون لانفسهم بما يشاؤون)).

(١) أنظر وقعة صفين: ٥٠٩، مناقب ابن شهر آشوب: ٣٦٦/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/٢٣٣.

فكانت النتيجة أن كتبت الصفحة على الوجه الأتي: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، قاضي علي بن أبي طالب على أهل العراق ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين، وقاضي معاوية بن أبي سفيان على أهل الشام ومن كان معه من شيعته من المؤمنين والمسلمين.

إننا نزل عند حكم الله تعالى وكتابه، ولا يجمع بيننا إلا إياه، وإن كتاب الله سبحانه بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحى ما أحىي القرآن ونميت ما أمات القرآن، فإن وجد الحكماء ذلك في كتاب الله اتبعاه، وإن لم يجداه أخذوا بالسنة العادلة غير المفرقة، والحكماء عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص، وقد أخذ الحكماء من عليّ ومعاوية ومن الجندين أنهما آمانان على أنفسهما وأموالهما والأمة لهما أنصار، وعلى الذي يقضيان عليه وعلى المؤمنين والمسلمين من الطائفتين عهد الله أن يعمل بما يقضيان عليه مما وافق الكتاب والسنة، وإن الأمن والمواذعة ووضع السلاح متفق عليه بين الطائفتين إلى أن يقع الحكم.

وعلى كل واحد من الحكمين عهد الله ليحكم بين الأمة بالحق لا بما يهوى، وأجل المواذعة سنة كاملة فإن أحب الحكماء أن يعجلا الحكم عجلاه، وإن توفى أحدهما فلأمير شيعته أن يختار مكانه رجلاً، لا يألوا الحق

والعدل، وإن توفي أحد الأميرين كان نصب غيره إلى أصحابه ممن يرتضون أمره ويحمدون طريقته^(١).

ثلاثة وعشرون: دعي الأشر سلام الله عليه ليشهد على الصحيفة، ويقرها مع من شهد عليها، فقال هذا البطل المغوار: (لا صحبتني يميني ولا نفعني بعدها الشمال إن كتب لي في هذه الصحيفة اسم على صلح أو موادة، أولست على بينة من أمري ويقين من ضلالة عدوي، أولستم قد رأيتم الظفر إن لم تجمعوا على الخور!

فقال له رجل من الناس: والله ما رأيت ظفراً ولا خوراً^(٢)، هلم فاشهد على نفسك، وأقرر بما كتب في هذه الصحيفة، فإنه لا رغبة لك عن الناس.

فقال: بلى والله، إن لي لرغبة عنك في الدنيا للدنيا، وفي الآخرة للآخرة، ولقد سفك الله بسيفي هذا دماء رجال ما أنت عندي بخير منهم، ولا أحرَم دماً^(٣).

وقال نصر بن مزاحم: (الرجل هو الأشعث بن قيس، قال: فكأنما قصع^(٤) على أنفه الحميم، ثم قال الأشر: ولكنني قد رضيت بما يرضى به أمير

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٣٣.

(٢) قصع: أي ضرب. أنظر لسان العرب: ٨ / ٢٧٤ مادة قصع.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٣٦.

(٤) ولا خوراً: أي ولا ضعف. أنظر الصحاح: ٢ / ٦٥١ مادة خور.

المؤمنين، ودخلت فيما دخل فيه، وخرجت مما خرج منه، فإنه لا يدخل إلا في الهدى والصواب^(١).

أربعة وعشرون: أما همدان على يقين من أمرها، وجزم في ولائها لأمر المؤمنين فقد أبت القاء سلاحها، وأجمعت أمرها على المضي في الحرب وجاءت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وعليها سعيد بن قيس، وأبنة عبد الرحمن وهو غلام، وقالوا: يا أمير المؤمنين، أننا على يقين من أمرنا وعلى ثقة من حقنا، وظلم خصومنا فأمرنا بأمرك فأننا لن نلقي سلاحنا، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((ولكن الفتنة قد وقعت وأستعر لظاها))^(٢).

خمس وعشرون: المذاكرة تبدأ بين الصعلوك التافة الحاقد الملحد أبا موسى الأشعري الذي عزله أمير المؤمنين عن الولاية لسوء سلوكه، والضال المضلل ابن العاص عن وجود الشمس في رابعة النهار.

مدعين انهما يبغيان حل المشكلة التي نهضت بين الحق والباطل مع وضوحها لكل ذي قلب وبصيرة مع يقين الناس أجمعين بحق علي في خلافة المسلمين وإمارة المؤمنين، ولكن الضلال الذي ملأ قلوب معظم هذه الأمة الضالة أبى إلا الحقد والكفر مما جعلهم ينصبون حكمان في حل معضلة قامت بن حق وأضح وباطل سافر.

(١) وقعة صفين: ٥١٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٣٦.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٣٩، الأنوار العلوية: ٢٥٢.

قاتلهم الله فمتى أحتاج الحق إلى نقاش، ومتى أحتاجت الشمس في رابعة النهار إلى دليل؟

فكان الاتفاق المبطن بالغدر بين المشرك ابن العاص أن يقدم الضال لحاقد الملحد البليد أبا موسى الأشعري ليتكلم قبله، فيحذر عبد الله بن العباس بأن لا يسبق خادعه بالكلام وأن أتفقا على كل شيء، وليقدمه ليتكلم قبله.

ولكن لم تجد هذه المحاولات نفعاً مع الفاسق أبي موسى الأشعري، لأنه قام، وقال: لقد أتفقنا على أن نعزل الرجلين، فسبحان الله أي رجلين هما فرجل خليفة بإجماع المسلمين وأخا النبي وصهره وابن عمه وأولى الناس بمقامه وقد ظهر الإسلام بسيفه.

ورجل عامل ضال قانوناً ودستوراً وشرعاً، فلم يمثل لأمر خليفته وأمر الحق الذي بايعته الأمة وثوار الامصار عليه، وهكذا تقبل ذلك المجتمع الموجود هذه الموامرة المبكية المضحكة، وكأنه لاحق ولا باطل، ولا حساب ولا عقاب، ولا جنة ولا نار.

فالصعلوك أبا موسى يتكلم، وما أبعد عن الحق، وما أشده حرباً على الله وعدواناً على الإسلام، إذ يقول هذا الحاقد: (إننا قد نظرنا في أمر هذه الأمة، فلم نرى شيئاً هو أصلح لأمرها، ولا ألم لشعثها من ألا تتباين أمورها، وقد أجمع رأيي ورأي صاحبي على خلع علي ومعاوية.

وأن يستقبل هذا الأمر، فيكون شورى بين المسلمين، يولون أمورهم من أحبوا، وإنني قد خلعت علياً ومعاوية، فاستقبلوا أموركم، وولوا من رأيتموه لهذا الأمر أهلاً، ثم تنحى^(١).

فيا زنيم ويا عتل^(٢) أثيم يا أبا موسى الأشعري أكان المجرم العاصي لأمر الخليفة الحق أو سميه الجندي المجرم الرافض لأمر قائد الجيش الذي أجمعت عليه الأمة بقضها وقضيضها موازياً في المقام الذي فرضه الحق، وموازياً للقائد العام أو الخليفة المنصوص عليه بالقرآن، وأختارته الأمة بإجماعها وثوارها؟

فكيف حتى يكون لهذا المجرم المدعو أبو موسى أن يقرر وهو الأحقر، بل هو والأحقر من ذلك عزل مجرم متمرد وخليفة أجمعت عليه الأمة، نعم عزل الأثنين معاً وأنا لا أدري والله كيف سكت أصحاب علي عليه السلام ولم ينقضوا عليه ويقطعوه ارباً ارباً؟

سته وعشرون: امتداد المشركين يلي أبا موسى في الكلام، ويقول: (قام صاحب السوء والغدر والخزي والعار، وقال ما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية في الخلافة، فإنه ولي عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه)^(٣).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. المعيار والموازنة: ١٩٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٢٥٥.

(٢) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ١٧٥٨ / ٥ مادة عتل.

(٣) ورد الخبر باختلاف يسير. المعيار والموازنة: ١٩٠، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٥٢، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٥/ ١٢٨.

سبعة وعشرون: لنصرف النظر في هذه الفقرة الآن عن الأحقاد الدفينة التي ملات صدر هذا العجوز الكافر المنافق الاهوج المدعو أبا موسى الأشعري، ولننظر في أمره كإنسان أو كعربي، ونقول له: يا زنيم، ويا عتل^(١) أئيم كيف جاز لك أن تقول: (أنني خلعت علياً ومعاوية)، وما الذي تخلعه عن العاصي المخالف لأوامر إمام زمانه وهو ابن آكلة الأكباد أمبايعة البديرون له أم إجماع المهاجرون والأنصار وأهل الحل والعقد عليه؟

ألم يحصل كل هذا وزيادة لأمر المؤمنين الذي نص ربك الأعلى على ولايته يوم الغدير؟

ألم تزحف الأمة أطفالها ونسائها وشبابها وشيوخها إليه، وأخرجوه من داره إلى المسجد بعد معارضته الشديدة، وأجتمعوا على بيعته ألتى أبا الثائرون أن يغمدوا سيوفهم إلا بعد إكمالها، ورضى أمير المؤمنين بها، ووافق عليها؟

ثم ألم يكن معاوية مأموراً كسائر المامورين، وموظفاً كسائر الموظفين الذين يتم نصبه وعزله بكلمة من الخليفة القائم عليه؟

فكيف جاز لهؤلاء العصيان على مركز الخلافة، وحين ترى كل هذه تجد الضرورة على عزلهم لسوء سلوكهم وزيادة على عدم إيمان الخليفة له إضافة لعدم إمكان بقاءه في العمالة طرفة عين لفجوره وفسقه وإستهتاره، فالجتمع

(١) العتل: أي سرع إلى الشر. الصحاح: ١٧٥٨ / ٥ مادة عتل.

يعرف أن النبي ﷺ جعله طليقاً وابن طليق والطلاق كما هو معروف لدى الجميع ايضاً تحرم عليهم خلافة النبي وإمامة المسلمين.

فذلك قليل من كثير في ما يتعلق بالناحية الدستورية لهذا الموضوع ناهيك عن الفضائل التي أعلت هامة الهاشميون، وبالذات علي وأولاده علياً، والمخازي التي نكست رؤوس الأمويون وبالذات أبا سفيان وذريته اللعينة بكتاب الله^(١).

أقول: مع ثبوت كل ذلك فلا أدري كيف جاز لهذا الممسوخ الحاقه أن يعلن وهو شخص من أمه تعد بالملايين خلع خليفة منصوص عليه من الله جل جلاله والمجتمع عليه من هذه الأمة كل الأمة أخيارها وأشرارها، ولكنهم قوم في طغيانهم يعمهون، وغداً في العذاب الأليم خالدون.

ولا زلنا في موضوع هذه الفقرة، وإليك كلام أبا موسى بعد أن قراءت التمهيد، فقد قام هذا، وقال مخاطباً: (إنك العاص ما بالك، لا وفقك الله غدرت وفجرت، إنما مثلك كمثل الكلب أن تحمل عليه يلهث أو تركته يلهث. فقال له عمرو: وإنما مثلك كمثل الحمار يحمل عليه أسفراً)^(٢).

(١) إشارة الى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾، سورة إبراهيم ١٤: ٢٦.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. المعيار والموازنة: ١٩٠، مروج الذهب: ٣٩٩ / ٢.

وحين إنكشف الغدر وباتت المكيدة للناس واضحة هاجوا الناس، واثارت مشاعرهم، وقرروا الإنتقام من الحكّمين، فأنهزم أبا موسى فاراً إلى مكة، وأنهزم ابن العاص ودخل إلى معسكره^(١).

ثمانية وعشرون: وهي فقرة خاتمة المطاف وسوء المنقلب، وتظهر صورته بما جاء بلسان الوصي عليه السلام أذ يقول: ((ما أختلفت أمة بعد نبيها إلا تظهر أهل باطلها على أهل حقها))^(٢).

فالיום قد إنتهى هذا التحكيم المزيف الباطل والمعادي لله ولرسوله، فقامت الفتنة وبرز الشيطان من مكمنه، والباطل من مخبئه، وإنقلب البعض على الأعقاب.

أما المنافقون الحقيقيون فكان مقرهم معسكر معاوية وكانوا قد أعلنوها عصياناً صريحاً وعدواناً على الله ورسوله ووصيه، فكانت هي الفئة الباغية بحكم قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي﴾^(٣)، وبحكم الحديث: ((يا علي ستحارب بعدي الناكثون، والقاسطون، والمارقون، على تأويل القرآن كما

(١) أنظر مروج الذهب: ٢ / ٣٩٩.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٣٧، مقاتل الطالبين: ٤٥.

(٣) سورة الحجرات: ٤٩: ٩.

حاربت على تنزله))^(١)، ثم قوله ﷺ: ((ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية وآخر شرابك من الدنيا ضياع^(٢) من لبن))^(٣).

أقول: أن هذه الفئة من المنافقين الموجودة في معسكر القاسطين كانت صريحة العدوان بينة الضلال بحكم القرآن والأحاديث النبوية المقدمة، أما الفئة الأخرى والتي كانت تستر وراء آيات أمير المؤمنين فقد كشفت عن مكانها الحقد ورفعت القناع عن وجهها بعد وصول أموال معاوية ومواعيده إليها، فأشترتوا الحياة الدنيا بالأخرة، وبئس ما كانوا يصنعون، وساء ما كانوا يحكمون.

أما المؤمنون الصادقون الصابرون المحتسبون فقد تفرقوا عن أمير المؤمنين ﷺ معظمهم أذ سقطوا في هذه الحرب الضارية شهداء لياخذوا منزلة الأبرار عند ربهم بفردوسه وجناته، فهم فيها خالدين أبد الأبد، وطالما بكاهم ﷺ لفراقهم.

وأنت أن طفت بأفكارك في أطراف هذا الموقف الرهيب، وتعمقت في أغواره، وتصورت مضاعفاته لم يبق عندك وأنت فاقد الصبر إلا أن تقول: ساعدك الله يا أمير المؤمنين، وما أصعب ظروفك.

(١) ورد الحديث باختلاف يسير. الخصال: ٥٥١ ح ٣٠، كتاب سليم بن قيس: ١٦٦.

(٢) ضياع: أي لبن خاثر يصب فيه الماء. أنظر العين: ٣ / ٢٦٧ مادة ضياع.

(٣) ورد الحديث باختلاف يسير. روضة الواعظين: ٢٨٦، المزار الكبير: ٢٧٧، بحار الأنوار: ٦٣٦٦ / ٩٧ ح ٦.

فقد تلاحمت الفتن من حولك كقطع من ليل مظلم، وتيارات جاهلية، فوقفت أمامك كما وقفت أمام أخاك رسول الله ﷺ من قبلك، ولكن الله سبحانه الذي قال وعز من قائل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، فشأت إرادته العليا أن يمتحن اقوامك فيك، ويرد حسابهم إليك يوم عرضه وحشره ومعاده.

الفوضى في معسكر الإمام

ولما إنتشرت الفوضى وأختل النظام في معسكر أمير المؤمنين عليه السلام أذ عصت طائفة وهربت الأخرى، وغدر الآخرون رأى عليه السلام أن يتدرع بصبره العجيب، ويللم الصفوف المبعثرة، ويجمع النفوس المتنافرة بما أوسع الصبر وعاونه العزم، فأجهد أمره إلى أبناءه وبني عشيرته بأن يكلموا الناس للعودة إلى الطاعة والنظام، والإستمرار في الجهاد، ومحاربة الفئة الباغية التي أكدت بغيتها من جديد بمصاحفها وتحكيمها، وقام أول من قام الإمام السبط أبا محمد الحسن الزكي ابن رسول الله ﷺ.

فقام صلواة الله وسلامه عليه، وقال بالناس خطيباً: ((أيها الناس، إنكم قد أكثرتم في أمر الرجلين، وإنما بعثنا ليحكمنا بالكتاب على الهوى، فحكمنا بالهوى على الكتاب، ومن كان هكذا لم يسم حكماً ولكنه محكوم عليه.

(١) سورة النساء ٤: ٦٤.

وقد أخطأ عبد الله بن قيس أي أبا موسى الاشعري إذ جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ذلك ثلاث خصال: واحدة أنه خالف أباه يعني عمر بن الخطاب، إذ لم يرضه لها ولم يجعله من أهل الشورى.

والأخرى إنه لم يستأمره، وثالثة إنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس.

وأما الحكومة فقد حكم النبي عليه بالصلاة والسلام سعد بن معاذ في بني قريظة فحكم بما يرضى الله به ولا شك ولو خالف لم يرضه رسول الله ﷺ، ثم نزل من على المنبر سلام الله عليه^(١).

التحليل:

ولو حللنا كلمات الإمام السبط لوجدناها إستخلصت القضية وحللتها من كل جوانبها حتى سدت في وجوه الحشود المجتمعة من المتمردين وغير المتمردين كل الثغرات، وكل المبهمات، وأن من يعطي مهمة التحكيم بين فئتين متنازعتين يجب أن يحكم الله، وفي سبيل الله بما يرضى الله سبحانه، وليس بوازع من نزاعاته، ودوي نفسه، ودوافع حقه.

وأن الفاسق أبا موسى كما أوردنا في تحليلنا السابق عن هذا التحكيم الباطل المزيف لا يجوز له أن يكون حكماً في هذه القضية التي نسفنا أي أساس يمكن أن يقوم عليه تحكيم في قضية بين خليفة حق بإجماع المسلمين في طليعتهم المهاجرين والأنصار، وأهل الحل والعقد.

(١) ورد الخبر باختلاف يسير شرح الأخبار: ٦/٢، مناقب ابن شهر آشوب: ٢/٣٧٣.

أقول: إضافة إلى ما قلناه في تحليلنا السابق من أن هذه القضية التي أطلقنا عليها اسم التحكيم هي باطلّة أصلاً إذ لا يجوز على الإطلاق أن يقوم نقاش أو جدل بين حق صريح وباطل مكشوف، فالخليفة الحق نصاً وإجماعاً هو أخا الرسول علي بن أبي طالب عليه السلام، والعامل العاصي لخليفته وإمام زمانه هو المدعو معاوية ابن آكلة الأكباد، وهو طليق وابن طلقاء.

وإذا اعتبرنا هذه القاعده هي أساس موضوعنا، وهي قاعدة لا يرقى إليها شك أو ريب، ولا يجوز فيها الجدل والنقاش، فهناك أمر آخر يزيد لها ظلاماً إلى ظلامها، وعدواناً إلى عدوانها، وباطلاً إلى باطلها في الوقت الذي لا نجوز فيه التحكيم على الإطلاق نجد المتمرّدون المنافقون في معسكر الإمام يغونها عوجاً في الحالتين جميعاً.

أعني قبولهم التحكيم في قضية توازي القرآن بصراحة حقها وعدالة قضيتها، ثم يعينون بغياً الفاسق البليد أبا موسى حكماً وممثلاً للإمام الذي سبق له أن طرده من منصبه وعزله عن ولايته لسوء سلوكه وكثرة المشتكين من أفعاله وجهله وسوء تصرفه، فما يجتمع في شخص هذا الفاسق المدعو أبا موسى الأشعري ما يجيز له، أو يؤهله على الإطلاق أن يكون حكماً.

لأنه متأثر من الخليفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعزله واقصاءه عن مركز الحكم حين كان عاملاً لديه^(١)، وزد على ذلك كله عليها بالفساد

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٣٠ / ٤.

والضلال قبل ان يحكم عليه الناس وذلك بترشيحه للخلافة رجل ابعده عنها اقرب الناس اليه وهو ابوه وذلك لعدم جدارته ولياقته لهذا المركز الخطير.

وبعد هذا أقول: يبقى الضلال هو الضلال، والفسق هو الفسق، والمكر هو المكر؛ فالمنقلبون على أعقابهم أبوا إلا قبول التحكيم، وإلا أرغام الخليفة الحق على قبوله، والنزول إليه رغم معارضته وإلا يفرض على الخليفة العزل والإقصاء، مما عين حكماً في القضية الباطلة وممثلاً للإمام عليه السلام ومعسكر الإمام.

عبد الله بن العباس بعد الإمام الحسن عليه السلام

ثم أمر أمير المؤمنين عبد الله بن عباس أن يقوم بالناس خطيباً بعد أن أدى الإمام الحسن عليه السلام ما عليه من أفهام أهل الشقاق والنفاق، فقام خطيباً في الناس قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه، قال: (يا أيها الناس، إن للحق اهلاً أصابوه بالتوفيق والرضا، والناس بين راض به، وراغب عنه، وإنما سار أبو موسى لهدى إلى ضلالة، وسار عمرو بضلالة إلى هدى).

فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه، ومضى عمرو على ضلاله، فوالله لو كانا حكما عليه بالقرآن لقد حكما عليه، ولئن كان حكما بهواهما على القرآن، ولئن مسكا بما سارا به، لقد سار أبو موسى وعلي إمامه، وسار عمرو ومعاوية إمامه^(١).

(١) ورد الخبر باختلاف يسير شرح الأخبار: ٧ / ٢، مناقب ابن شهر آشوب: ٣٧٣ / ٢.

عبد الله بن جعفر بعد عبد الله بن العباس

وحين إنتهى عبد الله بن العباس من كلامه أمر أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أن يتكلم، فتقدم وصعد المنبر، وقال: (أيها الناس، هذا أمر كان النظر فيه لعلي، والرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبي موسى فقلتم: قد رضينا هذا، فارض به.

وأيم الله ما أصلحاً بما فعلاً الشام، ولا أفسد العراق ولا أماتا حق علي، ولا أحييا باطل معاوية، ولا يذهب الحق قلة رأي، ولا نفخة شيطان، وإنا لعلي اليوم كما كنا أمس عليه^(١)، ثم نزل عن المنبر.

وبعد أن أنهى هؤلاء القادة والزعماء وخاصة الإمام السبط كلامه بإيضاحهم لفساد التحكيم، وعدم جواز قبوله، وشكل الموافقة عليه، ومحور ضلال الرجلين الذين أوكل أمر التحكيم اليهما؛ أرتدع معظم المتمردون، وبانت استجابة الناس بركون معظمهم إلى الهدوء، ورجوع أكثر المضلل بهم إلى طريق الصواب.

الخوارج قاتلهم الله يتمردون

ألم تكن هذه الفتن الظلماء وقد لاحقت الأطياب المؤمنين وأحداً بعد الأخرى، وألم تكن هي التي أوعد بها رسول الله ﷺ أخاه علياً بمواجهتها

(١) الإمامة والسياسة: ١ / ١١٩.

مراراً وفي شتى المناسبات، فتارة يقول لابنته فاطمة حين زارها وكان علي نائماً: ((دعيه؛ فرب سهر طويل له بعدي))^(١).

وفي الحداثق السبع حين قال له: ((ضغائن في صدور قوم لا يدونها لك حتى يفقدوني).

فقال: يا رسول أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟

قال: بل تصبر.

قال: فان صبرت!

قال ﷺ: تلاقى جهداً.

قال ﷺ: أفي سلامة من ديني؟

قال: نعم.

قال: فإذا لا أبالي))^(٢).

وأخرى حين زار أهل البقيع يودعهم، ويدعوا لهم ﷺ، ويقول: ((السلام عليكم يا أهل البقيع! ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، لو تعلمون ما أنجاكم الله منه! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم))^(٣).

ومناسبات شتى أخرى اخبر فيها النبي اخاه علياً انه سيواجه هذه المحن

(١) ورد الخبر باختلاف يسير. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٧/٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٨ / ٤.

(٣) كنز العمال: ١٢ / ٢٦٢ ح ٣٤٩٦١.

وهذه الفتن وفي حديث الحداث السبع ذكرنا طرفاً منه الان قال امير المؤمنين
للنبي ص يا رسول أفلا أضع سيفي على عاتقي فأبيد خضراءهم؟

قال: بل تصبر.

قال: فان صبرت!

قال ﷺ: تلاقى جهداً.

قال ﷺ: أفي سلامة من ديني؟

قال: نعم.

قال: فإذا لا أبالي^(١).

فقال ﷺ لهم: ((فصبرت وفي العين قذى^(٢)، وفي الخلق شجا^(٣)، أرى
تراثي نهياً^(٤)))، قال لهم يوماً: ((صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب
أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله أن معاوية صارفني بكم
صرف الدينار بالدرهم فأخذ مني عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم^(٥)))،
وإنهم جميعاً يعرفون مقامه مقام الحق في كل ما يرضي الله ورسوله، ويعرفون

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٠٨ / ٤.

(٢) القذى: أي الصبر على ما وقع بالعين. أنظر العين: ٢٠٢ / ٥ مادة قذي.

(٣) الشجا: ما اعترض في الخلق من عظم هذه تعبيراً عن غصة الحزن. أنظر الصحاح: ٦ /

٢٣٨٩ مادة شجا.

(٤) نهج البلاغة: ٣٢ / ١.

(٥) نهج البلاغة: ١٨٨ / ١.

كذلك حق العلم ما إنطوت عليه نفسه، وهي نفس نبيهم ﷺ من العلم، والعدل، والفقه، والرحمة، والشجاعة، والبأس، والقناعة، والزهد، والوفاء بالعهد، والفداء لكل ما أمر الله به بشكل ممتنع عن المفارقة.

وأي إنسان مهما كانت نزعاته وميوله يستطيع أن يتبين من الأحوال التي وقعت في خضمها عملاق البشرية، ورائد الإنسانية من الظلم والظالمين، وهو لا ترحزه القواصف ولا تحركه العواصف منذ اللحظة التي فارق النبي ﷺ فيها هذه الدنيا منتقلاً إلى الفردوس الأعلى.

أقول: لقد وقف صلوة الله وسلامه عليه وسط هذا الزلازل، والاهوال طوال عمره، وما توانى ساعة قط في معالجتها بالحكمة والعدالة التي يريد بها رب العالمين، وبروح من الإنسانية شملت خصومه، وأنصاره سواء بسواء.

وإذا نقف الآن على حلقة صفين في سلسلة الماسي الرهيبة التي واجهها أبي الحسين عليه السلام فواجه إمامنا تمرداً جديداً، بل وكفراً جديداً ينهض بالامة ألا وهم أهل النهروان الخوارج قاتلهم الله.

النهروان بعد صفين

مرة أخرى أقول: قاتلهم الله مجرمون منافقون مخربون، فرضوا على أمير المؤمنين عليه السلام التحكيم رغم أفهامه إياهم أنها مكيدة من أناس ليسوا بأصحاب قرآن ولا دين، ولكن لجأوا إليها حين غصتهم السيوف، وخذلتهم الحرب بمصارع بعد مصارع، وأبصرتهم أشباح الهزيمة، والموت، والإستسلام.

ثم فرضوا عليه بعد ذلك تعيين شخص التحكيم الذي رفضه أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنهم أبوا إلا أبا موسى الأشعري^(١).

والآن، وبعد قبولهم التحكيم المزيف رغم معارضة قائدهم وأميرهم، وبعد إختيارهم الحكم رغم إردته ومشيبته أيضاً جاءوه يطالبون منه التوبة على هذه الخطيئة التي ارتكبوها هم ضد أوامره وإردته، وفرضوها عليه بقوة السلاح والشقاق، وأن يقر على نفسه بالكفر ثم يتوب إلى الله تعالى حتى يدخلوا في طاعته من جديد؛ فبئس ما كانوا يعملون، وسائر ما كانوا يحكمون، وعسكروا بمحل يقال له النهروان^(٢).

ورغم هذ الهزعات فلا يزال صدر أمير المؤمنين عليه السلام فيه إتساعاً غريباً لمعالجة قضية هؤلاء الاوباش، وجعل يعمل على مذاكرتهم ومناقشتهم ومحادثتهم عسى أن يعثروا على الضوء فيهدتدون، ومراراً قالها صلوان الله

(١) أنظر مروج الذهب: ٢ / ٤٠٢.

(٢) أنظر الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٤٢، تاريخ الإسلام: ٣ / ٥٨٨، البداية والنهاية: ٧ /

عليه: ((إلا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة فتهتدي بي وتعشوا إلى ضوئي، وذلك أحب إلي من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها))^(١).

مقتل عبد الله بن خباب وزوجته والحارث بن مرة العبدي

دَبَّ هول السفلة الأوباش فساداً في الأرض، وأشاعوا الفوضى والخوف والذعر بين الناس، حتى صاروا يقتلون الأبرياء، وحين وصلت أخبارهم لأمير المؤمنين عليه السلام أوفد لهم الحارث بن مرة العبدي، ليصحح رأيهم، ويعدل سلوكهم، ويحاججهم أن حاجوه، ويدلهم على الخير والصلاح، وحين وصلهم وحل بين ظهرائهم فتكوا به كما فتكوا بالعبد الصالح عبد الله بن خباب بن الأرت وزوجته التي كانت حاملاً بأشهرها الأخيرة.

فعند هذا الحد نفذ صبر أمير المؤمنين، وأصبح أمام مسؤولية شرعية ودستورية ليقوم بتأديبهم وأنزال عقوبة قتل الأبرياء الصالحين بمقتهم، فحرك جيشه، وتقابل الفريقان بالنهروان^(٢).

(١) نهج البلاغة: ١ / ١٠٤.

(٢) أنظر تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ٦١، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ٧٧ ح ٨٦، مناقب ابن شهر آشوب: ٢ / ٣٦٩، الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٤٢.

خطاب أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان

نهض سيد الثائرين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وهو مثقلاً بهموم يعجز عن النهوض بها حتى أولي العزم من الأنبياء والمرسلين، وقام فيهم خطيباً، وقال: ((أيتها العصاة التي أخرجها عداوة المراء واللجاجة، وصدها عن الحق والهوى، وطمح بها النزق^(١)، وأصبحت في اللبس والخطب العظيم.

إني نذير لكم أن تصبحوا تليفكم الأمة غدا صرعى بأثناء هذا النهر، وبأهضام هذا الغائط، بغير بنية من ربكم ولا برهان بين.

ألم تعلموا أنني نهيتكم عن الحكومة، وأخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن ومكيدة لكم، ونبأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، وإني أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالاً ورجالاً، فهم أهل المكر والغدر، وإنكم إن فارقتم رأيي جانبتم الحزم فعصيتُموني حتى إذا أقررت بأن حكمت، فلما فعلت شرطت واستوثقت فأخذت على الحكمين إن يحيا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا وخالفا حكم الكتاب والسنة.

فنبذنا أمرهما ونحن على أمرنا الأول، فما الذي بكم ومن أين أتيتم؟؟^(٢).

(١) النزق: أي الخفة والطيش. الصحاح: ١٥٥٨ / ٤ مادة نزق.

(٢) تاريخ الأمم والملوك: ٦٢ / ٤.

هذا هو الحق الصريح الذي عهدته الخلائق، وعرفه رب العالمين في وصي رسوله، وما ترحزح عنه لحظة من لحظات عمره الشريف، أما جواب هذه العصابة الضالة هو: (إنا حكمنا فلما حكمنا أثمنا وكنا بذلك كافرين، وقد تبنا فإن تبت كما تبنا فنحن معك وإن أبيت فاعتزلنا فإننا منابذك على سواء إن الله لا يحب الخائنين)^(١).

قاتلهم الله ما أجرئهم على الله ورسوله ووصيه، فأنظر إلى جواب الإمام عليّة صلوات الله وسلامه عليه منكرأ عليهم ذلك، قائلأ: ((أصابكم حاصب^(٢) ولا بقي منكم وابر^(٣)، أبعد إيماني برسول الله ﷺ، وهجرتي معه، وجهادي في سبيل الله، أشهد على نفسي بالكفر.

لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، ويحكم بم أستحللتكم قتلنا، والخروج من جماعتنا؟ أن أختار الناس رجلين، فقالوا لهما: أنظروا بالحق فيما يصلح العامة ليعزل رجل ويوضع آخر مكانه، أحل لكم أن تضعوا سيوفكم على عواتقكم تضربون بها هامات الناس وتسفكون دمائهم؟ أن هذا لهو الخسران المبين))^(٤).

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٦٣ / ٤.

(٢) حاصب: أي الريح التي تحمل التراب فتعمي البصر، هذه كناية عن حجب بصيرتهم. أنظر العين: ١٢٤ / ٣ مادة حصب.

(٣) ولا بقي منكم وابر: أي لم يبقى من مطيع. أنظر الصحاح: ٥٨٨ / ٢ مادة بر.

(٤) الإمامة والسياسة: ١٢٧ / ١، تاريخ الأمم والملوك: ٦٣ / ٤.

فانصرف عنهم، ومع هذا لا يزال صبر أمير المؤمنين يتسع الموقف الكئيب، فلما عجز هؤلاء الممحقون عن مناقشة أمير الحجة والبيان عقدوا أمرهم على الحرب، فصبر صلوات الله وسلامه عليه جيشه، وأستعد لمحقتهم ونحرتهم مع ذلك كله فقد أصدر أمره الكريم الرحيم إلى أصحابه بأن لا يبدؤهم بقتال حتى يبدؤنهم^(١).

هجوم الخوارج والخطة العلوية

هجم الخوارج كتلة واحدة ينادون: هل من رائح إلى الجنة؟ ولا حكم إلا لله، أما الخطة العسكرية العلوية المذهلة هي صدور أمر المعلم الأول لقواعد الحرب لأصحابه أن ينفرجوا لهم شطرين، ويسمحوا لهم بالتوغل داخل صفوفهم، حتى دخلوا كلهم بين الصفين، وحين أكتملوا أمطرتهم جيش الإمام بالنبل.

وما هي إلا ساعة من نهار حتى قتلوا عن آخرهم، ولم يبق إلا تسعة وهو العدد الذي أعلن عنه علام الغيوب بإذن الله قبل وقوع الحرب في كتاب الملل والنحل للشهرستاني، وأن هؤلاء التسعة الذين أفلتوا ذهب منهم إثنان إلى عمان، وإثنان إلى كرمان، وإثنان إلى سجستان، وإثنان إلى الجزيرة، وواحد إلى اليمن، وأخذوا في تلك الأماكن يثبتون فكرتهم، ومن هناك ظهرت بدعة الخوارج^(٢).

(١) أنظر المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ١٣٤، الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٤٢.

(٢) أنظر الملل والنحل: ١ / ١١٦، البداية والنهاية: ٧ / ٣١٢، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء:

ذا الثدية

ولما وضعت الحرب أوزارها طلب الإمام من أصحابه أن يلتمسوا له ذا الثدية فبحثوا عنه بحثاً دقيقاً فلم يظفروا به، فعادوا إليه يخبرونه بعدم ظفرهم به، فأمرهم أن يلتمسوه مرة أخرى، وهو الذي طالما قال: ((ما كذبت ولا كذبت ولا ضللت ولا ضل بي))^(١).

فانطلقوا يفتشون عنه فظفر به رجل من أصحابه بين القتلى فخرج يهرول ليخبر الإمام، فصاح الله أكبر ما كذبت على محمد، وأنه ناقص اليد ليس فيها عظم في طرفها حلمة مثل ثدي المرأة، عليها خمس شعرات أو سبع، رؤسها معقفة، وفأمر الإمام بإحضار جثته.

فاحضر له، فتبين عضده فاذا على منكبه ثدي كثدي المرأة، وعليه شعرات سود تمتد حتى تحاذي بطن يده الأخرى، فاذا تركت عادت إلى منكبه فلما رأى ذلك خر ساجداً لله^(٢).

أما نحن نكبر مع المكبرين، ونقول الله أكبر والله الحمد فقد اقتضى بأن يكون وصي رسول الله مع الحق والحق معه حيثما دار.

٢٢٥/١٣

(١) نهج البلاغة: ٤ / ٤٣.

(٢) أنظر مروج الذهب: ٢ / ٤٠٧، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٥ / ١٣٦، الدر النظيم: ٣٧١، البداية والنهاية: ٧ / ٣٢٥، الدر النظيم: ٣٧١.

مضاعفات الظرف العصيب

أنطلقوا من هجرة الوصي إلى يثرب أو أن شئتم قبل ذلك حين حوَّصر الهاشميون في الشعب^(١)، وسيروا معي في طريق الجهاد وسلسلة أحداثه ومواقفه من فداءه ليلة هجرة النبي ﷺ، ومبته على فراشه ومواجهته مصبحين وذو الفقار في يده يهزهم هزاً ويرعابهم رعباً، ثم سيوا معي وثم توقفوا قليلاً على مواجهته رهط المشركين الذين لحقوه في طريقه يريدون منه العودة إلى مكة بالفواطم^(٢).

ثم إنتقلوا معي إلى بدر، ومنها لأحد، وحنين، والأحزاب، والفتح، وأمعنوا النظر قليلاً في ما تركه سيفه من الدماء في هامات الشرك من صناديد وشيوخ وأبطال ورؤساء، ثم أنظروا فيما نزل فيه في كتاب الله، وما جاء بشأنه من أحاديث النبي، حتى إنتهى المطاف به في عهد الرسالة أن الله قد فرضه إماماً على الخلائق أجمعين^(٣).

وبعد أن أتم الرسول الأكرم إبلاغ العالمين بذلك نزل رضى الله سبحانه من لدن عزته وجلاله عن قبول الإسلام دنيا واتمام نعمته على عباده بإقامة علي أميراً للمؤمنين على المسلمين وهادياً للعالمين^(٤)، ثم قفوا معي، وأنظروا

(١) أنظر إيمان أبي طالب للشيخ المفيد: ٣، روضة الواعظين: ٥٣.

(٢) أنظر أمالي الطوسي: ٤٧١ ح ١٦، مناقب ابن شهر آشوب: ١/ ١٦٠، حلية الأبرار: ١/ ١٥٢ ح ٧.

(٣) إشارة إلى قوله النبي محمد ﷺ: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وآل من والاه،

وعاد من عاداه))، الكافي: ١/ ٢٩٤ ح ٣

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

إليه وهو يغسل خاتم المرسلين والملائكة المقربين أعوانه، وملا يهبط ويعرج يسلمون عليه^(١).

أنشدكم الله أما ترون معي أن هذه السلسلة المذهلة من المكارم الالهية الخارقة التي افرد الله بها علياً بعد محمداً ﷺ كانت سعيراً أجج صدور الحاقدين، والماثومين من بيوتات وقبائل العرب أجمعين وبالذات تلك التي اغصصها سيف علي بواحد أو أكثر من زعمائها كآل بني أمية، ومن طلع ركابهم.

ثم ألم يكن ذلك إيقاضاً لضغائن عميقة الجذور بين تلك القبائل، والهاشميون هم الذين تميزا على سائر العرب أجمعين بالتزام بالقيم والمثل، والتحلي بالشجاعة، والصدق، والوفاء بالعهد، ناهيك عن منزلتهم الروحية البعيدة عن التعصب حتى قبل مجيء الرسالة وظهور الدعوة في بلادهم.

وحين نضع هاتين الحقيقتين موضع النظر العميق لم نجد غرابة في تالب هولاء الناس على الهاشميون، وبالذات علي بن أبي طالب، لان العلاقات بين الناس في هذه البادية المتخلفة ما تحدت في يوم من الأيام بمقاييسها الصحيحة، وموازينها المشرعة، وإنما قامت قبل الدعوة الإسلامية على أساس من النوازع العصبية، والأحقاد القبلية، بجواً حسر اللثام للكرام، وأهل الباطل لأهل الحق.

الإِسْلَام دِينًا، سورة المائدة ٥: ٣.

(١) أنظر تاريخ يعقوبي: ٢/ ١٢٣، كشف المحجة لثمره المهجة: ٤٧، فتح الباري: ١٣/ ١٧٩، بحار الأنوار: ٣٢٤/ ٢٨ ح ٥٤٤.

وزادت تلك الأحاسيس ناراً وأستعاراً ما أجهه الإسلام، وظهور كلمته عليهم، وعلى ضلالهم وبغيهم، فكتمت نوازع النعمة، وحوافز الضغينة، وكشفوا عنها بعد إنتقال النبي الأكرم إلى حضرة القدس، فاذا هي حرباً ظروساً على محمد وأل محمد، فهي حرباً لم تخففها الأيام والسنين وإنما زادتها أستعاراً لا يهدى حتى يزيد من أراقة الدماء.

ويوصلك هذا التسلسل الرهيب إلى نكت من نكت، وقسوط من قسط، ومروق من مرق؛ وأذن لا بد من حرب الجمل، ولا بد من تجمع المثلث في مكة بزعامه عائشة والطلحة والزبير، ولا بد من عصيان ابن آكلة الأكباد الذي كان يتمتع بسلطان كبير في الشام يقوم على سند لا حدود له من مركز الخلافة بالمدينة، وهذه الحروب الطاحنة التي مرت تفاصيلها في واقعة الجمل وصفين وواقعة النهروان وغيرها من الحروب التي وقعت بعد إفتقاد الرسول الأكرم، إنما كانت مصداقاً للآية القرآنية: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾^(١).

وحين سئل رسول الله ممن ينتقم الله، قال: ((لهذا وأشار إلى علي بن أبي طالب))^(٢)، ثم أنظر إلى مصداق الحديث الكريم الذي أدلى به أمير المؤمنين، وقاله مراراً: ((ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا تظهر أهل باطلها على أهل حقها))^(٣).

(١) سورة الزخرف ٤٣: ٤١-٤٢.

(٢) ورد الخبر باختلاف يسير. مجمع البيان: ٨٣/٩، زبدة التفاسير: ٢٥٥/٦.

(٣) كتاب سليم بن قيس: ١٣٧، مقاتل الطالبين: ٤٥.

تمرد المتمردين

فبعد أن ظفر الإمام في حرب الجمل ورجعت عائشة إلى مكة مع من وجههم أمير المؤمنين لحراستها وحمايتها ومعها أخوها المجاهد محمد بن أبي بكر رضي الله عنه، وكان قد قتل طلحة بن عبد الله والزبير بن العوام عاد الأمن والطمأنينة إلى الناس^(١)، توجه الإمام بجيشه الضخم يقوده زعماءه من المهاجرين والأنصار الذين بقوا على قيد الحياة إلى صفين.

وقد مرت بك أحداثها ومضاعفاتها، والإتساعات التي تفتت في صفوف المحاربين مع الإمام بعد أن أستشهد معظم الموالين والصادقين كعمال، وتمرت طائفة كبيرة بسبب زيف التحكيم تارة وبالرشوة التي مدهم بها ابن آكلة الأكباد تارة، ثم أستطال أمد الحرب وظجر الناس من مصائبها وإبتعادهم عن أهلهم، وخاصة إنهم لا يملكون من عمق الإيمان شيئاً.

فهذه العوامل الثلاثة فككت وحدة الجيش الذي يقوده أمير المؤمنين، وأضعفت أجهزة المقاومة فيه، ثم لا تنسى إبتعاد هذا الجيش عن قواعد تمويله في العراق، وقرب هذه القواعد بالنسبة لجيش الشام.

فهذه العوامل جميعاً خلقت روح التخاذل، والتمرد، والركون الى الراحة في جيش العراق، حتى بح صوت الإمام من مناداتهم لايقاظ ضمائرهم، وتحريضهم على الجهاد في سبيل الله، فكان إذا طلبهم في الصيف

(١) أنظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٣١/١، وقعة الجمل: ٧٥، بحار الأنوار: ٣٢/١٠، الغدير: ٣٢٧.

يقولون أمهلنا ساعة القيظ^(١)، إذا طلبهم في الشتاء يعتذرون البرد، ويقول لهم: ((إذا كنتم من الحر والبرد تفرون، فأنتم والله من حر السيوف أفر، لا والذي نفس ابن أبي طالب بيده عن السيف تحيدون، فحتى متى؟! وإلى متى؟! يا أشباه الرجال ولا رجال))^(٢).

ثم يكشف لكم سلام الله عليه ما ألت إليه مشاعره الكريمة بعد إفتقاد إخوانه في الجهاد، فيقول سلام الله وصلواته عليه: ((ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم وهم بصفين أن لا يكونوا اليوم أحياء؟

يسيفون الغصص، ويشربون الرنق^(٣) قد والله لقوا الله فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم، أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟

أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظرائهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة.

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة فأطال البكاء، ثم قال ﷺ: أوه على إخواني الذين تلووا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه))^(٤).

(١) قيظ: أي صميم الصيف. العين: ٥ / ٢٠٠ مادة قيظ.

(٢) الغارات: ٢ / ٤٧٧.

(٣) الرنق: أي الكدر. أنظر العين: ٥ / ١٤٤ مادة رنق.

(٤) نهج البلاغة: ٢ / ١٠٩.

إحتلال الأقطار

والمراد بهذا المحور هو إحتلال الطلقاء من آل أبي سفيان الأقطار الدينية واحدة وبعد الأخرى، ففي الوقت الذي كان فيه أمير المؤمنين مثقلاً بتباطى أصحابه في الإقدام إلى الحرب التي فرضها الله تعالى عليهم، متوجعاً بتخاذلهم، وتدابره، وتفككهم، كان ابن آكلة الأكباد يعد العدة لغزو الأقطار العربية التابعة لسلطان الخلافة.

فامتد بجيشه ووجهه إلى مصر ليبر بوعده لوزيره القاسط ابن العاص الذي دبر له مكيده التحكيم التي أفسدت كل مخططات أمير المؤمنين بعد أن شارف على النصر الحاسم في صفين، وحين وصل هذا الجيش إلى مصر وجد أمامه اناس لا يختلفون عن إخوانهم في التواكل، والتدابير، والتخاذل؛ فاستطاع ابن النابغة من كسب المعركة، وحوصر المجاهد محمد بن أبي بكر بعد دافع دفاع الأبطال فهو من الذين تتلمذوا على يد علي بن أبي طالب.

فاستمر بدفاعه حتى سقط شهيداً في قتلة منكرة، وتم لاعداء الله إحتلال مصر التي باع من أجلها صاحب السوء ابن العاص آخرته بدنياه^(١).

أما مصيبة الحجاز وهي قاعدة النبوة وقلعة رسول الله ﷺ كانت أدهى وأمر من مصيبة مصر بما واجهته من المحن العاتية على يد الزنيم اللئيم بسر بن أبي أرتأة، أذ سبى النساء، وذبح الأطفال، وإشتاح المدينة بطغام^(٢) أهل

(١) أنظر الغارات: ٢٧٦ / ١، تاريخ الأمم والملوك: ٧٠ / ٤.

(٢) طغام: أي اوغاد الناس. العين: ٣٨٩ / ٤. مادة طغم. الصحاح: ١٩٧٥ / ٥ مادة طغم.

الشام وابوباشهم، ونكل بشكل خاص في أشرف قبيلة همدان التي مدحا أمير المؤمنين، بقوله:

جزى الله همدان الجنان فإنها سمام العدا في كل يوم زحام
فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام^(١)

أما عامل أمير المؤمنين أبي أيوب الأنصاري إستطاع الهرب، ونجى بنفسه من هذا الوحش الضاري^(٢)، الذي أنقذ حياته القدرة المجرمة من سيف أمير المؤمنين عليه السلام بنفس الطريقة التي أنقذ بها نفسه ابن العاص أي أبراز عورته، بعد أن أوشك أمير المؤمنين حين أنقض عليه بصفين أن يلحقه بمن قتله من الكافرين.

ولكن وأمير المؤمنين حين ينظر إلى هذه المناظر المخزية يحول وجهه الكريم عنها^(٣)، وبعد هذا نجد صرعاه يلوذان بالفرار، ويسبى النساء بمشهد شاهده التاريخ لأول مرة، وبالذات في عاصمة النبي وقاعدة دعوته ومركز سلطانه وحصن أنصاره والمهاجرين في سبيل دعوته، والمجرم بسر بن أبي أرطأة ومن على شاكلته من آل أمية، ومروان، ومعيط، يصبون عاراً على

(١) الفتوح: ٣٢ / ٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٥ / ٢١٧.

(٢) أنظر الغارات: ٥٩٣ / ٢، تاريخ الأمم والملوك: ٤ / ١٠٦، أمالي المفيد: ٣٠٦، تجارب الأمم: ٥٦٤ / ١، الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٨٥، تاريخ الإسلام: ٥ / ٣٦٩، صبح الأعشى في صناعة الإنشا: ١٣ / ٢٣٥.

(٣) أنظر وقعة صفين: ٤٦٢، الفتوح: ٣ / ١٠٦، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦ / ٣١٦.

الإنسانية وبيقون خزيًا في سيرة البشرية، وينكون رمزاً للدناءة حتى تقوم ساعة العرض والحساب.

نبذة من حياة أبوأيوب الأنصاري

هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة الأنصاري من بني النجار، وهو معروف باسمه وكنيته، شهد مع رسول الله ﷺ العقبة وبدراً وما بعدها من المشاهد، ولما قدم النبي ﷺ إلى المدينة نزل في بيته إلى أن بنى بيته ومسجده فطوبى له وهنيئاً لمنزلته.

وأخى النبي بينه وبين مصعب بن عمير، وقد إستخلفه الإمام علي عليه السلام على المدينة حين خرج إلى العراق ثم لحق به بعده، وشهد معه قتال الخوارج، وإمتدت حياته إلى سنة خمسين أو أثنى وخمسين هجرية، حيث توفى في أسطنبول كما جاء في كتاب الإصابة^(١).

(١) أنظر الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٠٠/٢، الطبقات الكبرى: ٣/ ٤٨٤، تاريخ خليفة بن خياط: ١٥٧، إكليل المنهج في تحقيق المطلب: ٥٤٢، مستدركات علم رجال الحديث: ٨/ ٣٣٢.

صدى فواجع إحتلال الأمصار على أمير المؤمنين

فيالها من ظروف صعبة، ومحن قاتلة، وفوضى خانقة، عاشها أمير المؤمنين عليه السلام منذ إجماع الأمة على مبايعته حتى إستشهاده عليه السلام، فقد طبقت عليه قطعاً جاهلية كالليل المظلم بعضها في أثر بعض.

فبعد أن سفكت الدماء أنهاراً يوم الجمل، واجه محنة صفين وقد مرت فصولها عليك حتى كانت ماساة التحكيم، ورجع جيشة بعد أن كان من النصر الحاسم قاب قوسين أو أدنى مخذولاً مفكك القوى، مشوش الذهن، متباين الآراء، ومعظم من فيه ينشد العاقبة، وبعد إزهاق الحق وإقامة الباطل فوهنت طائفة ومرق الآخرون، وكانت حرب النهروان التي سحق فيها أمير المؤمنين والموالين من أعوانه كيان تلك العصابة عن آخره إلا دون العشرة منهم إستطاعوا الفرار^(١).

ومال معظم الناس في العراق إلى الركون والراحة المخزية، والعاقبة المسخطة لرب العالمين، مما حفز الطلقاء إلى غزو الأقطار الإسلامية وأحدة بعد الأخرى؛ فتمكنوا بدسائسهم، وأموالهم، وخداعهم، ومكرهم، وبطشهم بالأبرياء أن يخذوا الناس إلى محط ميولهم وأهوائهم فمنهم من أشتروا منه كرامته وإنسانيته بدريهمات معدودة، ومنهم من أشتروه بمجرد الدعوة

(١) أنظر الملل والنحل: ١ / ١١٦، البداية والنهاية: ٧ / ٣١٢، صبح الأعشى في صناعة الإنشا:

الكاذبة، ومنهم من كادوا له، حتى تمكنوا من إحتلال مصر والحجاز على أساس من التكتيل والترويع بشكل لم يرى التاريخ له مثيلاً^(١).

كل ذلك حصل والأوغاد في العراق باقون في التمرد، والتخاذل، والتباطى، والعصيان، حتى وصلتهم غارات ابن آكلة الأكباد وبلغت الأنبار، وأمير المؤمنين عليه السلام بقي طوال هذه الفترة الظلماء يحثهم على الدفاع في أقل تقدير عن نساءهم واعرضهم وكرامتهم، ولكن لا حياة لمن تنادي^(٢).

وهذه خطبة من خطب أمير المؤمنين يصدر لك عمق كابة الموقف، وحراجة الظروف: ((أنبتت بسرا قد احتل اليمن، وإني والله لأظن أن هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم.

فلو ائتمنت أحدكم على قعب^(٣) لخشيت أن يذهب بعلاقته، اللهم إني قد مللتهم وملوني وسئمتهم وسئمونني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي

(١) أنظر الغارات: ١/ ٢٧٦، تاريخ الأمم والملوك: ٤/ ٧٠، تجارب الأمم: ١/ ٥٦٤، الكامل في التاريخ: ٣/ ٣٨٥، تاريخ الإسلام: ٥/ ٣٦٩، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: ٢٣٥/١٣.

(٢) أنظر الغارات: ٢/ ٤٦٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢/ ٨٧، الأخبار الطوال: ٢١٧.

(٣) قعب: أي القدح الغليظ. العين: ١/ ١٨٢ مادة قعب.

شرا مني، اللهم مث^(١) قلوبهم كما يماث الملح في الماء، أما والله لوددت أن لي
بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم:

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

ثم نزل عليه السلام من المنبر^(٢).

ومن هذه الحمم التي قذف بها سلام الله عليه أصحابها تعرف الكيفية
التي تهون بها الجبناء، وناهيك من تخاذلهم، وتنازله، وعصيانهم،
وخيانتهم، ويمكنك أن تتبين طبيعة الظرف الكئيب، والإعصار الرهيب الذي
كان يلف موقفه المحزن.

تعليق:

فبد هذا أول بلداء والله أولئك الذين يلومومون الإمام السبط أبا محمد
الحسن الزكي على تنازله لطلقاء جده عن الحكم، فأين هي اليد التي يصول
بها ويجول؟ وأي شعب هذا الذي يقوده سيد الخلائق أجمعين؟ فهو شعب
يتنكر له ولا يمثل لأمره ولا يسمع رأيه.

أقول: وأي شعب هذا المتمرد على الحق أصبح لا يستنفر حتى عند
إنتهاك حرماته، وكرامته، ومقدساته، وعرضه، والنتيجة هي غزو العراق بعد
مصر والحجاز.

(١) مث: أي أذاب. أنظر تاج العروس: ٢٦٢ / ٣ مادة مث.

(٢) نهج البلاغة: ٦٦ / ١.

خاتمة المطاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى نقيب المنقبين، وزعيم الباحثين، وأمير المؤرخين، ومثال المنصفين،
وأسوة الصابرين، وحسام العلويين، وعلم الموالين، مولانا الحاج عبد الحسين
أحمد الأميني النجفي قدس الله ثراه وطيب مثواه وجمعه يوم حشره وعرضه
وحاسبه مع عباد الصالحين، وشهداء الميامين تحت راية الحمد، وراية محمد
وعلي وآلهما صلى الله عليهم اجمعين، ولعن الله أعداءهم إلى يوم الدين
وأبد الأبدين، سلام الله على مولانا أمير المؤمنين وعليك.

أما بعد.

فرب قائل يقول: لماذا هذا الإطناب في الأميني رحمه الله وأنت في خاتمة المطاف
بكتابك، فأقول له: لعمر الله ما كنا فيما وسمناه به مطنين ولا مغالين؛ لأننا
راينا فعجبنا، وقرأنا فسكرنا بغير شراب، وفكرنا ففهمنا، ونظرنا فعجزنا، حتى
أيقنا أنه ليس في مقدور أحد من العالمين يرقى صروح المجد التي أعتلاها

ع..

فمن يقوى على الإطاحة بمواهبه ومآثره هيهات، وقد تشرف صدره الكريم بتلك الأوسمة الرفيعة التي وهبها له رب العالمين جلت الاءه، وعظمت قدرته، وتعالى ربوبيته عما يشركون.

أجل وهبها له رب محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين وأولادهم المعصومين الذين إصطفاهم من خلقه فطهرهم تعالى من الرجس تطهيراً^(١)، وفرض على خلائقه مودتهم^(٢)، وأمر عبده ورسوله وخاتم أنبياءه أن يباهل بهم الأمم الضالة ليكونوا حجة على خلقه، وأعلام في عبادته، ومناراً للهداية إلى دينه، وسبيلاً إلى صراطه المستقيم إلى يوم حشره وعرضه وحسابه^(٣).

وإذا كانت تلك منحة رب العالمين ومالك يوم الدين منحها لعبده الصالح المؤمن عبد الحسين أحمد الاميني قدس ثراه وطيب مثواه لتبينه مقام اصفياء الله الميامين منطلقاً من حبيبه المصطفى وحتى آله الطاهرين صلى الله عليهم أجمعين، ولإزالته الشكوك والأوهام التي خيمت على صدور قوم إنحرفت

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾، سورة الشورى ٢٣: ٤٢.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، سورة آل عمران ٣: ٦١.

بهم العاطفة وجرفهم الظلال في أمر وهم مسؤولون عنه، لقوله تعالى: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنْهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شِمَاعٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٢)، وذلك هو الأمر المبين الذي أكمل الله تعالى فيه دينهم وأتم به نعمته عليهم، وبه رضي لهم الإسلام دينا، كما هو بقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَنْسِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣).

أقول: إذا كانت تلك منحة رب العالمين منحها لذلك العبد الصالح المؤمن بربه، وكتابه، ورسوله، وأوصيائه، فأَيُّ إنسان هذا يستطيع القول فيه، ليوفيه حقه، ويرقى إلى تحديد أبعاد مجهوده الذي أقام الدليل على عمق إيمانه وتقواه، وعدله في حكمه، وإنصافه لخصومه، وسعة صدره في تنقيبه وبحثه، وواسع علمه وفقهه، حتى إذا هو نتاج يذهل العقول، ويفتخر به أولي القوة، وكان غرضه أن يوفيه تعالى أجور الصابرين.

فهنيئاً هنيئاً بهذا الفوز العظيم الذي لا يناله إلا ذو حظ عظيم، وإذا كان الأميني قد اعتزل الطيبات وإنظوى على نفسه حبس جدران مكتبه حيناً من الدهر، ليطلع على العالمين بمعجزة القدير، والدنيا من حوله تزخر بنعيمها على

(١) سورة الصافات ٣٧: ٢٤.

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٨.

(٣) سورة المائدة ٥: ٣.

أهلها، ورخائها على من طلبها فبالوانها تطعمهم، ومن شهدها تسقيهم، ومن وبرها وحريرها تلبسهم، وبباطلها تلهيهم فهي عمل قائم بلا حساب.

فلقد والله هو الرابع للصفقة، لأنه سيوفى أجوره من سائقي الحوض في يوم ظمأ ملتهب يشوي الوجوه بشراباً فيه لذة للشاربين، ويتلظى الباغون المارقون فيه عطشاً وحرقةً وغصصاً فهو حساب قائم بلا عمل.

ومرة أخرى سلام على مولانا أمير المؤمنين وقائد الغر المحجلين صاحب الغدير، وسلام على الأميني، وسلام على المتقين الذين هداهم ربهم فاحسن جزائهم؛ ليرجعوا إليه جلت الاء بنفوس راضية مرضية، وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

فهرست الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة (٢)		
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	١٢	٦٧
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	٤٨	٣٦٩
﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾	١٥٠	٢١٧
﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بَكُمْ عَمِي فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	١٧١	٢٤٩
﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾	١٨٠	٦٤
﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٩٤	٣٠٣
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾	٢٠٧	٢٤٩

٣١٠، ٣١٣	٢٥٣	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾
----------	-----	--

سورة آل عمران (٣)

٢٥٩	٢٦	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
-----	----	---

١٦، ٧١، ٧٤، ٩١، ١٣٣، ١٥١، ٢٧١، ٣٦٩	٦١	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾
---	----	---

٥٩	٨٦	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾
----	----	---

٨٨، ٢٦٦، ٢٧٠	١٤٤	﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾
-----------------	-----	---

٢٥٣	١٦٩	﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾
-----	-----	---

سورة النساء (٤)

	٣	﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾
--	---	---

٦٣	١١	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَىٰ﴾
----	----	---

١٦٢	٤٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرِبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾
-----	----	---

١٠٥	٤٧	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾
-----	----	---

١٥٢	٥٤	﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾
-----	----	--

١٢٤	٥٨	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
-----	----	--

٩٨	٥٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾
----	----	--

ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ٦٤ ٢١، ٢٥٠، ٣٤٣

سورة المائدة (٥)

٨٠، ٥٥

٣

﴿الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ
وَاحْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

٣٧٠، ٢٧٢

٢٣٩، ٢٣٢

٤٤

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾

٧٥، ٩٢

٥٥-٥٦

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ
يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ
يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْغَالِبُونَ﴾

٦٢

٦٤

﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾

٧٩، ٧٤، ٥٥

٦٧

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ
تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾

١٠٢، ١٠١، ٩١

٢٧١، ١٠٦

١٦٢

٩٠

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾

٩٤

١٠٦

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ

الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ
مِنْ غَيْرِكُمْ..»

سورة الأعراف (٧)

١٠٦	٤٦	﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾
٣٢٧ ، ٣٢٥	٨٩	﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾
٦٦	٩٦	﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
٣٦	١٥١-١٥٠	﴿ابْنَ أُمٍّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

سورة التوبة (٩)

٩١ ، ٧٨	٢-١	﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ..﴾
٣٠١	١٤	﴿فَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾
١٤٧	٣٢	﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

٢٠٨	٣٥-٣٤	﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنْزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾
-----	-------	---

٧٦، ٦٣، ٤٦، ١٥٢، ١٩٨، ٢٠٦	٤٩	﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾
---------------------------------	----	--

١٠٣	٦١	﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنُ قُلٍّ أَذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾
-----	----	---

سورة يونس (١٠)

٦٧	٣٥	﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾
----	----	--

سورة هود (١١)

١٢١	١٢٢-١٢١	﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اْعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾
-----	---------	--

سورة الرعد (١٣)

١٠٢	٧	﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾
-----	---	--

سورة إبراهيم (١٤)

٢٤٠، ١٨٧	٢٦	﴿وَمِثْلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ
----------	----	--

الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ

سورة النحل (١٦)

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾

٧٠

٩١

﴿إِنَّمَا يَلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيَّيْنَنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا

٩٢ ٧٥، ٩١، ١٠٠،

كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾

١٥١،

سورة الإسراء (١٧)

﴿مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

٢٧٢، ٨١

١٥

سورة الكهف (١٨)

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾

٢٩٩

٢٠

﴿بَشِّرِ الظَّالِمِينَ بِدَلَا﴾

٦٦

٥٠

﴿يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

٦٦

١٠٤

سورة مريم (١٩)

﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾

٦٣

٦-٥

سورة الحج (٢٢)

﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلِبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾

٦٦

١٣

﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا

٩٤

١٩

قَطَعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمْ
الْحَمِيمُ

﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ اللَّهُ﴾ ٦٠ ١٣٧

﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنِ نُسَارِعُ لَهُمْ
فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ٥٦-٥٥ ٢٠٢

﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٢١٤ ٢٧٥

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ ٢٢٧ ١٢٠، ١٩٨،
٢٧٤

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ
يَعْمَهُونَ﴾ ٤ ١٥٠

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ ١٦ ٦٣

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ
يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦ ٨١، ٢٠٤، ٢٦٨

﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ﴾ ٦٨ ٧٩

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا
فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِي﴾ ٨٣ ٤٤، ٣٦

سورة المائدة (٢٢)

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ ١٨ ١٥٩

سورة الاحزاب (٢٣)

﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ٢٣ ٢٥٠

﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ ٣٢-٣٣ ٣١٤

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ٣٣ ٩١، ٧٥، ٥٠، ١٣٨، ١٥١، ٣٦٩، ١٧٥

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ٦٢ ٥

سورة يونس (٢٦)

﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠ ٧٣

سورة الصافات (٢٧)

﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ ٢٤ ٣٦٩

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠ ٢٠٧

سورة النور (٢٨)

﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ١٥ ٦٥

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ٣٠ ٨٨

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

﴿وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾

﴿قُلْ لَنَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا

٣٤١	فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي
-----	--

١٣٣	١٠	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
-----	----	--

سورة الذاريات (٥١)

٢١٢	١٩	﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾
٢٦٦	٥٦	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

سورة النجم (٥٣)

٢٠٤ ، ٩٧ ، ١٩٧ ، ١١٧ ، ٢٢٢ ، ٢١٠	٤-٣	﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾
----------------------------------	-----	---

سورة الرحمن (٥٥)

١٠٥	﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِّنْ نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ﴾
-----	---

سورة التغابن (٦٤)

٢٠٨	١٧	﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾
-----	----	---

سورة الحاقة (٦٩)

١٣٧	١٠	﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمُ أَخْذَةً رَّابِيَةً﴾
-----	----	--

سورة المعارج (٧٠)

﴿يُبْصِرُونَهُمْ يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابِ
يَوْمِئِذٍ بَيْنَهُ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ كُلًّا إِنَّهَا لَطَوَّى
نَزَاعَةً لِلشَّوَى تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى وَجَمَعَ
فَأَوْعَى﴾

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ
مُخْتَلِفُونَ كُلًّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كُلًّا سَيَعْلَمُونَ﴾

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ
فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ
كَانَ تَوَّابًا﴾

مصادر ومراجع التحقيق

- القرآن الكريم.

١. الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تعليق محمد باقر الخرساني، دار النعمان للطباعة والنشر، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، النجف الأشرف، العراق.

٢. إختيار معرفة الرجال، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تصحيح وتعليق مير داماد الاسترابادي، تحقيق السيد مهدي الرجائي، نشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، لبنان.

٣. إرشاد القلوب إلى الصواب، أبو محمد الحسن بن محمد الديلمي (ت ٨٤١هـ)، تحقيق هاشم الميلاني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ، مركز الابحاث العقائدية، قم، إيران.

٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، نشر دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٥. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق علي محمد البجّاوي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ.

طباعة ونشر دار الجليل، بيروت، لبنان.

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٧. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود الشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨. إعلام الوري بأعلام الهدى، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ، قم، إيران.

٩. الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٠. إكليل المنهج في تحقيق المطلب، محمد جعفر بن محمد طاهر الخراساني الكرباسي (ت ١١٧٥هـ)، تحقيق السيد جعفر الحسيني الاشكوري، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٥هـ - ١٣٨٣ش، دار الحديث، قم، إيران.

١١. الإكمال في أسماء الرجال، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق وتعليق أبي أسد الله بن الحافظ محمد عبد الله الأنصاري، مؤسسة أهل البيت عليه السلام، قم، إيران.

١٢. الأمالي، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠هـ)، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ، دار الثقافة

للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.

١٣. الأمالي، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق وطباعة ونشر قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ، قم، إيران.

١٤. الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ)، تحقيق حسين الأستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٥. الإمامة والسياسة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق الدكتور طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

١٦. إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقرئ (ت ٨٤٥هـ)، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٧. انساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق الدكتور محمد حميد الله، طبع سنة ١٩٥٩م، نشر معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالاشتراك مع دار المعارف، مصر.

١٨. الأنساب، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي

السمعاني(ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الجنان للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٩. انوار التنزيل واسرار التأويل، ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (ت٦٨٢هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٢٠. الأنوار العلوية والأسرار المرتضوية، الشيخ جعفر النقدي (ت١٣٧٠هـ)، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨١هـ-١٩٦٢م، مكتبة الحيدرية، نجف الأشرف، العراق.

٢١. الإيضاح، الفضل بن شاذان الأزدي النيسابوري(ت٢٦٠هـ). تحقيق جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث. الطبعة الاولى. سنة ١٣٦٣ش. مؤسسة انتشارات وجاب دانشگاه طهران. إيران.

٢٢. إيمان أبي طالب، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، تحقيق مؤسسة البعثة، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٣. بخار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار. العلامة محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ). تحقيق محمد الباقر البهبودي وعبد الرحيم الرباني الشيرازي. الطبعة الثالثة. سنة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

٢٤. البداية والنهاية. أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي(ت٧٧٤هـ). تحقيق وتدقيق وتعليق علي شيري. الطبعة الأولى. سنة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م. دار

إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٥. تاج العروس من جواهر القاموس، محب الدين أبو الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق علي شيري، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٢٦. تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي (ت ٨٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، سنة الطبع ١٣٩١هـ - ١٩٧١م، بيروت، لبنان.

٢٧. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٢٨. تاريخ الأمم والملوك المعروف بتاريخ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تصحيح نخبة من العلماء الأجلاء، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢٩. تاريخ الخلفاء، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

٣٠. التاريخ الصغير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١. التاريخ الكبير، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي البخاري (ت ٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، ديار بكر، تركيا.

٣٢. تاريخ الكوفة، حسين ابن السيد أحمد البراقبي النجفي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق تحقيق ماجد أحمد العطية، إستاندراكات السيد محمد صادق آل بحر العلوم، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢ش، إنتشارات المكتبة الحيدرية، إيران.

٣٣. تاريخ المدينة المنورة، أبو زيد عمر بن شبه النميري البصري (ت ٢٦٢هـ)، تحقيق فهم محمد شلتوت، سنة ١٤١٠هـ - ١٣٦٨ش، مطبعة القدس، دار الفكر، قم، إيران.

٣٤. تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٣٥. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٦. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري (ت ٢٤٠هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٣٧. تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ). تحقيق علي شيري. سنة الطبع ١٤١٥هـ. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت. لبنان.

٣٨. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي

(ت٤٦٠هـ)، تحقيق أحمد حبيب قصير العاملي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٩هـ،
دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٩. تجارب الأمم، أحمد بن محمد مسكويه الرازي (ت٤٢١هـ)، تحقيق
الدكتور أبو القاسم امامي، الطبعة الثانية، سنة ١٣٧٩ش - ١٤٢٢ق - ٢٠٠١م،
دار سروش للطباعة والنشر، طهران، إيران.

٤٠. التذكرة الحمدونية، ابن حمدون محمد بن الحسن بن محمد بن
علي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق احسان عباس وبكر عباس، الطبعة الأولى، سنة
١٩٩٦م، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، لبنان.

٤١. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين
عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت٨٦٤هـ)، تقديم ومراجعة مروان
سوار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٢. تفسير الرازي، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، الطبعة الثالثة، سنة
١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٤٣. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي
(ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.

٤٤. تفسير القرآن المجيد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن
النعمان العكبري البغدادي (ت٤١٣هـ)، تحقيق السيد محمد علي أيازي، الطبعة
الأولى، سنة ١٤٢٤هـ - ١٣٨٢ش، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي، مؤسسة
بوستان كتاب قم، إيران.

٤٥. تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق

وتعليق السيد حسن الموسوي الخرسان، الطبعة الثالثة، سنة ١٣٦٤ ش. نشر دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.

٤٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي (ت ٧٤٢هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٤٧. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٣هـ، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

٤٨. جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد، محمد علي الأردبيلي الغروي الحائري (ت ١١٠١هـ)، طبع سنة ١٤٠٣هـ، نشر مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، إيران.

٤٩. الجرح والتعديل، أبو حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٢هـ- ١٩٥٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٥٠. الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، يحيى بن عبد العزيز اليحيى، دار ابن الجوزي، القاهرة، مصر.

٥١. جمهرة أنساب العرب، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق لجنة من العلماء، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي (ت ٨٧١هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي،

الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ، مطبعة دانش، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، إيران.

٥٣. حلية الأبرار، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق الشيخ غلام رضا مولانا البروجردى، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران.

٥٤. الخصال، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري. سنة الطبع ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ش. منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية. قم، إيران.

٥٥. خصائص الوحي المبين، شمس الدين يحيى بن الحسن الأسدي الربيعي الحلبي (ت ٦٠٠هـ)، تحقيق الشيخ مالك المحمودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ، دار القرآن الكريم، قم، إيران.

٥٦. خلاصة الأقوال في معرفة الرجال. العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي (ت ٧٢٦هـ). تحقيق الشيخ جواد القيومي. الطبعة الأولى. سنة ١٤١٧هـ. مؤسسة النشر الإسلامي. قم، إيران.

٥٧. خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار، السيد حامد النقوي (ت ١٣٠٦هـ)، سنة ١٤٠٥هـ، مؤسسة البعثة قسم الدراسات الإسلامية، طهران، إيران.

٥٨. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ). دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت. لبنان.

٥٩. الدر النظيم، يوسف بن حاتم الشامي المشغري

العالمي(ت٦٦٤هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي قم، إيران.

٦٠. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان المدني

الشيرازي(ت١١٢٠هـ)، تقديم السيد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع

١٣٩٧هـ، منشورات مكتبة بصيرتي، قم، إيران.

٦١. دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق ونشر

قسم الدراسات الإسلامية/ مؤسسة البعثة، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ، قم،

إيران.

٦٢. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين

البهقي(ت٤٥٨هـ)، تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي، الطبعة الأولى، سنة

١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٣. ديوان امرئ القيس، إعداد عبد الرحمن المصطاوي، الطبعة

الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٦٤. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أحمد بن عبد الله الطبري

(ت٦٩٤هـ)، سنة الطبع ١٣٥٦هـ، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

٦٥. ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، أبو القاسم محمود بن عمر

الزحشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عبد الأمير مهنا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ-

١٩٩٢م، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٦٦. رجال ابن داود، الحسن بن علي بن داود الحلبي(ت٧٤٠هـ).

تحقيق السيد محمد صادق آل بحر العلوم. سنة الطبع ١٣٩٢هـ. مطبعة الحيدرية.

النجف الأشرف، العراق.

٦٧. رجال الطوسي. محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ). تحقيق جواد

القيومي الإصفهاني. الطبعة الأولى. سنة ١٤١٥هـ. مؤسسة النشر الإسلامي. قم. إيران.

٦٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادى (ت ١٢٧٠هـ)، مقابلة وتعليق محمد أحمد الامد وعمر عبد السلام السلامي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان.

٦٩. روضة الواعظين. محمد بن الفتال النيسابوري (ت ٥٠٨هـ). تقديم السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان. منشورات الشريف الرضي. قم. إيران.

٧٠. الرياض النضرة في مناقب العشرة، أبو جعفر أحمد المحب الطبري (ت ٦٩٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧١. زبدة التفاسير، فتح الله بن شكر الله الشريف الكاشاني (ت ٩٨٨هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣، تحقيق نشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، إيران.

٧٢. السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلبي (ت ٥٩٨هـ)، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤١٠هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

٧٣. السقيفة وفدك، أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهرى البصري البغدادى (ت ٣٢٣هـ)، تحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، الطبعة

الثانية، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، شركة الكتبي للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

٧٤. السقيفة، الشيخ محمد رضا المظفر (ت ١٣٨٣هـ)، تقديم الدكتور محمود المظفر، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ، مطبعة بهمن، مؤسسة أنصاريان، قم، إيران.

٧٥. سنن ابن ماجة، أبو عبد محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣هـ)، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٧٦. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، تحقيق سعيد محمد اللحام، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٧٧. سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق وتصحيح عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٧٨. السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٧٩. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ)، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ، بيروت، لبنان.

٨٠. السيرة الحلبية، علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤هـ)،
سنة الطبع ١٤٠٠هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٨١. السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق
مصطفى عبد الواحد، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٦م، دار المعرفة للطباعة والنشر
والتوزيع، بيروت، لبنان.
٨٢. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري
(ت ٢١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، سنة الطبع ١٣٨٣هـ -
١٩٦٣م، مطبعة المدني، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، مصر.
٨٣. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي أبو حنيفة
النعمان بن محمد التميمي المغربي (ت ٣٦٣هـ)، تحقيق السيد محمد الحسيني
الجلالي، طباعة ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
٨٤. شرح نهج البلاغة، عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ)،
تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م، مؤسسة
إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، إيران.
٨٥. شرح نهج البلاغة، ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت ٦٧٩هـ)،
الطبعة الأولى، سنة ١٣٦٢ش، مركز النشر مكتب الإعلام الإسلامي، قم،
إيران.
٨٦. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، عبيد الله بن عبد الله بن أحمد
المعروف بالحاكم الحسكاني من أعلام القرن الخامس، تحقيق الشيخ محمد باقر

المحمودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، إيران.

٨٧. صبح الأعشى في صناعة الإنشا، أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار. الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

٨٩. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٩٠. صحيح البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة ١٤٠١هـ، بيروت، لبنان.

٩١. صحيح مسلم. أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٩٢. الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي (ت ٨٧٧هـ)، تحقيق محمد الباقر البهودي، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٤هـ، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، إيران.

٩٣. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي (ت ٩٧٣هـ)، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٧م، بيروت، لبنان.

٩٤. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان.

٩٥. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن طاووس (ت ٦٦٤هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٩هـ، مطبعة الخيام، قم، إيران.

٩٦. عبقرية الإمام علي، عباس محمود العقاد، طبع سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٩٧. العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق الدكتور وصي الله بن محمود عباس، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ، مطبعة المكتب الإسلامي، نشر دار الخاني، الرياض، السعودية.

٩٨. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٩٩. عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، ابن البطريق يحيى بن الحسن الأسدي الحلبي (ت ٦٠٠هـ)، سنة ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١٠٠. عون المعبود شرح سنن أبي داود، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ)، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٠١. عين العبرة في غبن العترة، جمال الدين السيد احمد آل طاووس (ت ٦٧٧هـ)، دار الشهاب، قم، إيران.

١٠٢. الفارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي (ت ٢٨٣هـ)، تحقيق السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث، طبع على طريقة أوفست في مطابع بهمن.

١٠٣. الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين احمد الأميني النجفي (ت ١٣٩٢هـ)، الطبعة الرابعة، سنة ١٣٩٧-١٩٧٧م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٠٤. غزوات الرسول وسراياه، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ)، تقديم أحمد عبد الغفور عطار، سنة الطبع ١٤٠١هـ-١٩٨١م، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٠٥. غنية النزوع إلى علمي الأصول والفروع، حمزة بن علي بن زهرة الحلبي (ت ٥٨٥هـ)، تحقيق الشيخ إبراهيم البهاري، إشراف جعفر السبحاني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ، مطبعة إعتقاد، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم، إيران.

١٠٦. فاطمة الزهراء والفاطميون، عباس محمود العقاد، نشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، سنة ٢٠١٣م، القاهرة، مصر.

١٠٧. فتح الباري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، الطبعة الثانية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٠٨. الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي (ت ٣١٤هـ)، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
١٠٩. فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، السعودية.
١١٠. في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٧هـ، مطبعة ستار، إشارات كلمة الحق، إيران.
١١١. قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ، تحقيق ونشر مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
١١٢. القاموس الفقهي، الدكتور سعدي أبو حبيب، الطبعة الثانية، سنة الطبع ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الفكر، دمشق، سوريا.
١١٣. قصص الأنبياء، قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق الميرزا غلام رضا عرفانيان اليزدي الخراساني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ-١٣٧٦ش، مؤسسة الهادي، إيران.
١١٤. الكامل في التاريخ، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير

(ت ٦٣٠هـ)، سنة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، دار صادر ودار بيروت، بيروت، لبنان.

١١٥. الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥هـ)، تحقيق الدكتور سهيل زكار، قراءة وتدقيق يحيى مختار غزاوي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٦. كتاب العين. الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي. الطبعة الثانية. سنة ١٤٠٩هـ. نشر مؤسّسة دار الهجرة. إيران.

١١٧. كتاب سليم بن قيس. سليم بن قيس الهلالي (ت ٧٦هـ). تحقيق محمد باقر الأنصاري الزنجاني. الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ - ١٣٨٠ش، مركز الأبحاث العقائدية، إيران.

١١٨. كشف الغمة في معرفة الأئمة، علي بن أبي الفتح الإربلي (ت ٦٩٣هـ)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

١١٩. كشف المحجة لثمره المهجة، أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني الحسيني (ت ٦٦٤هـ)، سنة ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٢٠. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن المطهر الاسدي (ت ٧٢٦هـ). تحقيق حسين الدركاهي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ، منشورات ذوي القربى، طهران، إيران.

١٢١. الكشف والبيان، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، بيروت، لبنان.
١٢٢. كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين المقداد بن عبد الله السيوري (ت ٨٢٦هـ)، تعليق المحقق الشيخ محمد باقر شريف زاده، طبع سنة ١٣٨٤هـ - ١٣٤٣ش، مطبعة حيدري، المكتبة الرضوية، طهران.
١٢٣. كنز العمال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير الشيخ بكري حياني، تصحيح الشيخ صفوة السقا، نشر مؤسسة الرسالة، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م، بيروت، لبنان.
١٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، سنة الطبع ١٤٠٥هـ، نشر أدب الحوزة، قم، إيران.
١٢٥. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء، محمد علي بن أحمد القراجة داغي التبريزي الأنصاري (ت ١٣١٠هـ)، تحقيق السيد هاشم الميلاني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٨هـ، مؤسسة الهادي، قم، إيران.
١٢٦. مجمع البيان، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.
١٢٧. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ)، سنة الطبع ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢٨. المجموعة الكاملة للإمام علي بن أبي طالب، عبد الفتاح عبد المقصود، منشورات مكتب العرفان، بيروت، لبنان.

١٢٩. مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ)، تحقيق ونشر مؤسسة المعارف الإسلامية، إشراف الشيخ عزة الله المولائي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٣هـ، قم، إيران.

١٣٠. المراجعات، السيد عبد الحسين شرف الدين (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق حسين الراضي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، الجمعية الإسلامية، بيروت، لبنان.

١٣١. مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ - ١٣٦٣ش - ١٩٨٤م، منشورات دار الهجرة، قم، إيران.

١٣٢. المزار الكبير، أبو عبد الله محمد بن جعفر المشهدي من أعلام القرن السادس، تحقيق جواد القيومي الاصفهاني، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.

١٣٣. مستدرك الوسائل. الميرزا حسين النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠هـ). تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، بيروت، لبنان.

١٣٤. المستدرك، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ). إشراف الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي. دار المعرفة. بيروت، لبنان.

١٣٥. مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي (ت ١٤٠٥هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ، مطبعة حيدري، طهران، إيران.

١٣٦. المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، محمد بن جرير بن رستم الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الشيخ أحمد الحمودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ، مطبعة سلمان الفارسي، نشر مؤسّسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور، قم، إيران.

١٣٧. مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن الحافظ التميمي أبو يعلى الموصلي (ت ٣٠٧هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، الطبعة الثانية، نشر دار المأمون للتراث.

١٣٨. مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق أحمد شاکر قريباً من ثلث الكتاب وأكمّله الحسيني عبد المجيد هاشم، دار المعارف، سنة ١٣٩٤هـ، القاهرة، مصر.

١٣٩. مشاهير علماء الأمصار اعلام فقهاء الأقطار، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي (ت ٣٥٤هـ)، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

١٤٠. المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات المجلس العلمي، بيروت، لبنان.

١٤١. مطالب السؤول في مناقب آل الرسول عليه السلام، كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٢هـ)، تحقيق ماجد بن أحمد العطية، الطبعة الأولى، دار

إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

١٤٢. المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق وطباعة ونشر وتوزيع دار الحرمين. سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، القاهرة، مصر.

١٤٣. معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، سنة الطبع ١٣٩٩هـ، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

١٤٤. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لبنان.

١٤٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع ١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، إيران.

١٤٦. معرفة السنن والآثار، أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤٧. المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي (ت ٢٢٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٨. المغازي، الواقدي محمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق الدكتور مارسدن جونز، سنة ١٤٠٥هـ، نشر دانش إسلامي، إيران.
١٤٩. مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تقديم وإشراف كاظم المظفر، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبتها، النجف الأشرف، العراق.
١٥٠. مكارم الأخلاق، رضي الدين أبو نصر الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ). الطبعة السادسة، سنة ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، منشورات الشريف الرضي.
١٥١. الملل والنحل، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٥٢. من لا يحضره الفقيه، الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤هـ، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، إيران.
١٥٣. مناقب آل أبي طالب، أبو عبد الله محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨هـ)، تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، النجف الأشرف، العراق.
١٥٤. مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، محمد بن سليمان الكوفي (ت ٣٠٠هـ)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى، سنة الطبع ١٤١٢هـ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، إيران.

١٥٥. مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الجَلّابي الشافعي المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٦هـ - ١٣٨٤ش، انتشارات سبط النبي صلى الله عليه وآله، إيران.

١٥٦. المناقب. الموفق بن أحمد بن محمد المكي الخوارزمي (ت ٥٦٨هـ). تحقيق الشيخ مالك المحمودي. مؤسسة سيد الشهداء عليه السلام. الطبعة الثانية. سنة ١٤١٤هـ. قم. إيران.

١٥٧. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥٨. منتهى المطلب، العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تحقيق ونشر مجمع البحوث الإسلامية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ، مشهد، إيران.

١٥٩. النص والإجتهاد، السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي (ت ١٣٧٧هـ)، تحقيق وتعليق أبو مجتبى، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٤هـ، مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم، إيران.

١٦٠. النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، سيد محمد بن عقيل العلوي (ت ١٣٥٠هـ)، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم، إيران.

١٦١. نظم درر السمطين، الشيخ محمد الزرندي الحنفي (ت ٧٥٠هـ)،
الطبعة الأولى، سنة ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م، مكتبة النرجس، النجف الأشرف،
العراق.

١٦٢. نقد الرجال. مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي من علماء
القرن الحادي عشر. تحقيق مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث. الطبعة
الأولى. سنة ١٤١٨هـ. قم. إيران.

١٦٣. نهج الإيمان. زين الدين علي بن يوسف بن جبر. تحقيق السيد
أحمد الحسيني. الطبعة الأولى. سنة ١٤١٨هـ. مطبعة ستارة. نشر مجتمع إمام
هادي عليه السلام. مشهد. إيران.

١٦٤. نهج البلاغة. خطب الإمام علي عليه السلام. جمع الشريف الرضي. شرح
محمد عبدة. الطبعة الأولى. سنة ١٤١٢هـ. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت.
لبنان.

١٦٥. نهج الحق وكشف الصدق، العلامة الحلبي الحسن بن يوسف بن
المطهر (ت ٧٢٦هـ)، تقديم السيد رضا الصدر، تعليق الشيخ عين الله الحسيني
الأرموي، طبع سنة ١٤٢١هـ، مطبعة ستارة، مؤسسة الطباعة والنشر دار
الهجرة، قم، إيران.

١٦٦. نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي بن محمد
الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ)، طبع سنة ١٩٧٣م، دار الجليل، بيروت، لبنان.

١٦٧. الهداية الكبرى، أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي

(ت ٣٣٤هـ)، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٦٨. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق صفوان عدنان داوودي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.

١٦٩. وصول الأخيار إلى أصول الأخبار، الشيخ حسين بن عبد الصمد العاملي (ت ٩٨٤هـ)، تحقيق السيد عبد اللطيف الكوهكمري، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠١هـ، مجمع الذخائر الإسلامية، قم، إيران.

١٧٠. وقعة الجمل، ضامن بن شدم الحسيني المدني (ت ١٠٨٢هـ)، تحقيق السيد تحسين آل شبيب الموسوي، سنة الطبع ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، مطبعة محمد.

١٧١. وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري (ت ٢١٢هـ)، عبد السلام محمد هارون، سنة الطبع ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، دار الجليل، بيروت، لبنان.

١٧٢. اليمين واليسار في الإسلام، أحمد عباس صالح، الطبعة الأولى، سنة ١٩٧٣م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

فهرست الموضوعات

٥.....	الفصل الخامس
٥.....	الفتح الأكبر
١٢.....	إقتراب رسول الله ﷺ من مكة
١٤.....	أبو سفيان يخضع حاقداً بحد السيف
١٩.....	أبو سفيان محبوساً بمضايق الوادي ينظر إلى جيوش النبي ﷺ
٢٣.....	مفتاح البيت
٢٤.....	بيان إسلامي خطير
٢٥.....	بلال يؤذن في مكة
٢٥.....	أصنام الكعبة
٣١.....	بعد الرجوع من دفن النبي ﷺ
٤٠.....	جهاد علي الكهل
٤٧.....	الطامة الكبرى
٧١.....	موقف من الفتن والمحن
٨٨.....	الموقف الغريب الرهيب
٩٤.....	البلاغ المبين من رب العالمين سبحانه
١٠٢.....	حجة الوداع
١٠٧.....	وثائق ومساند
١٠٨.....	رواة حديث الغدير
١١٦.....	الغدير بين محب ومبغض
١١٩.....	خطاب يكشف محنه

١٢٢	إستنتاج مكشوف
١٢٣	حديث عن أم سلمة
١٢٦	وصية الزهراء عليها السلام لأمر المؤمنين عليهم السلام
١٢٧	آخر يوم من أيامها
١٢٩	التجهيز
١٣١	حملة النعش الطاهر العظيم
١٣٣	قصيدة الزهراء عليها السلام
١٣٤	قصة المؤاخاة
١٣٧	جهاد علي الشيخ عليه السلام
١٣٩	إستنتاج
١٤٦	أمر المؤمنين بعد مصرع ابن عفان في كلمات
١٥١	هداية الناس
١٥١	نضوج الفتن الكبرى
١٧٣	قرار الشعب
١٧٩	موقف الرجل الذي سلم الخلافة إلى عثمان
١٨٠	أمر المؤمنين عليهم السلام وعبد الرحمن بن عوف
١٨١	رسول عثمان إلى الثوار المصريين
١٨٦	غلظة أبا بكر وعمر على عثمان في أمر الحكم بن أبي العاص
١٩٥	وصية الشهيد عبد الله بن مسعود
١٩٦	زيارة عثمان لابن مسعود أثناء مرضه
١٩٧	دخول عبد الله بن مسعود على ابن عفان في مسجده
٢٠٥	وقفه حساب
٢١٢	سيرة جهاده العظيم
٢١٥	درع المجاهد أبا ذر لجماهير أهل الشام
٢١٦	أبا ذر ومواجهة خصمه عثمان
٢٢٨	أبا ذر يودع دار هجرته إلى حيث منفاه

٢٣٣	عمار بن ياسر رضي الله عنه ينادي في جماهير الثورة
٢٣٣	أسباب ضرب ابن عفان للشهيد عمار بن ياسر
٢٣٦	الأسباب المباشرة لضرب عمار رضي الله عنه
٢٤٠	قول عمار ورفاقه في كفر عثمان
٢٤٦	عبيد الله بن عمر بن الخطاب بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام

٢٤٩ الفصل السادس

٢٤٩	قصة المقطع العامري يوم صفين
٢٥٢	أبطالاً بواسل
٢٥٦	ربيعة والدوسيون
٢٥٧	عبرة للمعتبرين
٢٥٨	قائد الجيش رتب رأيات فيالقه وجحافله
٢٦٠	الحضين يفخر به أمير المؤمنين عليه السلام
٢٦٢	روابط تاريخية
٢٦٦	مضاعفات يوم صفين
٢٦٨	محمد بن أبي بكر وعبيد الله بن عمر
٢٧٣	إنموذج من الرجز يوم صفين
٢٧٥	اليوم التاسع من صفر
٢٧٦	يسارع الظالم إلى النار
٢٧٧	أمر غريب
٢٧٩	صدق الإمام الحسن عليه السلام
٢٨٠	إنموذج من رجز القتيل
٢٨١	جثة القتيل اللعين عبيد الله
٢٨٢	محاورة في الحق
٢٨٣	نقل جثة الفاسق إلى معسكر الكفر

٢٨٦	أمير المؤمنين ورأية الحَضِين ورأية رسول الله ﷺ
٢٨٧	الماء واللبن والسويق واللحم والثريد
٢٨٨	حقْد الزنيم ابن العاهرة هند
٢٨٨	ليلة الهرير
٢٨٩	أسود الله تحْدق بولي
٢٩٠	ولي الله بين رأيات ربِعة
٢٩٠	سبعة ألاف سيف يبايع على الموت
٢٩٢	فرار الزنيم معاوية
٢٩٢	الحِيانة الواقعة
٢٩٣	موت الحائِن وولاية خراسان
٢٩٤	الخطة العسكرية العلوية المذهلة
٢٩٦	أمير المؤمنين عليه السلام يسْئَل الناس
٢٩٦	القبائل العراقية تشتكي لأمير المؤمنين عليه السلام
٢٩٧	كنانة تتقدم صفوف المقاتلين
٢٩٨	زعيم كنانة يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام
٢٩٨	مضر وتميم بعد كنانة
٢٩٩	بني أسد بعد مضر وتميم
٣٠٠	زهو وفخر
٣٠٢	خطاب ولي الله في موطن من مواطن صفين
٣٠٤	شعار علي عليه السلام
٣٠٦	خطابان
٣٠٨	خطاب عمار بن ياسر
٣١١	أمير المؤمنين عليه السلام وبني محارب
٣١٢	عمار بن ياسر والآية الكريمة
٣١٦	تسلسل وقائع صفين بفقرات
٣٤٥	الفوضى في معسكر الإمام

٣٤٨	عبد الله بن العباس بعد الإمام الحسن عليه السلام
٣٤٩	عبد الله بن جعفر بعد عبد الله بن العباس
٣٤٩	الخوارج قاتلهم الله يتمرّدون
٣٥٣	النهروان بعد صفين
٣٥٤	مقتل عبد الله بن خباب وزوجته والحارث بن مرة العبدي
٣٥٥	خطاب أمير المؤمنين عليه السلام في النهروان
٣٥٧	هجوم الخوارج والخطبة العلوية
٣٥٨	ذا الثدية
٣٥٩	مضاعفات الظرف العصيب
٣٦٢	تمرد المتمردين
٣٦٤	إحتلال الأقطار
٣٦٦	نبذة من حياة أبو أيوب الأنصاري
٣٦٧	صدى فواجع إحتلال الأمصار على أمير المؤمنين
٣٧١	خاتمة المطاف
٣٧٥	فهرست الآيات القرآنية
٣٨٧	مصادر ومراجع التحقيق
٤١٣	فهرست الموضوعات